

اسرار النجاح

الجزء الأوّل

- المؤلّف: السيّد مرتضى المجتهدي السيستاني
- نقله إلى العربيّة: ضياء الزّهاوي

أسرار النجاح

المجلّد الأوّل

المؤلّف:
السيّد مرتضى المجتهدي السيستاني

نقله إلى العربيّة: ضياء الزّهاوي

أسرار النجاح (المجلّد الأوّل)

المؤلّف : السيّد مرتضى المجتهدي السيستاني
نقله إلى العربيّة : ضياء الزهاوي
الناشر : منشورات البلاغ
المطبعة : بيروت / لبنان
الطبعة الأُولى : جمادى الأُولى ١٤٣٦
القطع والصفحات : وزيري / ٢٤٨
الكميّة: ٢٠٠٠ نسخة
السعر : ....

ردمك : ٦ـ٣٢ـ٧٧٥٣ـ٩٦٤ـ٩٧٨ : ISBN

مركز التوزيع: لبنان: بيروت، مؤسّسة البلاغ
موقع الإينترنت للمؤلّف:
موقع العلمي المنجي : WWW.almonji.com
بريد الإلكتروني: info@almonji.com

+989199850085


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المطالب

المقدّمة ١٣

١ الفكر والتفكّر

قيمة الفكر ١٩
تحليق الفكر والتفكّر ٢٠
من أسرار أهميّة الفكر ٢٢
أثر التفكّر بالمعاصي ٢٤
التفكّر، يضاعف درجات الإيمان واليقين ٢٥
التفكّر وسيلة للبصيرة والتبصر وبُعد النظر ٢٧
صيام التفكّر ٣٠
الآليات التي من شأنها الحفاظ على التفكّر سليماً ٣٢
١ ـ الدقة والتأمّل ٣٢
٢ ـ الإجتناب عن الإكثار في الطعام والشراب ٣٢
٣ ـ الإجتناب عن معاشرة أصحاب الأخطاء الفكريّة ٣٣
التمركز الفكري يرفع درجات القدرة على التفكّر ٣٤
نتيجة البحث ٣٧

٢ الإستشارة

ضرورة الإستشارة ٤١
الإستشارة دعامة للتطور والرقي ٤٢
أي الناس لهم صلاحية وأهلية الإستشارة؟! ٤٣
القبول والعمل بعد الإستشارة ٤٥
ترك الإستشارة وعواقبها الوخيمة ٤٦
نتيجة البحث ٥٠

٣ الهدف

اختيار أفضل وأسمى الأهداف ٥٣
الإهتمام بنتيجة الهدف ٥٤
ما هو الهدف من وراء خلق الإنسان؟ ٥٥
آليات الوصول إلى الهدف: ٥٧
١ـ التفاؤل والإيمان بالهدف ٥٧
التذكير بنقطة: ٥٩
٢ـ دور السعي والبحث في الوصول إلى الهدف ٦٠
٣ـ الإستفادة من أهل العلا ٦٢
٤ـ مخالفة هوى النفس أو الوصول إلى الأهداف العالية ٦٣
٥ـ التوسل بأهل البيت عليهم السلام للوصول إلى الأهداف الكبيرة ٦٤
نتيجة البحث ٦٥

٤ الإرادة القوية والهمة العالية

قيمة الإرادة ٦٩
الإخلاص قبل التصميم والإرادة ٧٠
هدفيّة الإرادة والتصميم ٧١

الهمّة العالية ٧٣
العمل بالقرار النهائي ٧٥
القدرة على اتخاذ القرار هي عامل النجاح والضعف، فيه يعني الفشل ٧٦
قدرة الإرادة والعزم تغلب السجية ٧٨
الملاّ صالح المازندراني رجل إرادة وتصميم ٧٩
تقوية الإرادة والنيّة ٨١
عوامل تقوية الإرادة ٨٣
١ـ الاندفاع والحماس يقويان الإرادة الإنسانيّة ٨٣
٢ـ الأمل والتطلع يزيد الهمة ٨٤
٣ـ الطلب من الله عزّ وجل منح الإرادة والهمة العالية ٨٥
نتيجة البحث ٨٧

٥ نظم الأُمور وبرمجتها

أهميّة النظم والتخطيط ٩١
النظم علامة عدم التضاد وإزلة الاضطراب والارتباك ٩٢
الأخذ بيد الشباب في إيجاد حالة التنظيم والبرمجة الصحيحة ٩٥
النظم والبرمجة طرق مؤثرة في الإستفادة من الوقت ٩٧
النظم والتخطيط عند المرحوم الشيخ الأنصاري ٩٧
نتيجة البحث ١٠١

٦ الإستفاده من الوقت

الإستفادة من الوقت ١٠٥
إستفادة العلاّمة المجلسي رحمه الله من العمر ١٠٦
العمل على استغلال الوقت والفرصة ١٠٨
نتيجة البطالة ١١٠
إتلاف الوقت أو الإنتحار التدريجي! ١١١

أخذ الدرس والعبرة من الماضي ١١١
التعلم من ماضي الآخرين وتجاربهم ١١٢
عدم تضييع الوقت لأجل الأهداف الشخصية للآخرين ١١٣
الإستفادة من الفرص ١١٤
الإستفادة حتى من اللحظات الأخيرة للعمر ١١٥
نتيجة البحث ١٢٠

٧ صحبة الأخيار والأبرار

سر أهمية مصاحبة الصالحين والأبرار ١٢٣
من هم الذين تسبّب مجالستهم في تعالي الروح ١٢٧
١ـ مجالسة العلماء الربانيين ١٢٧
٢ـ مجالسة الأبرار والصالحين ١٢٨
اعرف أهل مجلسك ١٢٩
مَن تمنع مجالستهم تطور الإنسان ١٣٠
١ـ مصاحبة ومجالسة أصحاب الأفكار الضعيفة والهشة ١٣٠
٢ـ مجالسة الضالين ١٣٤
٣ـ مجالسة أهل الأهواء والميولات النفسية ١٣٥
٤ـ مجالسة الشكاكين ١٣٨
نتيجة البحث ١٤٠

٨ التجربة

التجربة طريق للتكامل الروحي ١٤٣
التجربة وزمام المبادرة ١٤٤
التجربة في المسائل العلمية والصناعية ١٤٥
التجربة تزيد قدرات العقل ١٤٥
التجربة طريق للخلاص من البدع ١٤٦

التجربة تفرز الأصدقاء في الصعاب ١٤٧
التجربة محل لأخذ الدرس والعبرة ١٤٨
الإستفادة من تجارب الآخرين ١٤٩
كيفية الإستفادة من تجارب الآخرين ١٥٠
عدم نسيان التجارب ١٥٢
نتيجة البحث ١٥٤

٩ مخالفة النفس

مخالفة النفس أو الكبح من جماحها ١٥٧
غلبة النفس على العقل ١٥٩
دواء النفس ١٦٠
أثر الدعاء في تهذيب النفس ١٦٢
التعوّد على مخالفة النفس ١٦٢
تهذيب النفس يُسهّل الإستفادة من القدرات الروحية ١٦٦
ماذا يحدث لو استطاع الإنسان السيطرة على القدرات النفسية؟ ١٦٧
نتيجة البحث ١٦٨

١٠ الصبر والإستقامة

الصبر مفتاح كنز الأسرار ١٧١
الصبر والإستقامة يقويان الإرادة ١٧٢
صبر النبي أيّوب عليه السلام ١٧٣
لتكن النفس مستعدة للصبر والاستقامة ١٧٤
نتيجة صبر المرحوم الكني واستقامته ١٧٦
الصبر يمنح القدرة والقوّة ١٧٨
نتيجة البحث ١٨٠

١١ الإخلاص

أهمية الإخلاص ١٨٣
أثر الإخلاص ونتيجته ١٨٤
إخلاص صاحب جواهر الكلام ١٨٥
هل يمكن للجميع أن يكونوا من المخلصين؟ ١٨٦
الإخلاص وصعوباته ١٨٨
كمال الإخلاص ١٨٩
نتيجة البحث ١٩١

١٢ العلم والمعرفة

العلم والمعرفة وسيلة للارتقاء إلى الدرجات الرفيعة ١٩٥
ضرورة وجود الرغبة والإرادة في كسب العلم ١٩٧
ترك المعصية من المسائل الضرورية في طلب العلم والمعرفة ١٩٨
أيّ العلوم يصل بالإنسان إلى التكامل الروحي؟ ١٩٩
تحقّق الكمالات المعنوية عن طريق نشر العلم ٢٠٤
نتيجة البحث ٢٠٨

١٣ التوفيق

آثار التوفيق في تطور الإنسانية ٢١١
التصميم والقدرة والتوفيق والإصابة أو أركان السعادة ٢١٤
التوفيق هو القدرة على القيادة والهداية صوب الخيرات ٢١٥
الشخصيات الموفقة ٢١٦
طرق الحصول على التوفيق ٢١٨
١ ـ الدعاء والتضرع: ٢١٨

التذكير بنقطة ٢٢٠
٢ـ دعاء الوالدين ٢٢١
٣ـ ضرورة السعي والعمل لجلب التوفيق ٢٢١
٤ـ التفكّر في نعم الله أو عامل التوفيق المهمّ ٢٢٢
نتيجة البحث ٢٢٤

١٤ اليقين

أهميّة اليقين ٢٢٧
آثار اليقين ٢٢٩
١ـ يشدّ القلب ٢٢٩
الحضور في مجالس المباهلة ٢٣١
٢ـ اليقين يزيد قيمة الأعمال ٢٣٤
٣ـ اليقين يصلح السريرة ٢٣٧
الأُمور التي تزلزل اليقين: ٢٣٨
١ـ الشك والترد ٢٣٨
٢ـ المعصية ٢٣٩
ذهاب اليقين ٢٤٠
طرق تحصيل اليقين: ٢٤٢
١ـ كسب العلوم والمعارف ٢٤٢
٢ـ الدعاء والتضرع ٢٤٢
٣ـ تهذيب النفس ٢٤٥
نتيجة البحث ٢٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

من المؤكّد أنّ الفكر الثاقب والرؤية الصائبة والصحيحة، هي من الخصال المهمّة والنادرة للشخصيّات العظيمة والناجحة، فاذا رغبت عزيزي القارئ السير في طريق هؤلاء، والوصول إلى السعادة المنشودة، ونيل النجاح في أُمور حياتك سواء العملية منها أو العلميّة، فما عليك سوى الإستفادة المثلى والقصوى من قدرة التفكير، وإيجاد رؤى بعيدة المدى وتحديد الاتّجاه الواضح.

ويمكنك من خلال الإستعانة بالأفكار والرؤى الإيجابيّة التغطية على جميع النقائص الموجودة في شخصيّتك، ومن ثَمَّ الوصول إلى ما تطمح إليه من أهداف رفعية وسامية، فتجعل مجتمعك يتناغم، ويعيش حالة من الأفكار والرؤى القيّمة والكبيرة التي تسيره نحو عالم من الرقي والتطور والصلاح والإبداع.

وكلّما أراد الإنسان الحصول على مساعدة فكريّة واستشارة تهديه وتأخذ بيديه إلى الجادّة الصحيحة، فلابدّ له من استشارة ذوي الخبرة والإطّلاع والعقد والحلّ، ومَن يحملون جميع مقوّمات الإستشارة والإستفادة من تجاربهم ورؤاهم وأفكارهم الناجحة والبناءة.

ويمكن للفرد التعرّف على الأهداف القيّمة والعظيمة، وذلك بواسطة إستشارة هؤلاء الشخصيّات، وأن يأخذ منهم أفضل الأهداف وأكثرها نجاحاً؛ باعتبار أنّ مستقبله مرهون بهدف يتطلب الكثير من العطاء والبذل والتضحية، ومن دونها لايمكن بحال من الأحوال تحققه والوصول إليه.

وبطبيعة الحال فإنّ الإنسان يستطيع ومن خلال الإرادة القويّة والعزيمة الراسخة والفولاذية التي حصل عليها نتيجة الأُمور التي تحققت في عملية التطوّر النفسي، والموفقيّة في التخطيط ورسم المعالم والآليات التي من شأنها السير مع الهدف الذي وضعه أمامه بشكل متوازٍ، الوصول إلى الهدف المنشود وبسرعة وزمن قياسي؛ لأنّ التخطيط والتنظيم لبرنامج صحيح يقرب المسافات، ويسهّل الأُمور والقضايا، ويجعلها كتاباً مفتوحاً.

ويمكن إستغلال الوقت والفرص المتاحة في مجالسة النخب والصفوة والإستفادة منهم، إذ إنّ مجالستهم ومصاحبتهم تظفي على الإنسان نوعاً من التسامي، وتزرع في داخله روحاً جديدة مفعمة بالأمل والعطاء والحبّ والخير، وتزيد من القدرات الروحيّة والمعنويّة.

إنّ الإستفادة من التجارب القيّمة التي حصل عليها هؤلاء الرجال العظماء طوال مسيرتهم في الحياة تشكل لدى الشخص رادعاً قويّاً لكبح جماح نفسه الأمّارة بالسوء، والحثّ على السير بخطىً ثابتة صوب النجاحات الفرديّة والإجتماعية.

ولايختلف إثنان أنّ الإنسان لو استطاع السيطرة على نفسه، واستعان في حياته بالصبر والإستقامة فسوف يجمع قواه الروحيّة في مكان واحد، ويرفع من قدراته المعنوية؛ لأنّ الصبر يوجد حالة من القوّة والمناعة أمام أهواء النفس وإغراءتها وشهواتها وملذّاتها، وتكون المحصلة النهائيّة هي تطهير الباطن والسريرة من الدنائس والرذائل، فينال بذلك مقام الإخلاص، الذي هو سرّ من أسرار القدرة الإلهية.

وفي هذه الحالة يضيء قلب الفرد بالبركات السبحانيّة، والفيوضات

الربّانيّة، فتجري ينابيع الحكمة والمعرفة على لسانه، والتي حصل عليها نتيجة الإرتقاء إلى مصاف الدرجات والرتب المتعالية والتقرّب الإلهي.

ونقول بكلّ تأكيد: إنّ الشخص الذي يحلق بجناحيه عالياً طالباً العلم والمعرفة، ستزداد قيمته، وترتفع مقاماته، ويعلو شأنه، ويستضي قلبه بالأنوار المشعّة لعلوم ومعارف أهل بيت الوحي والرسالة عليهم السلام، ويكون نور هداية لمجتمعه، فينشر الضياء في كلّ أوساطه وزواياه، ويعرفهم على حقيقية هذا المذهب الحق الذي يهب الحياة الكريمة، ويضمن السعادة الإنسانيّة، والفوز في الدارين، فتنجلي قلوبهم، وتحيا من جديد.

وينبغي للإنسان العمل بكلّ إمكانيّاته، وأن يسعى بجدّ واجتهاد للقيام بمثل هذه الأعمال والنشاطات والفعاليّات، لكي تشمله التوفيقات الإلهيّة؛ لأنّ التوفيق يحتاج بالإضافة إلى الدعاء إلى السعي المتواصل والجهد الحثيث.

النفس قوس والعزيمة سهمها ... فإرم الرجىٰ من هذه الأقواس
وأضئ حياتك بالمعارف إنّما ... هي في ظلام العمر كالنبراس
واجعل أساس النفس حبّ الله إذ ... لا خير في بيت بغير أساس

ويجب الإلتفات إلى نقطة وهي: إنّنا لن نصل إلى قافلة الحقيقة والحقّ قطعاً ما لم نظفر بالتوفيق الإلهي، ولأجل الوصول إليها نحتاج أن نقطع شوطاً كبيراً في مراحل حياتنا، وتحقّق جملة من الأُمور والقضايا التي منها عدم الخوف في الله من لومة لائم، والتحرّك صوب المبادئ والقيم التي نحملها عن وعي وعقيدة دون الإكتراث لما يقال أو يثار، وشدّ العزائم والهمم في طلب العلم والمعرفة لكي نصل إلى مرحلة اليقين، التي هي من الصفات والمؤهلات التي يتمتّع بها أولياء الله المقرّبون والصالحون.

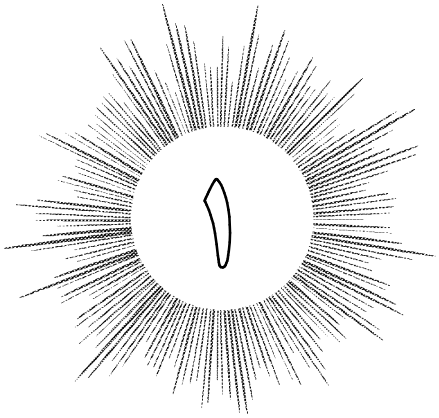
* * *

وبما أنّ طرح مثل هذه البحوث بأيّ أُسلوب وترتيب كان يكون نافعاً ومفيداً للمجتمع، ويجعله مرتعاً خصباً للإنفتاح على آفاق رحيّة، ومن هذا المنطلق

فقد ارئى المؤلّف أن يكتب في هـذا البـاب مسـتنداً فـي ذلك إلى الأحـاديث والروايات الواردة عن أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين وخاصّة صـاحب ولايـة المـلك والمـلكوت، مـولانا الإمـام أمـير المـؤمنين عـلي بـن أبـي طـالب عليه السلام والتجارب التي مرّ بها كبار علماء الطائفة الشيعة الحقّة ويضعها تحت تصرف عامّة الناس.

نأمل أن يحقّق هذا السفر المتواضع بعض الأغراض والأهداف التي ألّـفه مـن أجلها، ويفتح الباب على مصرعيها أمام كلّ من يطلب الحقّ والحقيقة، ويساعد كلّ من يريد الوصول إلى التكامل الروحي والمعنوي، وذلك بألطاف البـارئ عزّ وجلّ وعناية أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

السيّد مرتضى المجتهدي السيستاني



الفكر والتفكّر

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

عليك بالفكر، فإنّه رُشد من الضَّلال

ومصلح الأعمال

قيمة الفكر

إنّ كلّ إنسان يحمل في عقله كنوزاً لاتثمن بثمن، ويمكنه الحصول عليها بواسطة عمليّة توظيف للفكر والرؤى، وجعلها ثابتة غير خاضعة لتقلّبات الميول والرغبات.

ولكن بعض من الناس ـ وللأسف الشديد وبدل الإستفادة من تلك الكنوز الموجودة في داخلهم ـ تراهم يبحثون عنها بين أكوام من الأتربة والأحجار!

فإذا علم هؤلاء أنّ الله سبحانه وتعالى قد وضع في وجودهم كنوزاً تستخرج بشكل مجاني، وهي أفضل بكثير من الّتي يطلب في بطون الأرض، لجاهدوا وثابروا ولتحيّنوا الفرص واستغلوا سنين عمرهم، ولم يفرطوا به؛ لئلاّ يذهب هدراً.

ويمكن القول: أنّ هؤلاء يقلّبون التراب بحثاً عن الذهب والفضة، ويسعون في إرسال مختلف الآليات البحريّة، وتوظيف جملة من الغواصين، للحصول على المجواهرات في أعماق البحار والمحيطات، بينما نشاهد أنّ الرجال الذين جاهدوا طويلاً لبناء شخصيّتهم يبحثون في افكارهم ورؤاهم، لنيل تلك الكنوز الحقيقية.

يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

اَلْمُؤْمِنُ مَغْمُورٌ ... بِفِكْرَتِهِ.[1]

ولانجافي الحقيقة إذا قلنا: إنّ الإنسان بإمكانه أن ينال من أعماق أفكاره وتفكيره كنوزاً لاتضاهيها جبال من الذهب والمجواهرات.

وكذلك فإنّه يستطيع الحصول من عمق أفكاره المكنونة على جواهر تكون خالدة وسرمدية، وسوف يدرك قيمتها الواقعيّة في دنيا وعالم اٰخر.

إنّ الغور في الأفكار ـ وليس التوهّمات ـ يبعث على تقوية الروح، وتهيّئة الأرضيّة المناسبة لها والمناخ الملائم لنيل كنوز الأسرار، ويمكن للفكر والتفكّر أن يربيا الروح والنفس ويقوياها ويبنياها البنيان الصحيح كما تفعل التمارين الجسديّة، إذ نرى أنّ ممارسة التمارين الرياضيّة تنمي البدن والجسم، ومن هذا الباب فإنّ الفكر والتفكّر الإيجابي والسليم يقوي الروح والنفس؛ **بإعتبار أنّ التفكّر هو نوع من أنواع التعليم والتربية للضمير العفوي والأواعي، ويمكن بواسطة ذلك التفكّر أن يزيد من انبعاثات الحالات الباطنية وترسيخها، وبالتالي سوف تظهر القدرات الروحيّة الإنسانية، حيث أنّ التفكّر بحدّ ذاته يشكل بعداً لتنمية الروح، وجعلها في أسمىٰ حالات التكامل والرقي.**

تحليق الفكر والتفكّر

لأبدّ للإنسان أن يبتعد عن عالم الوهم والخيال والسير في طريق الحقيقة، وبالطبع فإنّ التمسك بالفكر والتفكّر في معرفة الحقائق الكونيّة والأُنس بها تبعده عن حالات وعالم الوهم والخيال، وتجعل منه عالماً وباحثاً عن الحقيقة والواقع، وعلى هذا الأساس يقول النبي عيسى عليه السلام:

عَوِّدْ... قَلْبَكَ الْفِكْرَ.[2]

١. نهج البلاغة: الكلمات القصار ٣٣٥.

٢. بحار الأنوار: ٣٢٩/١٤، عن تنبيه الخواطر: ٢٢٩/٢.

ومن المؤكّد فإنّ الأُنس والأُلفة مع التفكّر يزيد من قدرات الفكر والقوى التمركزيّة، وتعمل على إعطاء شحنات قويّة للفكر، وتضعف الوهم والخيال في داخل الإنسان، فتكون النتيجة إزالة آثار الشيطان وحبائله، وإحباط كلّ ما يروج له أعداء الدين والمذهب؛ لأنّ الإنسان بطبيعة الحال إعتاد على التفكير الصحيح، والتأمّل في اختيار الأقوم، وبنى قواعده العقائديّة ومعلوماته على أساس ذلك، ولهذا الدليل جاء حديث الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حين قال:

لا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ.[1]

وكما أشارنا سابقاً فإنّ الفكر والتفكّر، والإستفادة من القيم الموجودة في العقل البشري هي من الصفات العظيمة للشخصيّات الفريدة والنادرة. فهؤلاء ومن خلال التحليق في عالم الفكر والغور في التفكّر ومعرفة الكائنات الوجودية يضاعفون من درجات إيمانهم ويقينهم، ويزيدونها مراتب ودرجات. ومن هذا المنطلق تبقى أفكارهم ورؤاهم حيّة طرية، ولا تنطفي جذوتها أبداً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

مِنْ صِفاتِ الْمُؤْمِنِ اَنْ يَكوُنَ جَوّالَ الْفِكْرِ.[2]

ويمكنهم كذلك من تعالي أرواحهم، واختيار أعلى الأهداف وأرفعها، فتكون لديهم الإرادة القويّة والعزيمة الراسخة، فيسألون الله عزّ وجلّ وبواسطة الدعامة والرصيد الفكري الرصين الذي يتمتّعون به نيل التوفيقات والأهداف المقدّسة.

---

١. بحار الأنوار: ٤٠٩/٦٩، نهج البلاغه: الكلمات القصار ١٠٩.

٢. بحار الأنوار: ٣١٠/٦٧.

من أسرار أهميّة الفكر

إنّ الفكر والتفكّر هما الطريق المستقيم نحو الوصول إلى معرفة الحقائق الكونية، وحينما يتطبع الفكر ويستمرّ لفترة طويلة على التناغم مع المسائل المعنويّة، فسوف ينجر الإنسان بصورة عفويّة وغير مخطط لها مسبقاً صوب المعنويات والروحيات.

وبالتأكيد فقد يوجد في الفكر قوى جذابة تعمل على ربط الشخص المتفكر بالقضيّة التي يفكر بها وتنشأ علاقة بينهما.

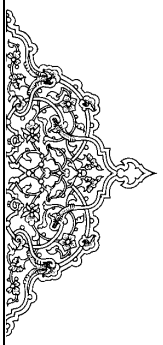
ويعتبر وجود هذه القوى واحداً من الأسرار المهمّة للأهميّة المترتبة على الفكر والتفكّر، وعلى أساس وجود هذه القوى يفكر الفرد حول الأشياء والأفعال الحسنة والقبيحة، وتعمل على استمراره بعدم الفتور في التفكّر إلى أن ينجذب رويداً رويداً نحو الحسن، أو لذلك الشيء الذي كان يفكر به، وتدفعه نفس تلك القوى إلى ذلك.

وهذه حقيقة صُرح بها في الروايات والأحاديث الواردة عن أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين وجاء التأكيد عليها؛ لأنّ الأفكار الحسنة والمتعالية تصفي القلب، وتطهرّه من الأدران، وتنوّر باطن الإنسان، على عكس الأفكار المنحرفة والقبيحة والغفلة التي قد تصيبه، فإنّها توجد الظلمات والعتمة على قلبه، فتقوده إلى كارثة تقتل الآمال وتميت الحياة.

إنّ الإنسان الذي يفكر ويتأمّل يحمل في باطنه الخصوصية النورانية والصفاء القلبي، وأمّا الإنسان الغافل والذي لايتمتع بتلك النعمة فيكون قلبه مظلماً ومتصدأ.

يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة «الوسيلة»:

اَلْفِكْرُ تُورِثُ نُوراً وَالْغَفْلَةُ ظُلْمَةً.[1]



١. تحف العقول: ٩٣.

لأنّ التفكّر إذا كان مبنيّاً على أساس طلب الحق والحقيقة والكمال، فإنّه مبيّن على الحقيقة وبيان الوقائع، وتكون الحقائق الكونية في حدود ذهنية الإنسان المتفكّر ومهمّة منوطة به، وهذا الموضوع يكون باعثاً على إيجاد الصفاء والنورانيّة، ولكن الغفلة عن تلك الحقائق تزيد حالة الظلمة الموجودة وتضاعفها.

ومن الواضح فإنّ التغيّر والتحوّل الذي يحصل في قلب الإنسان نتيجة كثرة الفكر والتفكّر يساعده ويجعله على مقدار كافٍ من الإستعداد للعمل واستخلاص الحقائق، ولهذا يصبح الفكر والتفكر عاملاً ضاغطاً لإيجاد القوّة العاملة عنده. ومن هذا الباب فإنّ الفكر لايهيّئ الإنسان للقيام بالمسائل التي يفكر بها فحسب، وإنّما يوجد عنده ـ ونتيجة التدوام على طبيعة الفكر ـ القوّة العاملة وقوى العمل، فتسوقه باتّجاهه، وبالنتيجة تطبيق الفكر والتفكّر على أرض الواقع بصورة عملية وسلوكية.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

التَّفَكُّرُ يَدْعُو اِلَى الْبِرِّ وَالْعَمَلِ بِهِ.[1]

وبالطبع فإنّ عمليّة الفكر والتفكّر حول خلقة الإنسان، والهدف من وراء خلقه، وفي النهاية العاقبة التي ينتهي إليها، تضعه في طريق الخير والصلاح ومقام «العبودية» الخالصة للبارئ سبحانه وتعالى.

إنّ الإنسان يستطيع ومن خلال الفكر والتفكّر، والوصول إلى مقام «العبوديّة» ويلزمه على توظيف طاقاته وقواه العظيمة التي هي موجودة في داخله بصورة خفية وبالقوّة، ويجعلها فعليّة وظاهرة للعيان.

١. بحار الأنوار: ٣٢٢/٧١، عن اصول كافى: ٥٥/٢.

أثر التفكّر بالمعاصي

من المؤكّد فقد يوجد في داخل الإنسان الإستعداد الكافي للتحلّي بأيّ صفة كانت سواء الحسنة منها أو السيّئة، وأيضاً يحمل إمكانيّة لوجود النزعات الخلقية، وبالطبع فإنّ للفكر والتفكّر القابلية لتحويل الأعمال الصالحة أو الطالحة إلى الحالة الفعليّة، وإخراجها من مرحلة الإمكان والقبول بها كحقيقة واقعيّة.

وهذه هي قاعدة وحقيقة عامة وكليّة، ولايمكن تخصيصها بالأعمال الصالحة. وهذا معناه أنّه حينما يتعامل الإنسان، ويفكر بالأعمال الحسنة والصالحة ينجر إليها، ويطبقها بشكل عملي، كذلك فإنّه ينجر إلى المعاصي والشهوات الحيوانية بمجرد التفكير بها، ومن ثَمّ تأتي مرحلة تحويلها إلى خطوات عمليّة.

عن الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال:

مَنْ كَثُرَ فِكْرُهُ فِي الْمَعٰاصي، دَعَتْهُ اِلَيْهٰا.[1]

وقال عليه السلام في موضع آخر:

مَنْ كَثُرَ فِكْرُهُ فِي اللَّذٰاتِ، غَلَبَتْ عَلَيْهِ.[2]

ومن هذا الباب فإنّ الفكر والتفكير الإنساني يستطيع تغيير المستقبل، وأن يدخل في استحقاقات جديدة من شأنها أن تؤدّي إلى إيجاد تغيّر كبير في نمط حياته وطبيعتها. ولهذا السبب نرى مدى الأهميّة التي أولاها أهل بيت العصمة والوحي عليهم السلام في أحاديثهم لمسألة الفكر والتفكّر، والتأكيد على أتباعهم ومحبّيهم للعمل بهذا الموضوع الهامّ والحساسّ؛ وذلك لأنّ قيمة الفكر

١. شرح غرر الحكم: ٣٢١/٥.
٢. نفس المصدر: ٣٢٢.

والتفكير في الأُمور العظيمة إذ ما قورنت بالعمل والسلوك يكـون مـثلها مـثل قيمة الروح والنفس في قبال الجسد.

التفكّر، يضاعف درجات الإيمان واليقين

إنّ عمليّة التفكّر في المخلوقات ونظام الخلقة المنظم والكائنات الموجودة في الكون، تزيد من الإيمان واليقين في قـلب الإنسـان، وتـحكم وتـضاعف الإعتقاد بوجود الله عزّ وجلّ وبقيّة العقائد الأُخرى، وبالتأمّل في خلق المليارات من النجوم في المجرات المختلفة ـ وكثرة تلك النجوم في المجرّات، وعـدم وجود الإمكانية، والقدرة على إحصائها على الرغم مـن التـطوّر الهـائل الذي حصل في المجالات العلميّة ـ وما لها الترتيب والتنظيم الخاص بها، دليل قاطع على وجود الخالق المدبر والمقتدر.

وبطبيعة الحال فإنّ الفكر البشري عاجز عن إدراك عظمة الكون ومخلوقاته، فحينما يشاهد ما حوله من إبداع وتنسيق يبدأ بالتفكّر والتأمّل حوله، فيواجـه الكثير من الأسرار والعظمة، ويصل إلى نتيجة مفادها أنّه عاجز تماماً عن إدراك الحقائق التي يتضمنها، ولكن في ذات الوقت يشاهد ظـواهـر وآيـات تـحيي القلوب وتنيرها بضياء المعرفة، فتكون هذه القضية ذات وقـع فـي النـفوس، فتزيد الإيمان واليقين بوجود خالق مقتدر ورحيم.

إنّ التمعن والتأمّل في عالم الملكوت من الصفات والخصال التي يتمتع بها أولياء الله تعالى، فهؤلاء ومن خلال التحليق في عالم الفكر والتفكّر يصلون إلى كشف الأسرار التي يحويها هذا الكون العظيم، فتراهم لايحصرون تلك النظرة والبصيرة القلبية لهم فقط، وإنّما يجعلون أتباعهم وأصحابهم يتعاملون مع ذلك الأمر والحثّ عليه.

يقول لقمان الحكيم في وصاياه لابنه:

اَطِلِ التَّفَكُّرَ في مَلَكُوتِ السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ وَالْجِبٰالِ وَما خَلَقَ اللهُ،

فَكَفٰى بِهٰذا واعِظاً لِقَلْبِكَ.[1]

إنّ مسألة التفكّر والتأمّل الطويل الذي أوصى به لقمان الحكيم ابنه فيها الكثير من المعطيات والنتائج والآثار الإيجابية التصاعديّة، فإذا استمدّ الإنسان منها ونفذها فإنّها ستزيد من نجاحاته، فتصبح حياته لاتخلو من الهدفيّة، فيكون العامل الأبرز في إيجاد التغيّر والتحوّل في مستقبله؛ إذ إنّ نفس عمليّة التفكّر في عالم ملكوت السماوات والأرضين وسائر المخلوقات والكائنات الإلهيّة، يوجد الإعتقاد الراسخ والرؤية الثاقبة التي توصل بالإنسان إلى الفوز برضا الله سبحانه وتعالى وهو الفوز العظيم.

يصرّح القرآن الكريم في هذا الشأن فيقول:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ لَآيٰاتٍ لِأُولِي الْأَلْبٰابِ * اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيٰاماً وَقُعُوداً وَعَلٰى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنٰا مٰا خَلَقْتَ هٰذا بٰاطِلاً سُبْحٰانَكَ فَقِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ﴾.[2]

ومن الواضح فإنّ الفكر والتفكّر والتأمّل لهؤلاء حول خلق السموات والأرض لايختصّ بالجانب الملكي، وإنّما تتوسّع دائرته ليشمل حتى الجانب الملكوتي، وفي خضم ذلك فإنّ كلّ من يفكر بالخلقة الماديّة والملكوتيّة للكون يصل إلى قناعات تضاعف من يقينه وإيمانه.

١. بحار الأنوار: ٤٣١/١٣.
٢. آل عمران: ١٩٠ و ١٩١.

التفكّر وسيلة للبصيرة والتبصر وبُعد النظر

ويمكن القول من خلاصة ما سبق بأنّ الإنسان إذا تفكّر وتأمّل في عاقبة العمل الذي يريد الأقدام عليه، ودراسة جميع جوانبه سوف يصل فيه إلى برّ الأمان، ويحصل على أعلى مراتب النجاح والتوفيق، وبالتالي لايقع في مجاهل الحيرة والندم.

عن أمير الكلام والبلاغة الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال:

اِذٰا قَدَّمْتَ الْفِكْرَ في جَميعِ اَفْعالِكَ، حَسُنَتْ عَواقِبُكَ في كُلِّ اَمْرٍ.[1]

وهذا حاصل باعتبار أنّ التفكّر في كلّ فعل وعمل يبعث على إيجاد نوع من البصيرة والتبصر حول عاقبة ما سيؤول إليه من نتائج.

وانطلاقاً من هذا الأمر فإنّك ترى أنّ أولياء الله والمخلصِين وأولئك الذين نالوا القرب الإلهي، وكلّ من أخذوا من معين أهل بيت الوحي والرسالة عليهم السلام الرقراق والعذب وأضحوا من أصحابهم وأتباعهم الحقيقين يتمتّعون بخصلة التفكير والتفكّر حول عاقبة أعمالهم وأفعالهم.

ويبدو أنّنا لانبالغ إذا قلنا: إنّ كلّ من انتهل من درر وعطايا أهل البيت عليهم السلام وارتوى من عذب مائهم الذي هو ماء الحياة، وتنور قلبه بنور أنوارهم وإشعاعاتهم الوهاجة، وتشبع بعلومهم ومعارفهم التي استقطبت أرواحهم وعقولهم، فقد جند كلّ قواه الفكريّة العظيمة ـ والتي هي من أكبر النعم الإلهية ـ فاصبح ممّن لديهم البصيرة وبُعد النظر في كلّ الأُمور والقضايا.

ولا شكّ فإنّ من العوامل التي تلعب دوراً مهمّاً وأساسيّاً في إيجاد المعرفة والهداية ووضوح في الرؤية والاطّلاع على حقائق الأُمور هي عامل الفكر والتفكّر والتأمّل:

---

١. شرح غرر الحكم: ١٦٢/٣.

قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

لَا بَصِيرَةَ لِمَنْ لَا فِكْرَ لَهُ.[١]

إذن فإنّ الشخص الذي لايحمل آفاقاً رحبة من التفكير يكون فاقداً للبصيرة وقلبه أسود خالي من النور والضياء والهداية.

وعلى أساس ذلك يمكن للفكر والتفكّر أن يجلي القلب من الأدران والشوائب العالقة به، ويطهره ويجعل النور والبصيرة تحل محل الظلمة فيه.

كما حدث ذلك للحر بن يزيد الرياحي رضوان الله عليه في واقعة الطف، إذ إنّ الإحترام الذي كان يكنه لمولاتنا الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام زرع في وجوده التفكّر في نتيجة الحرب ومقاتلة الإمام سيد الشهداء عليه السلام، وفي النهاية أوصله ذلك الفكر ـ والذي تبلور كما قلنا نتيجة الاحترام لسيّدة نساء العالمين عليها السلام ـ إلى النجاة وأن يكون ضمن شهداء كربلاء الذين سيذكرهم التاريخ ويقف لهم إجلالاً وإكباراً مادامت الحياة تبض.

ومع أنّ الحرّ كان من جيش ابن زياد اللعين الذي امتلأت بطنه من أكل الحرام، ولكن في لحظة ما فكر وتأمّل، فأنقده ذلك التفكّر من اللعنات الأبديّة والخزي والعار الذي كان سيلحقه في الدنيا والآخرة لو أنّه بقي في ذلك الجيش.

ومن الواضح فقد فعل كلام الإمام الحسين عليه السلام فعلته، فجعل الحرّ يفكّر فيه مليّاً فحدّ من غضبه وانتقامه، فتنازل عن ألقابه الدنيوية وتواضع أمام عظمة الإمام عليه السلام فالتحق بركبه واستشهد بين يديه صابراً محتسباً.

وهنا نستشهد بكلام لأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعتبر بحقّ ضابطاً أخلاقيّاً في رسم معالم الطريق والهداية، إذ يقول فيه:

دَعِ الْحِدَّةَ وَتَفَكَّرْ فِي الْحُجَّةِ وَتَحَفَّظْ مِنَ الْخَطَلِ، تَأْمَنِ الزَّلَلَ.[٢]

---

١. شرح غررالحكم: ٤٠١/٦.

٢. شرح غررالحكم: ١٩/٤.

وهكذا سار الحر وقرأ الواقع وتعامل معه متأنّياً واستطاع رسم معالم مستقبله، وذلك من خلال البصيرة وبُعد النظر.

وبضرس قاطع نقول: لو أنّ أهل السقيفة جاء موقفهم مطابقاً لموقف الحرّ وأنّهم تفكّروا قليلاً وتأمّلوا بالعاقبة التي ستؤول بهم وقبلوا بالمشروع الذي جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولم يحملوا الأُمّة على نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام لما كانت حالة المسلمين قد وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم، ولكن مع الأسف نجد الحسرة تلف الجميع لعظم مافرط به هؤلاء القوم.

ومن هنا يبيّن الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام أنّ البصيرة وبعد النظر هي من نتاجات وآثار الفكر والتفكّر الصحيحين فيقول عليه السلام:

مَنْ فَكَّرَ أَبْصَرَ الْعَوٰاقِبَ.[1]

إنّ كسب البصيرة والرؤية الثاقبة هي من أفضل الوسائل والآليات لتهذيب النفس وترويضها وموعظتها، وهي من الخصال التي ينفرد بها أولياء الله الصالحون، ولا شكّ فإنّ أفضل طريق للحصول عليهما هو طريق التفكّر والفكر والتأمّل.

وعليه نقول: لقد وصلت الشخصيات الكبيرة والعظيمة إلى نوع من البصيرة والرؤية الواضحة وتشخيص الأُمور التي ينبغي العمل بها والأهداف التي يجب أن تنطلق منها وجعلها تنصب لصالح حركتها الإجتماعية سواء الفردية كانت أم الإجتماعية والمستقبل الذي تتأمّله، وذلك من خلال التفكّر والفكر حول مفاصل المجتمع وأفراده والوضع السائد والمستقبلي.

وقد ورد عن الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام قوله:

مَنْ طٰالَتْ فِكْرَتُهُ، حَسُنَتْ بَصيرَتُهُ.[2]

---

١. شرح غررالحكم: ٣٢٤/٥.

٢. شرح غرر الحكم: ٢٧٢/٥.

لأنّ نفس عمليّة التفكّر ستكون كالمرآة الصافية التي تعكس لك الصورة كما هي، من دون أيّ ضبابية وتشويش، بشرط أن لايكون الفكر ملوثاً بالأغراض والمصالح الشخصية الضيقة.

عن الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام قال

اَلْفِكْرُ مِرْآةٌ صافِيَةٌ.[1]

وعليه فإنّ التفكّر يعكس لك الحقائق كما تبدو منوط بالاستفادة من خصوصية ذلك التفكّر والتفاعل معه.

صيام التفكّر

لايوجد في التشريع الإسلامي السمح فريضة تعرف باسم صيام السكوت، وكذلك للصوم والامتناع عن الآكل والشرب في الليل وهما غير ستاغين عقلياً وعرفياً، ولكن نرى أنّ من وصل إلى قمة الهرم في الأُمور والقضايا المعنوية هو الذي مارس الصوم الفكري بدلاً من الصوم السكوتي والحرص على عدم تلويث الذهن بالأفكار السيّئة والمستهجنة وهذا هو دستور عمل وخارطة طريق ورد عن أهل البيت عليهم السلام يجب أن يضعه الإنسان نصب عينيه.

عن الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام قال:

صِيامُ الْقَلْبِ عَنِ الْفِكْرِ فِي الْآثامِ اَفْضَلُ مِنْ صِيامِ الْبَطْنِ عَنِ الطَّعامِ.[2]

وعلى هذا الأساس فإنّ المعيار في هذا الموضوع هو نقاوة الفكر والتفكير وعدم تدنيسه بالأفكار القبيحة، فإذا استطاع الإنسان الوصول إلى هذه المرحلة

١. أمالي الطوسي: ١١٤/١، بحار الأنوار: ٤٠٣/٧٧.
٢. شرح غرر الحكم: ٢١٤/٤.

فإنّه حينئذ يصون النفس من المعاصي والآثام والأعمال الطالحة، وفي هذه الحالة يكون مثلُ الفكر مثلَ المرآة الصافية، حيث يعكس لك الحقائق كما هي، ويبيّن بشكل لايشوبه شك أنّ صيام الفكر يمكن أن يكون أفضل طريقة وضعت للإنسان للنجاة، وهي كفيلة بالفعل لترقيه والصعود به في سلّم المدارج العالية للسير المعنوي.

ولو أمعنا النظرلوجدنا أنّ صيام الفكر والتفكير قادر على التحليق بروح الإنسان إلى أعلى المراتب والارتفاعات، فيصل به إلى عالم المعنى وبلوغ الذروة في الترقي والتطور.

وإذا تمكّن الإنسان بمجهوده الفكري النجاح في القيام بعمليّة الصيام تلك، فلا غرو من أنّه هزم الشيطان مع أنّ الشيطان عدو ضعيف بالنسبة إلى المؤمنين وتنصب قدرته على إغواء البعض من بني البشر، حيث يستفيد من النفس الأمارة التي هي بين جنبيهم لجرّهم إلى الجادة المنحرفة والمعوجة.

ويتمكن الشيطان ومن خلال وسوسته في النفس من جرّها وجعلها تتناغم مع مايريد وبمساعدتها يقود الإنسان إلى متاهات الفساد والظلم ويسلب منه السعادة في الدارين.

ولا شكّ فإنّ الأسلوب الأمثل للوقوف أمام حبائل الشيطان ووساوسه وحديث النفس وإغراءاتها هو الابتعاد كلّ البعد عن الأفكار الدنيويّة الضيّقة، فهي كفيلة لصهر النفس في بودقة الهداية واجتناب المعاصي والآثام، وبذلك تبني المقومات والقواعد المتينة للسعادة السرمدية؛ باعتبار أنّ التفكّر السليم والفكر الصحيح يوضع الأُطر السليمة للنجاة من المتاهات والأفكار الدنيوية والتي عادة ماتكون أساساً لجلب الشقاوة والتعاسة، وفي النتيجة يرسم له عاقبة تحقّق له كلّ ما كان يطمح إليه ويبغيه.

الآليات التي من شأنها الحفاظ على التفكّر سليماً

١ ـ الدقّة والتأمّل

لا شكّ ولا ريب فإنّ الدقة والتأمّل في الأفكار ودراسة أبعادها بكلّ جوانبها تلعب دوراً مهماً وحيوياً في تصحيح مسارها وبلورتها بشكلها الحقيقي ورصد ومعالجة الرؤى المنحرفة، ففي المناجاة التي جاء بها الملك المقرب جبرائيل للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ـ لكي تستفيد منها الأمة ـ نقرأ فيها:

وَأَلْهَمْتَني رُشْدي بِتَفَضُّلِكَ، وَاَجْلَيْتَ بِالرَّجاء لَكَ قَلْبي وَاَزَلْتَ خُدْعَةَ عَدُوّي عَنْ لُبّي وَصَحَّحْتَ بِالتَّأْميلِ فِكْري...[1]

والمستخلص مما ذكر هو إذا استطاع الإنسان تعويد فكره وتفعليه على التأمّل والنظر سوف يبقى سالماً ونقياً ومعافى ويسمو إلى مراتب عالية، وفي ذلك الحين تطفو على السطح أفضل الأفكار وأحسنها؛ لأنّ نفس عمليّة التأمّل تبعد الأفكار غير الصحيحة وتبدلها إلى أفكار صحيحة تهضم الأهداف الّتي انطلق بها وتجعلها تتصب لصالح حركته الفرديّة والإجتماعيّة.

٢ ـ الإجتناب عن الإكثار من الطعام والشراب

من الضروري بمكان اجتناب عملية الاكثار من الطعام والشراب؛ ولذلك لأجل تصحيح الأفكار والقدرة على امتلاك معايير تكون بمثابة دلالات كي لايضلّ الطريق؛ لأنّ الآكل والشرب إذا خرج عن قاعدة الاعتدال يضع بصماته المهمّة في إفساد الفكر والتفكير، فيفتقد الإنسان الإرادة وقدرة الضبط والسيطرة، فتثور عنده الشهوات المادية وتستفحل ويصبح عرضة للانغماس في الشهوات.

---

١. بحار الأنوار: ١٦٣/٩٥.

وفي الحقيقة والواقع فإنّ راحة البال والفكر وسكينته لها ارتباط وثيق الراحة الجسدية، فعلى ضوء هذا يمكن أن يكون الفكر في أحسن حالاته إذا لم يصب الجسم بنوع من الثقل والعياء والخمول إثر الإكثار من الطعام والشراب، وفي هذه الحالة يشعر الفكر بالراحة والسكينة وفي النتيجة يصان من طغيان الأفكار السيئة وهجوم الشيطان المارد.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

مَنِ اقْتَصَرَ في أَكْلِهِ كَثُرَتْ صِحَّتُهُ وَصَلُحَتْ فِكْرَتَهُ.[1]

وتشهد عملية الإكثار من الطعام والشراب تصاعداً في الأبخرة إلى الدماغ، مما يساعد على قدرة نفوذ الشيطان والعبث بمقدرات الإنسان، ولهذا تزداد الأفكار الفاسدة ووساوس الشيطان والعكس صحيح، وعليه فإنّ الأكل والشراب القليل يصلح الفكر ويجعله يشكل نقطة فارقه في صنع إنسان سوي ومستقيم.

٣ ـ الإجتناب عن معاشرة أصحاب الأخطاء الفكريّة

وينبغي لكلّ من يريد امتلاك الفكر السليم والتفكير الصحيح اجتناب مجالسة ومصاحبة أصحاب الأخطاء والزلات الفكريّة المتعددة والمتكررة، حيث إنّ اجتناب هذه الجماعة الممقوتة يحفظ الإنسان من الأخطاء الفكريّة والوقوع فيها، ومن الطبيعي فإنّك ترى أنّ الأشخاص الساذجين والذين عادة ما ينخدعون بسهولة بحيل الآخرين هم غالباً ليس لهم القدرات اللازمة من الناحية الفكريّة ويكونون على درجة واطئة من الوعي واليقظة والحذر.

عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال:

مَنْ ضَعُفَتْ فِكْرَتُهُ قَوِيَتْ غِرَّتُهُ.[2]

---

١. شرح غرر الحكم: ٣٧٢/٥.

٢. شرح غرر الحكم: ٢٨٠/٥.

وكذلك فانك ترى أنّ كلّ المقدمات الأولية مهيئة لأولئك للإنخداع والإنحراف؛ باعتبار أنّ مقا هؤلاء الأفراد لهم بصيص قليل من الفكر والتفكّر من جهة، ومن جهة أُخرى تكون قوّة الوهم والنسج الخيالي عندهم في أعلى المستويات، وعلى هذا الأساس يرفعون راية الاستسلام سريعاً للآخرين ويكونون بالتالي أدواتٍ طوعيّةً بيدهم.

وهذا الأمر ناشئ من أنّ تفوّق الوهم والخيال يمهد الأرضية المناسبة والمناخ المساعد لإيجاد حالة القبول، ولكن الفكر والتفكّر ومن بعده مرحلة الدليل والبرهان تجعله لايستسلم إلى عمليّة القبول إلاّ بتحقّق جميع الشروط والظروف والمناخات الملائمة؛ ولهذا السبب جاءت التأكيدات من جانب الأئمّة الأطهار عليهم السلام على اجتناب مصاحبة الأشخاص الذين لايهتدون إلى طريقهم إلاّ بصعوبة نتيجة ضعفهم الفكري لكي لاتنتقل عدوى الأخطاء الفكريّة إليهم والإنجرار إلى عواقب لاتحمد عقباها.

التمركز الفكري يرفع درجات القدرة على التفكّر

إنّ الإنسان الذي يعيش حالة الفكر والتفكّر بكلّ وجوده وفي طوال مراحل حياته يتمتع بذهن مطمئن وراحة بال؛ لأنّ مسألة التشويش الذهني تكون مانعاً وعقبة لإيجاد حالة التمركز المطلوبة، فتتبع تلك العملية فقدان أي شعور بالتمركز بالنسبة تجاه أي نوع من التفكير والحد من قدرته.

ومن هنا ينبغي للإنسان الذي يريد إيجاد حالة من الفكر والتفكير في داخله، تهيئة المحيط الملائم والهادئ وذهن مستريح ومطمئن، والابتعاد عن الظروف والأسباب التي تشتت الفكر والتفكير وتجعله يتجه إلى هذه الفكرة أو تلك، وكذلك اجتناب التفكّر في الحالات العصبية والاضطرابات النفسيّة وإفرازاتها؛ لأنّه في هذه الحالة لايمكن بحال من الأحوال السيطرة بشكل كامل على الفكر والتفكّر.

ويقتضي التنبيه بهذا الصدد إلى أنّ الفرد إن استطاع من إيجاد القدرة على التمركز الفكري فسوف يتمتّع بتفكّر وفكر قوي ومؤثّر للغاية؛ باعتبار نفس عملية التمركز تضاعف القدرات الفكريّة، ولهذا تراه يتمتع بقدرة كبيرة، وهذا مما يزيد ضرورة ووجوب تعلم الطريق الصحيح والمناسب للتمركز الفكري ورفع العقبات والموانع التي تقف حائلاً دون ذلك.

وبما أنّ التمركز الفكري ينبع من الحالات الروحية للإنسان وأنّ الحصول عليه يتطلب القدرة المتزامنة للسرعة، فعليه يجب أن يقوم الإنسان بالتمرين وممارسته دوماً لكي يتمكن وبمرور الأيّام من إيجاد هذه القدرة والقابلية لديه.

وحينما يحصل ذلك الإنسان على القدرة في التمركز الفكري ويستفيد منها بالنحو المطلوب، فسوف يفتح له باب النبوغ على مصرعيه.

إنّ هناك الكثير من العلماء والباحثين والطلبة يتمنى الوصول إلى ما وصل إليه «النوابغ» أو يغبطونهم على ذلك المقام والمنزلة التي نالوها، ويشعرون بعدم الإرتياح؛ لأنّهم لم يروا أنفسهم بهذه الحالة أو المنزلة، بينما يكتب بعض العلماء والمحقّقين عن هذا الموضوع ما يلي:

«إنّ الفرق الواضح بين رؤية ونظرية الشخص النابغة عن الشخص العادي هو أنّ الشخص النابغة يستفيد بطريقة خاصة من مساحة أوسع من مساحات ذهنه، وانت ايضاً قادر بالفعل على الإستفادة بطريقة خاصة من مساحات كبيرة من ذهنك.»[1]

إنّ البعض يعتقد بأنّ الشخص النابغة يتمتع منذ نعومة أظفاره بحالة من الذكاء العجيبة وحافظة خارقة للعادة، ولكن هذا الاعتقاد غير صحيح وفي غير محله؛ لأنّنا نرى أنّ الكثير من هؤلاء لاتظهر عليهم حالات النبوغ إلى مراحل متقدمة من العمر، حتّى إنّ البعض منهم في أعين معلميهم أو والديهم كانوا في صغرهم من البلداء ومن هؤلاء «انشتاين» الذي هو واحد من النوابغ الذين

١. القوى الغريبة للدماغ: ١١٩.

عرفوا في أوساط مجتمعهم.

وحسب القاعدة والأصل المعروف فإنّ عالم النبوغ يظهر عند النوابغ في أواخر سنين عمرهم [1]، ومع أنّ الكثير منهم تظهر علامات النبوغ عليهم في صغرهم، ولكن هذا دليل غير كافٍ على أنّ جميع النوابغ تتجلى فيهم تلك الحالة في مرحلة الطفولة؛ لأنّه وكما قلنا فإنّ من الممكن أن يوظف الإنسان قواه العقلية والدماغية في مرحلة عمرية معينة فيتمتع بخصائص خارقة للطبيعة ويصبح إنساناً جديداً واستثنائياً.

إنّ التمركز الفكري طريق مؤثّر من أجل توظيف وتجيير القوى الدماغية، وبالتالي الإستفادة الأكبر من قدرات وإمكانيات الفكر.

وقد يتمتّع الفكر وتمركزه بأهمية خاصة ولم نتمكن إلى الآن من الإلمام ومعرفة القدر اليسير من أسراره وخباياه، ولا شكّ فإنّ عملية تجسيم الأفكار وإيجاد الحالات الفكريّة هي من المسائل العلمية التي ظل الإنسان يجهلها وعاجزاً عن درك حقيقتها.

وكما ظلت مسألة حقيقة الروح لغزاً محيّراً لم يتمكن الإنسان من حلّه كذلك حقيقة الفكر والتفكير، فهي من القضايا التي استعصيت على البشرية وأصبحت من المجاهيل؛ والسبب يعود في ذلك إلى أنّ الفكر ينبع من الروح الإنسانيّة، وبما أنّ الإنسان قد فقده روحه؛ لذا فهو غير قادر على القيام بالفكر والتفكّر، إذن فإنّ الفكر هو حاصل ونتاج الروح، وإنّ الدماغ وسيلة للروح التي تظهر بدورها الفكر والتفكير، كما أنّ العين هي وسيلة للروح، حيث إنّ الإنسان قادر وبواسطة تسلط الروح عليها من مشاهدة الأشياء.

١. تقوية وتمركز الفكر: ١٣٢.

نتيجة البحث

يمكن للإنسان إستخراج أغلى الكنوز من عقله ، والإستفادة منها في مراحل حياته المختلفة، وذلك عن طريق وسيلة الفكر والتفكّر.

إنّ عمليّة التأمّل وإعمال الدقّة الفكريّة تمكن الإنسان من توظيف أفكاره ، فيحصل على مجوهرات ولئالي لاتقدر بقيمة بحيث تكون الكنوز المادية لاشيء أمامها .

ينبغي للإنسان أن يمركز قواه الفكريّة ، وبذلك يمكنه عن طريق ذلك مضاعفة قواه الدماغية .

ولا يمكن من خلال الفكر والتفكير إيجاد التحوّل والتغيّر في الذهن والوعي فقط ؛ وإنّما يمكن للفرد من تغير حتى الضمير اللاواعي له .

إنّ الفكر هو الجاذبيّة المغناطيسية للروح ونفس الإنسان ؛ لأنّه كلّما يفكر بموضوع ما ينجذب إليه .

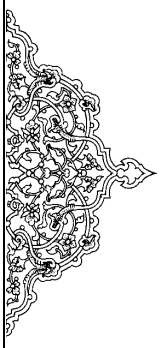
حينما يفكر الإنسان حول فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام تحلق روحه عالياً لتسارع وتحط عند تعاليمهم ومنهجهم الوضاء بما يخلق روحاً عمليّة وسلوكاً ميدانيّاً على سبيل الإقتداء بهم والتقرب إليهم.

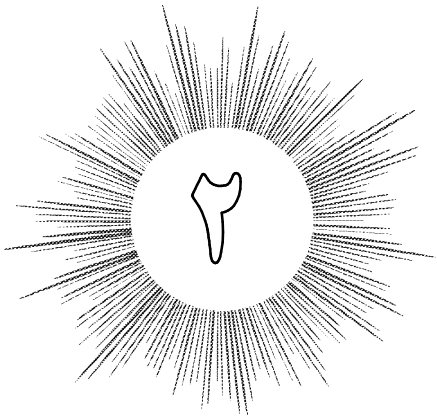
بالتدبّر والتأمّل حول عظمة عالم الكون وملكوت السماوات والأرضين، تتجلى الآيات الإلهيّة ويوجد تحولاً عظيماً في داخل الإنسان.

يجب على الإنسان إجتناب مجالسة ومعاشرة أصحاب الأخطاء الفكريّة ،ومصاحبة كلّ من يحمل الفكر الثاقب والتفكير الوقاد .

يـــا أيّـــها الإنســـان مـــهلاً واتـــئد
واشكـــر لربّك فـــضل مـــا أولاكـــا
يـــا أيّـــها الإنســـان مـهلاً مـا الّـذي
بـــــالله جـــــلّ جـــلاله أغـــراكـــا

أفـــإن هـــداك بـعلمه لعـجيبه
تـــزورُ عـنه ويـنثني عِـطفاكـا
لله فـــي الآفـــاق آيـــات لعـلّ
أقـــلّها هـو مـا إليـه هـداكـا
ولعـلّ مـا فـي النفس مـن آياته
عـجب عـجاب لو تـرى عـيناكـا
والكـــون مشـــحون بـأسرار إذا
حـــاولت تـفسيراً لهـا أعـياكـا





الإستشارة

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

أفضلُ مَن شاوَرْتَ ذُو التجارِب

ضرورة الإستشارة

يتكامل المستوى الأمثل للسعي والمثابرة والجدّية ويؤتي بنتائجه المرجوة ويكون مفيداً ويحفز على الاستنهاض والحركة على طريق الكمال، عندما يوضع ويسير على المسار الصحيح، وتنعكس الصورة تماماً حينما يتقاطع سعي الفرد مع ظروف غير صحيحة ويسير باتجاه معاكس للتيار، ففي ذلك الوقت لايترك سوى الجهد والنصب وإتلاف العمر.

ومن هذا المنطلق يجب على الإنسان أن يدرس جوانب كلّ عمل ومشروع يريد الدخول فيه وإيجابيّاته وسلبيّاته والتعامل معه بأنية ووقتية كافية والاجتهاد في معرفة نجاحاته وعوامل فشله، ومن ثم البدء بتنفيذه، وبذلك يمكنه ضمان الحصول على النتائج المنشودة والثمرات النافعة التي يمكنه أن يجنيها باتباعه ذلك المنهج.

وأمّا إذا لم يستطع الإنسان من الوصول إلى النتائج الواضحة من عمله هذا وتجلت له صورة ضبابية وقاتمة لايمكن له تشخيص الصواب عن الخطأ، ففي هذه الحالة ينبغي له استشارة الأشخاص من ذوي الخبرة والاطلاع وبعد ذلك

يشرع بكل قوة وجهد ومثابرة العمل بهيكلية المشروع الذي يعتزم القيام به.

يقول الرسول الأعظم ﷺ في رواية منقولة عنه:

تَواضَعْ لِلّٰهِ، يَرْفَعْكَ اللهُ وَلاتَقْضِيَنَّ اِلاّ بِعِلْمٍ، فَاِنْ اَشْكَلَ عَلَيْكَ اَمْرٌ، فَسَلْ وَلاتَستَحْيِ، وَاسْتَشِرْ ثُمَّ اجْتَهِدْ فَاِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اِنْ يَعْلَمْ مِنْكَ الصِدْقَ يُوَفِّقُكَ.[1]

وكما تلاحظ عزيزي القارئ فإنّ النبي الأكرم ﷺ يوصي بالسؤال والاستشارة في الأُمور المستعصية ومن ثم الاجتهاد والسعي.

الإستشارة دعامة للتطور والرقي

إنّ من يطلب المقامات المعنوية المتعالية والوصول إلى الدرجات العالية في العبودية لله سبحانه وتعالى والبحث على طريق الكمال المنشود في التقرب إلى أهل بيت الوحي والنبوة عليهم السلام يجب أن يضع حقيقة أمامه وهي:

إنّ الإستشارة هي واحدة من أفضل وأسلم الطرق والآليات الناجعة للترقي وتعتبر بحق دعامة كبيرة لمن يريد تحقيق المجد التليد والعلا السديد.

وما أجدر هؤلاء الذين هم في بداية السير المعنوي وليس لهم المعرفة بالآيات القرآنية والروايات والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إلى استشارة العقلاء والمتقين من الرجال والإستفادة من عقولهم وتجاربهم وإرشاداتهم والتي هي بمثابة مصابيح تنير لهم الدرب.

ومن الواضح فإنّ الإستشارة يجب أن تقوم على أساس متين وتجرى مع من تبوأ موقعاً مهماً من الفهم والإدراك والعلم ويمتلك جلّ المقومات الحيوية والفاعلية ويحمل منظومة فكرية وعلمية شاملة - وليس مع أولئك الذين لم تكتمل شخصيتهم بعد وينضج عندهم القرار والموقف المسؤول - وحينئذ يستشعر باعتزاز يغمر نفسه

١. بحار الأنوار: ٢١/٤٠٨.

وثبات على الإقدام.

ويرى مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّ استشارة الرجال من ذوي أصحاب العقول الراجحة والتجارب الكثيرة هو دعامة عظيمة لمن يبغي الوصول إلى الهدف حيث يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

لا ظَهِيرَ كَالْمُشاوَرَة.[1]

وما أجمل ما قاله أحد الشعراء:

ولم استشر إلا تجاربي ... وهل يُصدِقُ الإنسانَ إلاّ تجاربه

أيّ الناس لهم صلاحيّة وأهليّة الإستشارة؟!

يصرّح الإمام الصادق عليه السلام في أحد الأحاديث النورانيّة الواردة عنه بأحد الشروط التي يجب توفرها في الذين يمكن استشارتهم والأخذ برأيهم فيقول عليه السلام:

اِسْتَشِرِ الْعاقِلَ مِنَ الرِّجالِ الْوَرِعِ، فَاِنَّهُ لايَأْمُرُ اِلاّ بِخَيْرٍ...[2]

ومن هنا يجب على الإنسان أن يأخذ نقطة مهمة بنظر الإعتبار وهي: قد تسبب الإستشارة أحياناً ضرراً كبيراً للمستشير، إذ تجعله ينحرف عن الجادة القويمة والخروج من بئر والوقوع بآخر أعمق منه!، ولهذا نرى أنّ أهل بيت الوحي والطهارة عليهم السلام قد ذكروا شروطاً معينة ومشخصة لمن يراد مشورته، حتى يتجنب الوقوع بمثل هذه الأخطاء وإبدالها بالخطوات الصحيحة التي ترسم للإنسان مسيرته الواضحة.

ولابدّ أن يكون الشخص الذي نستشيره يحمل مؤهلات واقعية وحقيقة للاستشارة ولديه الإلمام الكافي بالإجابة على السؤال الذي يطرح عليه، وقد

---

١. بحار الأنوار: ١٠٤/٧٥.

٢. بحار الأنوار: ١٠١/٧٥.

عينت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام الخصوصيات التي يجب أن يتمتع بها الشخص المستشار.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

شاوِرْ في أُمُورِكَ مِمّا يَقْتَضِي الدّينُ مَنْ فيهِ خَمْسُ خِصالٍ، عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَتَجْرِبَةٌ وَنُصْحٌ وَتَقْوىٰ...[1]

إذن فإنّ الأمر يحتم في المسائل المستعصية والمعقدة اسشارة الشخص الذي له مؤهلات من قبيل العقل والتجربة والحلم والتقوى والاجتباب والابتعاد عن غيره، وإلاّ قد تسبب للإنسان المستشير حالة من الضياع والتيه بدلاً من الهداية والرشاد.

وعلى هذا الأساس يجب الإذعان إلى حقيقة مفادها: يجب اتباع الأُسلوب الأمثل في الإستشارة وهو استشارة من لديه الاستعداد والمؤهلات الكافية التي تستند إلى تجارب ساخنة مأخودة من حراك المجتمع، وتبلغ الذروة العليا من الوعي والعمق.

الرأي كالليل مسوّد جانبه — والليل لا ينجلي إلاّ بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى — مصباح رأيك تزدد ضوي مصباح

وقد وردت رواية أُخرى عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام توضح بشكل أكثر الشروط التي يجب توفرها في الشخص المستشير فيقول عليه السلام:

إِنَّ الْمَشْوَرَةَ لاتَكونُ إِلّا بِحُدودِها، فَمَنْ عَرَفَها بِحُدودِها وَإِلّا كانَتْ مَضَرَّتُها عَلَى الْمُسْتَشيرِ أَكْثَرَ مِنْ مَنْفَعَتِها لَهُ، فَاَوَّلُها أَنْ يَكونَ الَّذي يُشاوِرُهُ عاقِلاً، والثّانِيَةُ أَنْ يَكونَ حُرّاً مُتَدَيِّناً، وَالثّالِثَةُ أَنْ يَكونَ صَديقاً مُواخِياً، وَالرّابِعَةِ أَنْ تُطْلِعَهُ عَلى سِرِّكَ فَيَكونَ عِلْمُهُ بِهِ كَعِلْمِكَ بِنَفْسِكَ، ثُمَّ يَسْتُرُ ذٰلِكَ وَيَكْتُمُهُ، فَإِنَّهُ إِذا كانَ عاقِلاً اِنْتَفَعْتَ

١. بحار الأنوار: ١٠٣/٧٥.

بِمَشْوَرَتِهِ، وَإِذٰا كٰانَ حُرّاً مُتَدَيِّناً جَهَدَ نَفْسَهُ فِي النَّصيحَةِ لَكَ، وِإِذٰا كٰانَ صَديقاً مُواخِياً، كَتَمَ سِرَّكَ إِذٰا أَطْلَعْتَهُ عَلَيْهِ، وَإِذٰا أَطْلَعْتَهُ عَلٰى سِرِّكَ فَكٰانَ عِلْمُهُ بِهِ كَعِلْمِكَ تَمَّتِ الْمَشْوَرَةُ وَكَمُلَتِ النَّصيحَةُ.[1]

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... بحزم نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فريش الخوافي تابع للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها ... وما خير سيف لم يؤيد بقائم

وعليه فقد تعدّ استشارة الأشخاص الذين ليس لهم القدرة على تحري السبل التي تقود إلى النجاة خطر كبير؛ لأنّه قد تأخذ بيد الإنسان إلى متاهات وشذوذ وانحراف ومزالق خطيرة للغاية.

عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

لاٰتُشٰاوِرْ مَنْ لاٰيُصَدِّقُهُ عَقْلُكَ.[2]

إنّ اللبيب إذا تفرّق أمره ... فتق الأُمور مناظراً ومشاوراً
وأخو الجهالة يستبدّ برأيه ... فتراه يعتسف الأُمور مخاطراً

القبول والعمل بعد الإستشارة

لابدّ أن يكون الهدف من وراء استشارة الآخرين هو القبول برأيهم والأخذ به برحابة وسعة صدر، ومن ثمّ مرحلة العمل به في حالة الوصول إلى الحقيقة وعدم جعل حديثهم مضيعة للوقت والجهد، وبالتالي طيه طيّ السجل ونسيانه؛ لأنّه يؤدّي إلى الحسرة والندامة وحينها لاينفع ولات ساعة مندم.

---

١. بحار الأنوار: ١٠٢/٧٥.
٢. بحار الأنوار: ١٠٣/٧٥.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ العَالِمِ الْمُجَرِّبِ تورِثُ الْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ.[1]

وعلى هذا الأساس يجب الأخذ والعمل بنصيحة واستشارة من شاورنا والذي عادة ما تكون له المؤهلات والخصوصيات اللازمة والضرورية للاستشارة، والسعي بكل همة وعزيمة لتطبيقها والتركيز عليها، لكي نضمن مفاتيح السعادة والنجاح وعدم الإصابة بخيبة آمل والندامة والحسرة والتشوش الفكري في المستقبل المنظور.

ترك الإستشارة وعواقبه الوخيمة

إنّ ترك الاستشارة في الأعمال نابع من عدم المعرفة والجهل وسريان الروح الاستبدادية والإصرار على الأنانية.

ومن المؤكد فإنّ الشخص الذي يرى سلوكه ورأيه هو الصائب والصحيح ولا إشكال فيه ولا غبار عليه ويمتنع من استشارة الغير، فإنّه يتمتّع بحالة من الاستبداد في الرأي والموقف، وبالطبع فإنّ مثل هؤلاء الأشخاص ينزلقون في مطبات خطيرة وينجرون إلى وادي سحيق بسبب هذه الصفة المذمومة.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

وَالْاِسْتِشارَةُ عَيْنُ الْهِدايَةِ وَقَدْ خاطَرَ مَنِ اسْتَغْنى بِرَأْيِهِ.[2]

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٣٥.

لو أنّ المسلمين في صدر الإسلام قد استمعوا إلى الأحاديث والتوصيات التي تحدث بها أول مظلوم في العالم علي عليه السلام وطبقوها على أرض الواقع لما جثمت الحكومات الظالمة على صدورهم وعاثت فساداً ولكن ظلت تلك النصائح والمواعظ التي رأت الأمة عواقب مخالفتها حبراً على ورق وبقت قلوبهم للحق كارهة فتكرر للأسف الشديد تاريخ الإنسانية المظلم.

٢. نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٠٢.

إنّ حالة الغرور الشخصي تصيب نوعاً ما العديد من القادة والحكام المستكبرين في العالم فيظهر ذلك السلوك ويتجلى على شكل استبداد في الرأي والحكم فيؤدي به وببلده ومواطنيه إلى كوارث وويلات وتخريب البلاد والعباد، ومن هذا المنطلق فقد حذر الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام من مغبة ذلك حيث مرّ بنا قبل قليل حديثه الشريف.

وتأسّياً على ذلك نقول: إنّ الشخص الذي تأخذه عظمة الجنون ولا يطلق العنان لنفسه لتذعن للاستشارة وطلب النصح من الغير ويحكم دوماً عقيدته ويراها هي الأسلم ويحملها على الآخرين، فإنّه يعاني من حالة الاستبداد والتي تكون عاقبتها ونهايتها هي الهلاك والفناء؛ باعتبار أنّ الإنسان المستبد لا يختار في مقام القيام بالأعمال ولا يطيع فيها سوى إرادته وعقائده الشخصية حتى وإن كانت تنطوي على الأخطاء وبذلك لا يحصد إلاّ الهلاك.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَمَنْ شاوَرَ الرِّجالَ شارَكَها في عُقُولِها.[1]

ولا شكّ فإنّنا نستفيد من هذا الحديث الشريف أنّ أُولئك الذين لا يستشيرون في أعمالهم ومايريدون الإقدام عليه ولديهم نوع من الاستبداد في الرأي، ستواجههم عقبة فقدان القدرة على ضبط الأُمور وسريانها بالإتّجاه الصحيح، فيتحملون نتيجة ذلك أضراراً جسيمة ونتائج وخيمة، وأمّا أُولئك الذين يعملون على استشارة الآخرين فإنّهم لا ينجون من التهلكة وحدها، وإنّما يكونون شركاء في عقول وآراء وعقائد أصحاب ذوي العقول المتنورة والراجحة.

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوماً وإن كنت من أهل المشوراتِ
فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلاّ بمرآةِ

١. نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٥٢.

ومن الواضح فإنّ عملية ترك الاستشارة في المسائل والقضايا المادية عادة ما تستوجب الندامة والأضرار الفادحة التي لايمكن جبرانها بسهولة، ونذكر هنا نموذجاً على ذلك:

... في الوقت الذي كان الجميع يفكر في كيفية الحصول على الذهب فقد أصيب أحد عمومة «داربي» بهذا المرض وأراد الحصول عليه بأيّ طريقة كانت فذهب إلى بلاد الغرب حتى يتمكن ومن خلال حفر الأرض الوصول إلى الثروة والمال، ولم يسمع يوماً من أحد أنّ عقل الإنسان هو الذهب بعينه وأفضل بدرجات ومراتب مما هو موجود ومخبّأ تحت الأرض وبدأ بعمله بعد أن حصل على الإذن والرخصة من الجهات المعنية في ذلك، فحمل وسائل الحفر وذهب..

وبعد أسابيع من العمل الشاق والمضني وصل إلى الذهب، ولكنه بحاجة إلى وسيلة لاستخراج قطعات الذهب وتلك السبائك من تحت الأرض من دون أن يثير حفيظة الآخرين وعلمهم، فغطى ذلك الذهب وذهب راجعاً إلى أهله وجيرانه ليقول لهم ذلك فاجتمع الجميع واتفقوا على جمع مال لشراء المعدات اللازمة والمتطوّرة لحفر الأرض، وبعد مدة استطاعوا شرائها ونقلها إلى المكان الذي يوجد فيه معدن الذهب، وبدأ «داربي» وعمه العمل بنشاط وحيوية وإرسال أوّل شاحنة من سبائك الذهب إلى الكورة لصهرها وقد اتضح أنّهما تمكّنا من العثور على أغلى معادن الذهب وأكثرها كميّة!

وقد كان حمل عدد من الشحنات من تلك السبائك يكفي لتسديد قروضهما، ومن ثمّ الوصول إلى قمة المجد والشهرة، وأخذت الحافرات والآلات تشق الأرض بقوّة، وحينما يرون ذلك المنظر تزداد آمالهما وتنتعش، وفجاة حدث شيء لم يكن في الحسبان، فقد اختفى الذهب وانتهى وأصبح معدن الذهب أثراً من بعد عين، ولكنهما لم يصبهما اليأس والقنوط فأخذا بالعمل من جديد للحصول على الذهب ومهما بذلوا من جهود لم يعثرا على

شيء، فاتّخذا قراراً بالعدول عن البحث وإنهاء العمل. بعد ذلك باعا وسائل الحفر بمئات من الدولارات ورجعا إلى ديارهما.

وبعد فترة طلب الرجل الذي اشترى تلك الوسائل من أحد مهندسي المعادن استطلاع مكان المعدن الذي كانا يعمل فيه «داربي» وعمّه والقيام بعمليّة رياضية بسيطة وبعد مشاهدة المكان واجراء العمليّات الدقيقة توصل المهندس إلى نتيجة وهي أنّ الأشخاص الذين كانوا يعملون في هذا المعدن سابقاً ليس لديهم الخبرة والاختصاص اللازم في هذا الموضوع.

فابدى نظره وقال إنّ الذهب موجود على مسافة ٩٠ سنتمتر من المكان الذي توقف فيه الحفر، وبالفعل فقد أصاب قلب الحقيقة وقد وصل الشخص الذي اشترى تلك الوسائل إلى حقيقة مهمة**مفادها هي ضرورة استشارة من لهم الاختصاص والخبرة قبل ترك العمل**.[1]

١. كتاب فكر تُصل إلى الثروة: ١٩.

نتيجة البحث

من المؤكّد أنّ استشارة الشخصيات التي تتمتع بالعقل الراجح والادراك الواسع والفهم الثري يعتبر دعامة قوية لعملية تطور الإنسان في الأمور المادية والمعنوية والوصول إلى عمقها.

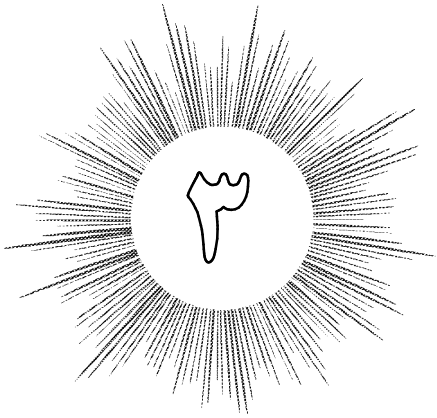
ويمكن من خلال استشارة مثل هؤلاء الأشخاص والذين لهم الصلاحية وأصحاب الآراء السديدة، الإستفادة من تجاربهم القيمة وأفكارهم النيّرة، وبالتالي الاستعانة بارشاداتهم وتوجيهاتهم للخلاص من الضياع والحيرة، والتعرف بواسطة ارائهم الحكيمة والمسددة إلهياً على الأهداف السامية والمتعالية ووضع القدم في المكان الصحيح والمناسب للارتقاء إلى مصاف قمة الهدف المنشود والمطلوب الذي يتأمّله الإنسان.

ولابدّ للإنسان من استشارة أُولئك الذين صقلتهم التجارب وخاضوا غمار الحياة بكل ألوانها وأطيافها نتيجة عشرات من السنين في ميدان السعي والمثابرة والإستفادة من ذلك.

ويمكن من خلال الإستفادة من استشارة أصحاب الأهليّة والخبرة مشاركتهم في أفكارهم وآرائهم والإطلاع ومعرفة الأهداف المتعالية والسعي للوصول إليها ونيلها كي لايصاب الشخص المستشير بحالة من الاحباط والندم في المستقبل.

ولا شك فإنّ الهزيمة الساحقة والخسران المبين الناجم عن عدم الاستشارة لايشمل دائرة الأمور والقضايا المعنوية فحسب وإنّما يتعداه ليضمن الأبعاد المادية كذلك، وبالطبع فإنّ استشارة الرجال الذين بنوا شخصيتهم بنياناً قوياً وأُولئك المتقين والصلحاء والإستفادة من أفكارهم تكون المانع والحائل دون سقوط الإنسان في معترك الحياة وهزيمته فيها.

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
مكان الخوافي قوة للقوادم



الهدف

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

جميل المقصد يدل على طهارة المولد

اختيار أفضل وأسمى الأهداف

يجب علينا أن نحرص كلّ الحرص للامتناع من الخوض في القضايا والأُمور التافهة والمضيعة للوقت لاسيّما أن الفرصة في هذه الحياة قصيرة والعمر محدود، وينبغي لنا الاهتمام بالمسائل الضرورية والمهمّة والحياتية التي نضمن بواسطتها الفوز في الدارين.

ويجب أن يضع الإنسان الهدف الأسمى الذي يريد الوصول إليه في أولوية عمله ويسعىٰ بكلّ قواه وإمكانياته لتحقيقه؛ لأنّ التوجه للمسائل والقضايا غير المجدية والمهمّة يستفقده مهمّة البحث عن القضايا القيمة والثمينة والأساسيّة وبذلك تمنعه من الوصول إلى الهدف المتعالي للخلقه.

عن أميرالمرمنين علي عليه السلام قال:

مَنِ اشْتَغَلَ بِغَيْرِ الْمُهِمِّ، ضَيَّعَ الْأَهَمَّ.[1]

وبطبيعة الحال فإنّ التوجه والإهتمام بالأُمور والمسائل التي ليس لها أيّ

١. شرح غرر الحكم: ٥/٣٣٠.

قيمة وأهمية تذكر تتقاطع وتتشابك مع الوصول إلى الهدف المنشود، ولاتعود على الإنسان إلاّ بالفشل، وهذه حقيقية أوضحها مولانا امير المؤمنين علي عليه السلام في حديثه هذا، لتكون درس عبرة للمجتمع البشري وخاصة لشريحة الشباب والفتيان.

إنّ المجتمع الإنساني هو اليوم بأمس الحاجة إلى اتباع حديث أمير المؤمنين عليه السلام فإذا التزم به وجعله نصب عينيه وأخذ منه الدروس المطلوبة، سوف يحدث تغيراً وتحولاً عظيماً في نمطية وسلوكية حياته وتعاملاته ويشهد حياة أفضل وعيشاً رغيداً ومنعماً.

وبما أنّ العمر محدود بعدد من الأيام والسنين وليس للإنسان الإحاطة بكل الأُمور والقضايا وأدركها، إذن عليه استغلال أفضل الأُمور وأهم القضايا وأعظمها وتجنب كلّ شيء لاقيمة له، فإنّه لايجلب سوى ضياع العمر وخسرانه.

ولأجل الإستفادة المطلوبة من العمر والانطلاق إلى عالم التكامل بعزيمة وثقة، علينا عدم التفكير إطلاقاً بالقضايا الجزئية لنرتفع ونتسابق ونتبارىٰ للحصول على أسمى الأهداف وأفضلها.

قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

إِنَّ رَأْيَكَ لايَتَّسِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ فَفَرِّغْهُ لِلْمُهِمِّ.[1]

الإهتمام بنتيجة الهدف

إنّ الواقع يحتم على الإنسان إذا أراد أن يحصل على أفضل الأهداف وأسماها أن يشخص ويتضح له بدقة نتيجة تلك الأهداف وما تنطوي عليه من معطيات وثمار، وعلى ضوء ذلك يجب التخطيط والبرمجة الصحيحة والمناسبة، ومن ثم تأتي مرحلة السعي لتحقيقها بعد أن أصبحت عنده صورة

١. شرح غرر الحكم: ٦٠٦/٢.

واضحة المعالم بالنسبة إلى تلك الأهداف وقام بالتفحص والدراسة حولها وانكشفت نتائجها أمامه بوضوح مطلق.

ففي حالة حصول اليقين بأنّ النتيجة التي وصلنا إليها مطابقة لما جاء عن أهل بيت الوحي والرسالة عليهم السلام وما أوصوا به فإنّنا نشدّ الهمّة والعزيمة، ونقوي إرادتنا لنيلها وعدم التفريط بها ولانترك للغفلة والنسيان حيزاً في حركتنا.

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

إِذٰا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عٰاقِبَتَهُ فَإِنْ كٰانَ خَيْراً فَأَسْرِعْ إِلَيْهِ وَاِنْ كٰانَ شَرّاً فَانْتَهِ عَنْهُ.[1]

فمن هذه المنطلقات تكون الدعوة جدية إلى الشروع بالعمل الذي تم بالفعل تشخيص هدفه ودراسته بعناية وتحليل كافيين، وتشخيص عواقبه ومستقبله بشكل جيّد، وعدم التردد بالقيام به، والإستفادة من الفرصة السانحة في هذه البرهة الزمنية، لكي لايصطدم بعاقبة أو عامل وقتي يمنعه من الوصول إليه.

وهذا هو الطريق والمنهج الذي سار عليه العظماء والصلحاء ولا شكّ فإنّ كلّ فرد منا قادر على وضع قدمه في هذا الطريق والسير على منهاج هؤلاء والتأهل لمجاراتهم.

ما هو الهدف من وراء خلق الإنسان؟

كما قلنا سالفاً فلابد للإنسان أن يكون له هدف في الحياة والعمل للوصول إليه بشتى الطرق والوسائل الممكنة، ولهذا عليه أن ينتخب أفضلها وأكثرها سموّاً ورفعةً.

ولا شك ولا ريب فإنّ التعرّف على الهدف من الخلقة الإنسانية يكون مرتعاً

١. بحار الأنوار: ٣٤٢/٧٢.

خصباً للانفتاح على الكثير من الحقائق ويعتبر العنصر الفعال والمؤثر في إرشاد الإنسان والذروة العليا في الوعي والعمق الفكري.

قال البارئ عزّ وجلّ في محكم كتابه العزيز:

﴿وَمٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونَ﴾.[1]

وقد ذكر صاحب «تفسير نور الثقلين» في ذيل هذه الآية الشريفة رواية واردة عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيها:

قٰالَ: خَرَجَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلٰى أَصْحٰابِهِ فَقٰالَ: أَيُّهَا النّٰاسُ إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ ذِكْرُهُ، مٰا خَلَقَ الْعِبٰادَ إِلاّٰ لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذٰا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ، فَإِذٰا عَبَدُوهُ اِسْتَغْنَوْا بِعِبٰادَتِهِ عَنْ عِبٰادَةِ مَنْ سِوٰاهُ، فَقٰالَ لَهُ رَجُلٌ: يَابْنَ رَسُولِ اللهِ بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي فَمٰا مَعْرِفَةُ اللهِ؟
قٰالَ: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمٰانٍ إِمٰامَهُمْ الَّذي تَجِبُ عَلَيْهِمْ طٰاعَتُهُ.[2]

ونظراً للآية الشريفة والرواية التي ذكرناها يتضح لنا أنّ الهدف من وراء خلق الإنس والجنّ هو الوصول إلى مقام العبودية المطلقة ولا غرو، فإنّ هذا الأمر لايتحقّق من دون معرفة الله تبارك وتعالى، وتشكل تلك المعرفة حلقة الوصل في معرفة مقام مولانا صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه.

إذن فإنّ الوظيفة الشرعية والدينية اطلقاة على عاتقنا في هذا الوقت والزمان بالنسبة إلى الإمام بقية الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء هي معرفته ووضع خدمته والعمل من أجل ظهوره ونصرته في مقدمة الأعمال التي يجب أن نقوم بها في حياتنا؛ باعتبار أنّ الإمام الصادق عليه السلام شخصّ هذا الأمر في حديث عجيب وحدّد فيه وظيفة محبي وعشاق مقام الولاية بقوله:

---

١. الذّاريات: ٥٦.
٢. تفسير نورالثقلين: ١٢٢/٥.

لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيّامَ حَيَاتي.[1]

ويمكن ومن خلال الإستفادة من المواضيع السابقة الوصول إلى حقيقة وهي إمكانيّة خدمة الإمام بشكل أفضل ونيل الحظوة من ألطافه المقدّسة غير المتناهية وشرف اتّباعه، وذلك عبّر حالة الوصول إلى مقام العبودية وكسب العلوم والمعارف الإلهية.

نعم إنّ خدمة الدين والإمام وحجة الله في أرضه وسمائه في كلّ زمان ومكان كان هو طريق من نال مقام العبودية وتناغم مع روحه وعقله، فنرى سلمان وأباذر والمقداد وأمثالهم قد أوقفوا وجودهم المبارك وحياتهم كلها في سبيل خدمة أهل البيت عليهم السلام، وقد شقوا مسيرتهم وطريقهم ذلك عبر جبال هائلة من التضحيات والمشاكل والعقبات بعد أن وصلوا إلى مقام العبودية لله تبارك وتعالى، وكان همهم الأول والأخير هو كسب التوفيقات أكثر فأكثر في هذا الطريق.

فمن يغتر بالدنيا فإني ... لبست بها فأبليت الثيابَا
جنيت بأرضها ورداً وشوكاً ... وذقت بكأسها شهداً وصابا
وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

آليات الوصول إلى الهدف:

١ ـ التفاؤل والإيمان بالهدف

إنّ هناك الكثير من الناس من يتمنى ويريد الوصول إلى أعلى المراتب والتطوّر والتقدم في مختلف مجالات العلم والمعارف ليكون مؤثراً ويلعب دوراً اساسيّاً في تحديد مصير مجتمعه وسوق الناس صوب المعنويات وإرشادهم وهدايتهم مثله مثل أولئك العظام الذين سجلوا أسماءهم في صفحات التاريخ بحروف من نور.

---

١. بحار الأنوار: ١٤٨/٥١.

ولا شك فـإنّ هـذه الرغـبات تكـمن وتـتواجـد فـي نـفوس العـديد مـن الأشخاص، ولكن بما أنّهم يجهلون التاريخ الناصع والمشرق لهؤلاء، لذا يخيم عليهم نوع من الإحباط واليأس ويعتبرون الوصول إلى تـلك المـراتب سـراباً وخيالاً من الصعب تحقيقه.

ونتيجة الدروس التي تعلمناها من مذهب أهـل البـيت عليهم السلام، والتـي تـصنع بدورها إنساناً متكاملاً والإشعاعات التي تنير القلوب ودائرة الوهـج وإطـلالة النور التي أشرقت في القلب نتيجة الإرشادات والتوجيهات التي جاءت عـلى لسان الأئمة الأطهار عليهم السلام، يمكننا الوصول إلى حقيقية وهي أنّ الآمال العـريضة والأهداف العظيمة والمقاصد العالية هي أُمور كان يوصي بـها هـؤلاء الأبـرار الأطياب عليهم السلام إلى شيعتهم ومحبيهم، والتحذير من مغبة الوقوع في شباك اليأس والقنوط.

وقد كان تلك التوصيات والارشادات لاتقتصر على الأحـاديث فـحسب، وإنّما كانوا يحثون الأُمّة على العمل بها حتى من خـلال الدعـاء والتـضرع إلى الساحة القدسية للبارئ عزّ وجلّ، فقد كانت في تلك الأدعية دروس في الأمل والتطلع، ومن هذا الباب فقد أمرونا أن نقرأ في يوم الجمعة هذا الدعاء:

... اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنا مِنْ أَقْرَبِ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ.[1]

وبالطبع فإنّ مثل هذه الأدعية هي دروس استشراق وأمل ورجاء لجميع من يشعر بوجود الحقارة في نفسه، تنمي روح العـزيمة والإصـرار للـوصول إلى الأهداف المتعالية والكبيرة في قلوب جميع شيعة ومحبي أهل بيت العـصمة والطهارة عليهم السلام.

١. بحار الأنوار: ٣٣٩/٩٠.

التذكير بنقطة:

يجب على الإنسان أن ينأى بنفسه من مجالسة الذين يشعرون دوماً بالإحباط والّذين هم عن بوارق الأمل التي عادة ما تلمع في الأُفق بالرغم من جميع الغيوم التي راحت تتلبد في السماء، ويخالفون القرارات المصيرية والأهداف وحالة الاستشراق نحو مستقبل واعد التي ينشد الإنسان الوصول إليها وتحقيقها، وبالطبع فإنّ مجالستهم لها كلّ الأثر في إيجاد حالة اليأس وهي عقبة كأداء في تحقيق ما تصبو إليه النفس من آمال وتطلعات وأهداف.

وأمّا إذا كان الإنسان مجبراً لمرافقة مثل هؤلاء الأفراد فعليه عدم البوح بما هو يريد فعله والهدف الذي يريد الوصول إليه وجعله سرّاً في قلبه لايطلع عليه أحداً منهم.

ولانجافي الحقيقة إذا قلنا إنّ هناك ثلة قادرة بشكل من الأشكال على تغيير مسار حياة الآخرين من خلال الهزل والمزاح ويزرعون حالة اليأس كما هي عندهم هؤلاء عن هذا الطريق والنتيجة حرمانهم من الوصول إلى الأهداف الكبيرة والمتعالية والنجاح وتسلق سلم التطور وتلمس ثريا المثل الأعلى.

وفي الواقع فإنّ هؤلاء الأشخاص هم مانع كبير لوصول الإنسان إلى درجات الرقي والنجاحات الفردية والإجتماعيّة، ويمكنهم ومن خلال إلقاء عدد من الكلمات الطائشة سلب موفقية ذلك الإنسان وتكبيل عقله ونفسه، وإنّ الذي لامناص منه في هذا الموضوع هو معرفة هؤلاء على حقيقتهم وعدم التأثر بحال من الأحوال بسمومهم التي يدوفونها في العسل، وإنّ الموقف المسؤول الذي يتخذه الإنسان تجاه هؤلاء هو تركهم وشأنهم والعمل على ترسيخ القناعات الذاتية له في سبيل تحقيق أفضل النتائج للهدف كان يتوق إليه دوماً.

٢ ـ دور السعي والبحث في الوصول إلى الهدف

إنّ من المخططات الشيطانية التي يقع الإنسان فيها هي شعوره بأنّ الوصول إلى الأهداف المتعالية يعتبر من الأمور والقضايا المستحيلة، وأنّ القيام بالسعي عملية غير مجدية لاتغير من الواقع شيئاً وستبوء بالفشل.

فيعمل الشيطان ومن خلال وساوسه وحبائله ليحاكي روح وعقل الإنسان ويقول له: هل يمكن الوصول إلى نهاية النفق المظلم ورؤية النور مع وجود كلّ تلك العقبات والصعاب؟ وهل يمكنك قطف ثمار الهدف مع عظمته والحصول على النتائج المرضية منه ؟ و...

ونرى أحياناً أنّ الشيطان لايقوم في بداية عمل الإنسان بالوسوسة وزع حالات الانحسار والانكفاء والتراجع، وإنّما يعمل على وضع أشخاص في طريقه ليخرجوه عن المسار الصحيح والتلاعب بمقدراته.

ويجب على كلّ من يبغي الأهداف المتعالية الإلتفات إلى نقطة مهمّة وهي: أنّ الإنسان خلقه فسلوجياً لكي يمر بمختلف المشاكل والصعاب، فإذا تحملها لمدة زمنية فإنّ بإمكانه حلها والغلبة عليها فتضحى أموراً بسيطة ويتعود عليها نتيجة تكرارها - وإن كانت في البداية أمراً لايطاق - ويتطبع ويتأقلم معها فيقدم تصوراً يقينياً شاملاً يقوم على الجزم واليقين بأنّها زائلة يوماً لامحال.

علاوة على ذلك فإنّ الله تبارك وتعالى يسهل بحكمته ورأفته ولطفه المشاكل أمام كلّ من يروم الوصول إلى تلك الأهداف، ويأخذ بأيدي محبّي أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ويساعدهم لتجاوزها، وكم من مشاكل وصعاب ثقال يصعب حتى على الجبال تحملها قد قضاها بلطفه.

إنّ قبول الحقيقة هي واحدة من تلك المسائل؛ باعتبار أنّ الأذعان إلى الحق أمر مرّ وثقيل، خصوصاً لأُولئك الذين غرقوا إلى الأذقان في الآثام والمعاصي ومن أتبع أهواء نفسه وشهواته وغرته وساوس الشيطان، فإنّ قول الحق لمثل

هؤلاء في غاية الصعوبة؛ لأنّ هـذا الأمـر لايـتلائم مـع مـتطلباتهم ورغـباتهم الشيطانية المقيته ولكن تنعكس الصورة تماماً لمـن يـطلب الحـق والحـقيقة والعاقبة الحسنة، فإنّ هذا الأمر سرعان ما يـتحول عـندهم إلى عـامل مسـاعد لطلبها والقبول بها.

عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام قال:

وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلٰى أَقْوٰامٍ طَلَبُوا الْعٰاقِبَةَ.[1]

ويمكن أن نستنتج من هذا الحديث الشريف أنّ الرغبة والطلب يلعبان دوراً مهمّاً في عملية تذليل المشاكل والعقبات، ولكن لنحدق في الواقع ونقول: إنّ الأشخاص الذين يعدون الأهداف الكبيرة ضرباً من الخيال ومـن المسـتحيل تحقيقها، فإنّهم لديهم إشكالية تولد شـعوراً نـفسياً خـاصاً يـتسم بـالإنكماش والقلق والحساسية وعدم القدرة الخلاقة في مقام الطلب والوصول إلى آمالهم وتطلعاتهم.

وعادة ما نرى أنّ الفئة التي تـبغي الطـلب وتـجعلة بـمثابة الهـيم العـطشىٰ وتتحمل مايؤول إليه من تبعات وتصر على موقفها وعزمها الراسخ، فإنّها تصل إلى مقصدها وشاطئ الأمان مع عظمة وجلالة أهدافهم ومتطلباتهم، وبما أنّهم تحملوا مختلف الصعاب والمحن في سبيل ذلك، ولكن مـع وجـود الطـلب والإرادة فإنّها تبدلت إلى أمر سهل يسير، بحيث لم يتصوروا هم أنفسهم أنّهم توصلوا إلى ذلك، ونالوا ما كانوا يصبون إليه بعد أن كان حلماً ورديّاً يراودهم.

وتيقن عزيزي القارئ أنّ الطلب والبحث والتطلع والحصول على الشـيء من بعد عناء وجهد جهيد، يجلب لصاحبه مؤشرات من الرضا والغبطة، وهذه ليست نبوة ولاقراءات في فنجان لمجهول، بل استقراء لما أفرزه واقعه وحاله.

ومن هذا المنطلق يجب على الفرد أن يمتلك النظرة الجادة العميقة في مقام الطلب والبحث عنه؛ لكي يهيئ الأرضية والمناخ الملائم للحصول عليه.

---

١. نهج البلاغة: الرسالة رقم ٥٣.

وعلى أيّ حال فإنّ الجلوس في زاوية وإيجاد التصورات والأوهام والخيالات الواهية التي لاتبتني على أيّ أساس وقاعدة رصينة ورفع اليد عن الطلب، لن يعود على الإنسان بنفع ومحصلة ولن توصله إلى ما يرنو إليه، وبالطبع فإنّ كلّ من وصل إلى آماله وتطلعاته القلبية فإنّه عمل على تجاوز كلّ عوامل الضعف، وسعى بجهود مضاعفة في عملية الطلب والبحث عنه.

ولا شك أنّ من يبحث عن الهدف وأراده بقوة وطلب الشيء الذي يبتغيه فلن يخرج خالي الوفاض، وحتى إن لم يتمكن من الوصول إلى كلّ ما أراده، فإنّه يستطيع الحصول على مقدار منه وهذا هو الأثر والنتيجة المهمّة التي تكمن في الطلب.

قال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نالَهُ اَوْ بَعْضَهُ.[1]

وعلى هذا الأساس يجب على الفرد اختيار أكبر الأهداف وأعظمها والسعي والعمل بكل نشاط وحيوية للوصول إليه، وفي هذه الحالة فما يناله بشكل كامل والحصول على المقصود النهائي الذي كان يتمناه ويطلبه وأمّا يحصل على مقدار من ذلك الهدف المنشود وفي الحالتين فإنّه هو الرابح.

٣ ـ الإستفادة من أهل العلا

تتمتع عملية الوصول إلى المراحل العليا من الكمالات في مذهب أهل البيت عليهم السلام بأهميّة كبيرة ولهذا نرى أنّ هناك إرشادات كثيرة قد جاءت في أحاديث وكلمات أئمة الهدى عليهم السلام في هذا الجانب.

واحدة من تلك الإرشادات التي تضمن للإنسان مستقبلاً مشرقاً منيراً في حالة العمل بها وتحقق الأهداف العظيمة هي ملازمة أهل العلى والهمم العالية، فقد ورد في بعض الأشعار الواردة عن الامام الصادق عليه السلام أنّه قال:

---

١. شرح غرر الحكم: ٣٠٥/٥.

عَلَيْكَ بِأَهْلِ الْعُلٰى.[1]

باعتبار أنّ مشاهدة مثل هكذا أشخاص ومجالستهم والتحدث معهم تؤثر تاثيراً مباشراً على أفكار ومعتقدات وسلوك الإنسان وتجعل إرادته راسخة، فتسوقه صوب الأهداف المتعالية، إذ أنّ مواكبة أولئك الثلة الصالحة تزيد الإرادة عند ضعفاء النفوس وتحرّك عندهم الصحوة والعزيمة، وبالتالي تجعلهم يسعون إلى الوصول إلى الأهداف مع ما فيها من صعوبات ومشاكل.

نعم إنّ الحضور عند أهل الهمم العالية والعظماء يمدّ الإنسان بأسباب القوّة ويجعله صاحب حركة هادفة تستمد وقودها وزخم اندفاعها من مسيرتهم لتصاحب الأهداف القيمة والكبيرة وتلهب عندهم شعلة الشوق والرغبة للوصول إليها.

٤ ـ مخالفة هوى النفس أو الوصول إلى الأهداف العالية

إنّ الشخص الذي يطلب ويريد الوصول إلى الأهداف المتعالية يجب عليه أن يضع الضعف والتراخي جانباً، وأن يواجه بشدّة هوى النفس وشهواتها.

عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام قال:

مَنْ أَحَبَّ نَيْلَ الدَّرَجٰاتِ الْعُلٰى فَلْيَغْلِبِ الْهَوٰى.[2]

وبالطبع فإنّ هذا الحديث الملكوتي الذي ورد عن لسان صاحب ولاية الملك والملكوتية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو درس لجميع الناس الذين يبتغون الوصول إلى المقامات والمنازل العالية الدينية والمعنوية ويسعون إلى نيلها.

ولا شكّ فإنّ هذا الحديث السماوي هو رسالة كبيرة إلى كلّ إنسان وخاصة شريحة الشباب والذين يصبون دوماً إلى تحقّق آمالهم العريضة في هذه الحياة.

---

١. بحار الأنوار: ٢٤/٤٧.

٢. شرح غرر الحكم: ٣٩٤/٥.

٥ ـ التوسل بأهل البيت عليهم السلام للوصول إلى الأهداف الكبيرة

إنّ الإنسان يحتاج وكما سوف نبين ذلك إلى ثلاثة اُمور لكي يستطيع من إنجاز أعمال الخير والصلاح وإحياء مبدأ الشموليّة الدينيّة وإضاءة سراج الإيمان وهي:

١ ـ التصميم والإرادة

٢ ـ القدرة على القيام بالهدف المنشود

٣ ـ التوفيق الحاصل من قبل البارئ عزّوجلّ

فإذا حصل ضعف أو تهاون في أحد تلك الموارد الثلاثة، فسوف توقف عجلة الهمة وتهبط العمل، وعلينا أن نضع أهل البيت عليهم السلام وسيلة للتقرب إلى الله تبارك وتعالى، وذلك من أجل امتلاك تلك هذه الأُمور والوصول إلى الأهداف المقصودة.

إنّنا نقرأ في زيارة أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

بِكَ اَتَوَسَّلُ إِلَى اللهِ في بُلُوغِ مَقْصُودي.[1]

إنّ حالة التوسل يجب أن لاتتوقف في مرحلة بداية العمل وتحقيق الشروط المطلوبة، **وإنّما تجري حتى بعد الوصول إليها، ونجعل أولياء الله وأوصياءه وأُمراء الكون عليهم السلام واسطة دوماً للفيض الإلهي.**

١. بحار الأنوار: ٣٣٢/١٠٠.

نتيجة البحث

لابدّ للإنسان بداية من دراسة الهدف الأفضل والأكمل من جميع جوانبه ومن ثم إختياره، والسعي بكلّ جدّية وإرادة للوصول إليه، وفي هذا السياق لابدّ له من تجنب كلّ شخص ضعيف الهمة في حياته، ومصاحبة أُولئك الذين يجد في داخلهم الهمة القوية والعزيمة الصلبة، ويحملون الأهداف المتعالية ويبغون نيلها بشتى الطرق والوسائل الممكنة والمتاحة.

ويجب على الفرد مجالسة تلك الفئة من أصحاب العزائم، وذلك من أجل تشخيص ومعرفة أعلى الأهداف وأسماها، ولاشك فعندما تتولد لدى الإنسان الجدية والإرادة الحديدية والطموح المشروع للوصول إلى الهدف، فإنّ البارئ عز وجل يذلل امامه الصعاب والمشاكل ويسهل له الأُمور ويجعل الطريق معبداً له.

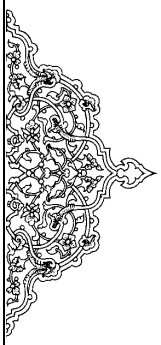
وعلى الإنسان الحذر من الدنيا وزخرافها وزبرجها لأنّها المانع والعقبة التي تقف حائلاً دون الوصول إلى الأهداف التي يطمح تحقيقها، وكثيراً ماترى هذه الدنيا الدنية تجعل من السراب ماءً وبالتالي ينخدع اكثر بني البشر بها.

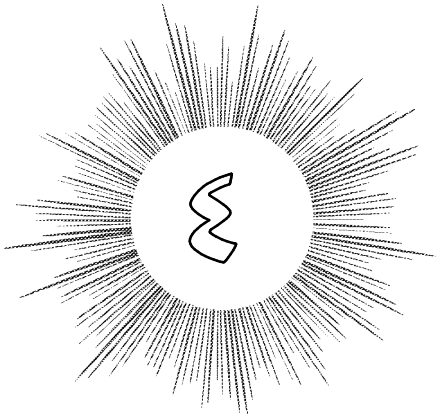
إنّ الهدف الأسمى والحقيقي من خلق الإنسان هي العبادة لله الواحد الأحد والوصول إلى مقام العبودية، وهذه القضية لايمكن لها أن تأخذ مقوماتها مالم يعرف الإنسان مقام الولاية وكسب العلوم والمعارف الإلهية الذي يحصل نتيجة القرب الإلهي والذوبان في الذات الإلهيّة المقدّسة.

وعلى الإنسان التيقن بأنّه في حالة الحصول على مقام العبودية والعلوم الإلهية فإنّه يمكنه وبشكل أفضل خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام وخاصّة مولانا صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه وهذا الأمر هو أقصر الطرق وأسرعها وأفضلها للقرب الإلهي، ولابدّ له من

جعل هذا الهدف نصب عينيه والسعي للوصول إليه حتّى يتقرّب من الخالق المعبود تبارك وتعالى.

على قدر أهل العزم تـأتي العـزائـم
وتأتي على قـدر الكـرام المكـارم
وتكبر في عـين الصـغير صـغارها
وتصغر فـي عـين العـظيم العـظائم





الإرادة القويّة والهمّة العالية

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

ما رفع امرأً كهمّته ولا وضعه كشهوته

قيمة الإرادة

ينبغي على الإنسان معرفة نفسه والتعرف على القدرات والقابليات والإمكانيات التي جعلها الله تبارك وتعالى في ذاته وإيصالها رويداً رويداً من مرحلة القوة إلى مرحلة الفعل.

ومن المؤكّد فإنّ واحدة من تلك القوة المهمّة التي أودعها الله عزّ وجلّ في داخل الإنسان هي الإرادة، فإذا استطاع تنميتها وتقويتها يتمكن ومن خلال القوى العظيمة التي تحتويها من الغلبة على العديد من المشاكل والصعاب الروحية والجسدية سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي؛ باعتبار أنّ الإرادة قوة قاهرة وعجيبة لاتعرف مايعتريها من عقبات.

إنّ الإنسان الذي طهر نفسه من الشوائب فإنّ أرادته تكون أيضاً طاهرة وخالية من أي شائبة وفي النتيجة تسخر في طريق العمل لله عزّ وجلّ، ومن هذا الباب فإذا تمكن من تنمية وصقل أرادته وبلورتها في الإتّجاه الصحيح وتكرسها في السياقات المناسبة، فإنّها سوف تؤتي أُكلها وثمارها البناءة، ويستطيع من خلال قواها الكبيرة توظيفها في موضوع إحياء الدين، ممّا يخلق

روحاً عمليّة وسلوكاً ميدانياً للإنسانيّة لتتجه صوب مذهب أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وكذلك توفر له الأرضية المناسبة لخدمة الأُمة كذلك.

إنّنا عندما نتصفح صفحات التاريخ الإنساني نشاهد أنّ الرجال العظام الذين لمع نجمهم ودخلوا دائرة الشهرة والمجد كانوا يتمتعون بهمّة كبيرة واستفادوا منها في خدمة الآخرين.

وأمّا أُولئك الذين يحملون روحاً ضعيفة وهمة متزلزلة وتحركهم الرياح أينما تميل، فإنّهم يشعرون بحقارة للنفس وصغرها، فهذا الصنف من الناس لن يتمكّنوا قطعاً من نيل أهدافهم الكبيرة، ولم يستطعوا حتى من المحافظة على أبسط مقومات العيش السليم، إذن لابدّ من ركن عامل الحقارة وتجاوزه والابتعاد كلّ البعد عن الأسباب التي تؤدي إلى إضعاف الروحية.

ومن هذا المنطلق علينا تقوية الإرادة وزرع الثقة بقدرات النفس على تجاوز النكبات، والترفع إلى عالم الإبداع والنجاح، وإيجاد حالة من اليقين النفسي بأنّ البارئ سبحانه وتعالى يمنح أولياءه وناصري دينه عوامل التوفيق والسداد، وكذلك يوصل كلّ من كان في هذا المنهج والطريق ويمنحه النصر والموفقية.

الإخلاص قبل التصميم والإرادة

من الطبيعي أن يعرف الشخص مقدار القوى التي في داخله، وذلك قبل القيام والإقدام على أي عمل وبرنامج وخطة عمل للتحرك صوبه، فهل ياترى أنّ تلك القوى هي قوى رحمانية تدعوه إلى ذلك الهدف، أم أنّ الدافع والمحرّك هو محرّك شيطاني؟ أو أنّ العامل النفسي هو الغالب الأعم؟

وعلى الإنسان التحرك قبل أن يقع في مطبات الأهواء النفسيّة أو الوساوس الشيطانية والقيام بالعمل بمعزل عن هذين العاملين ضمن إطار الإرادة والتصميم، فعليه أن يطهّر قلبه من جميع الوساوس والتحركات غير الرحمانية واتخاذ القرار والتحركات التي ينوي القيام بها على ضوء مرضاة الله تبارك وتعالى والقربة إليه.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

إذا اَرَدْتَ الْحَجَّ فَجَرِّدْ قَلْبَكَ لِلّٰهِ مِنْ قَبْلِ عَـزْمِكَ مِـنْ كُـلِّ شٰـاغِلٍ وَحِجٰابِ كُلِّ حٰاجِبٍ.[1]

ومع أنّ هذا الحديث يختص في مورد الحج، ولكنّه إرشاد عام لجميع الأشخاص الذين يبغون الوصول إلى الأهداف الكبيرة.

وكما قلنا سابقاً فإنّ النقطة المهمّة في هذا الخصوص هي وجوب تطهير القلب وتصفيته من الأغراض الدنيوية وجعله خالصاً لله تعالى فقط وذلك قبل نية القيام بأي مشروع أو برنامج، ومن ثم تأتي مرحلة التصميم على المضي فيه، وتطبيق الهدف المنشود على أرض الواقع بشكل عملي.

هدفيّة الإرادة والتصميم

لاشكّ فإنّ كلّ ما يتبلور في مخيلتنا ويرتسم فيها له التاثير بشكل أو بآخر على حياتنا، وليس الذي يجري على اللسان، ومن هذا الباب فإنّ الآمال القلبية العميقة والتطلعات والأفكار والعقائد هي التي توجد تغيراً وتحولاً في مسيرة حياتنا بعيدة عن ما يتظاهر به الإنسان والذي لايؤمن به قلبياً.

إنّ الكثير من الأشخاص يرسمون أهدافاً في حياتهم ويتحدثون عنها ولكنّهم في نهاية المطاف لايخطون حتّى خطوة واحدة إلى تحقيقها ويتركونها معلّقة على الصدفة، ولذا فإنّ مثل هؤلاء لن يصلوا إليها بتاتاً، فتراهم يكتفون بشظف العيش! وفي مقابل ذلك فإنّ هناك ثلة تقطع مشواراً كبيراً في حركة حياتها وتطوي الفيافي لتصل إلى هدفها وتحقق الأمل المنشود الذي رسمته في مخيلتها وتنجح في تحديد المسار الصحيح والنتيجة النجاح وفق كلّ المعاير والمقاييس.

١. بحار الأنوار: ١٢٤/٩٩.

فلماذا هناك مثل هؤلاء الأفراد؟ وآخرون لايحصدون من سنين أعمارهم سوى السراب والآمال التي لاجدوى منها، وفي النتيجة تتعثّر خطاهم في هذه الدنيا ولم يحققوا المراد منها ويبرّرون دوماً بأّن هناك جواذب ومؤثرات قوية ثقلت من حركتهم نحو الوصول إلى الأهداف التي كانوا يطمحون إلى نيلها؟ مع أنّ البشرية جميعاً تتمتع بنعمة الإرداة ويمكنهم من خلالها الوصول إلى الأهداف التي يطمحون اليها حتى أُولئك الذين يؤمنون إيماناً راسخاً في قرارة أنفسهم بأن ليس لديهم تلك الإرادة وأنّها انطوت وتآكلت مع مرور الزمن فإنّهم يتمتعون بمقدار منها وإن كان قليلاً.

فعلى سبيل المثال فإنّ الأشخاص الذين اعتادوا على تناول المواد المخدرة يعتقدون بأنّهم لايمتلكون الإرادة على تركها ويرون أنّهم غير قادرين فعلاً على إتخاذ القرار المناسب وبالتالي يسعون وراء الحصول عليها بطريقة ما، فهؤلاء يملكون إرادة قوية وذلك من خلال طلبهم لها بأيّ صورة ومن ثم الحصول عليها، أليس هذه هي إرادة وعزيمة قوية؟!

وكذلك فإنّ هذا المثل يصدق على أُولئك المترفين الذين يودعون السجن لاقترافهم جرم، فحينما يواجهون العمل الشاق ويشاهدون أنفسهم بين جدران أربعة يأخذون بالعمل ليلاً ونهاراً لأجل الهروب منه، وبعبارة أُخرى فإنّهم يقومون بمختلف الأعمال التي لايمكن للشخص القيام بها في الظروف العادية، والإقدام على تفيذ أعقد الخطط وأكثرها مشقة لأجل الفرار من سجنهم!

نعم؛ فإنّ هؤلاء الأشخاص وأمثالهم يمتلكون الإرادة والعزيمة القوية ولكن إرادتهم ليس لها الهدف السليم والتوجه الصحيح، ولذا فعليهم تصحيح مسارهم والإنطلاق في تجنيد الإرادة لكي تتحرك صوب الأساليب والطرق التي من شأنها كسب النتائج المهمّة والثمرات النافعة والأهداف السامية، وتكون سبباً في هدايتهم تجاه الطريق القويم والإستفادة منها في خلق ممارسات ومعايير إجتماعية إيجابية تصب في مناهل النور والخير، وسد

طريق المفاسد والموبقات من قبيل تهيئة المواد المخدرة وغيرها.

ولا شكّ فإنّ الأشخاص الذين يكرمون إراداتهم في طريق الصلاح وأعمال الخير، والتحكم بها لصنع هدفية رصينة للترقي والبناء، تتنفتح عندهم آفاق رحبة في تشكيل اللبنات الأولى لتنمية روح التقوى وتقويتها.

الهمّة العالية

إذا أراد الإنسان وعزمه للوصول إلى الأهداف السامية والمتعالية فيجب عليه التحليق في عالم المعنويات الوسيع واللامتناهي والسير بهمة رجال الإرادة، ويضع قدمه في فضاء عالم المعنى، كما تحلق الطيوربجانحيها في أُفق السماء الرحب، فمنذ البداية نجد أنّ الرجال من ذوي أصحاب الهمم القوية يحلقون من خلال إرادتهم نحوالسماء النورانية لعالم المعنى وينفصلون عن عالم الماديات.

وقد أوضح أئمّة الدين تلك الحقيقية في جملة قصيرة ولكنها عظيمة المحتوى والمعنى فقد جاء في الأثر:

اَلْمَرْءُ يَطيرُ بِهِمَّتِهِ.[1]

فكلّما كانت همّة المرء عالية فإنّه يحلق في عالم المعنويات أكثر والتطلع إلى تحقيق أروع المنجزات والعكس هو الصحيح، فإنّ الفرد الذي لايحمل همة عالية فإنّه لن يتمكن من التحليق حتى لمسافة قصيرة والنتيجة تكون السقوط في أقرب الموانع.

وعلى هذا الأساس فإذاكان الإنسان يحمل في جنباته هدفاً كبيراً ولكنّه ليس له الهمة العالية في تحقيقه ولم يسع وتضمحل عنده روح الاندفاع له، فلن يستطيع من نيله بأي صورة كانت.

وقد تمتع أولياء الله واوصياؤه بإرادة قوية وهمة عالية في طريق الوصول إلى

---

١. بحار الأنوار: ١٨/ ٣٨٠.

المقامات والمراتب السامية، وكانت لديهم الاستقامة والصبر الجميل في منهجهم المعنوي وتجنب كلّ أنواع الضعف والتراخي.

إنّ الهدف العالي والمقصد العظيم والهمة الكبيرة هي من الصفات والخصائص البارزة لهؤلاء العظام.

لاتنظرن إلى العباس من صفر في السن وانـــظر إلى الجـــد الذي شـــادا
إنّ النـــجوم نـــجوم الأفـق أصـغرها في العـين أذهـبها فـي الجـو إصـعادا

ولانغالي إذا قلنا إنّ قدر الرجال في حركتهم نحو الأهداف الكبيرة تكون بقدر همّتهم.

فقد ورد عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

قَدْرُ الرَّجُلِ عَلٰى قَدْرِ هِمَّتِهِ.[1]

لأنّ الهمّة العالية تجلب للإنسان قيمة مثالية وعالية لايضاهيها شيء، **ولهذا نرى أنّ عظماءنا والذين عرفوا بأنّهم أصحاب أسرار أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام والذين بذلوا الغالي والنفيس من أجلهم، قد حملوا أعلى درجات الهمة ومنتهاها، والإ فكيف وصلوا إلى تلك المقامات والإنتهال من معينهم الرقراق والعذب ؟!**

حيث كانت نفوسهم بشكل تجعلها قادرة على استيعاب الطاف أهل البيت عليهم السلام فتركت آثارها الإيجابيّة فرفعتهم إلى دور المتحكم في الأبعاد الأخلاقيّة فجنّبتهم أيّ نوع من التكبر والاستعلاء؛ باعتبار أنّ كلّ مقام كانوا يصلون إليه يفكرون ويطمحون للحصول على مقام أعظم واكبر منه.

ولكن الشخص الذي يرى في منامه رؤيا أو حادثة فيها سلوك معنوي أو يأخذ حاجته المادية من الأئمّة المعصومين عليهم السلام فيضع نفسه في مصاف الأولياء المقرّبين فهل ياترى مثل هذا الشخص يتمتع بهمة عالية ؟

أو ذلك الشخص الذي يسمع بذلك كله ثم يعمل على إنكاره جملة وتفصيلاً فهل إنّ مثل هذا الشخص له همّة عالية؟

١. شرح غرر الحكم: ٥٠٠/٤، بحار الأنوار: ١٤/٧٨.

بالتأكيد أنّ هذا الصنف من الرجال افتقدوا لأدنى مقومات الهمّة العالية وجعلوا من المواقف تلك دلالة على هبوط مستواهم العلمي والاجتماعي وتدني فضيلتهم ومنزلتهم.

يقول الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

مَنْ صَغُرَتْ هِمَّتُهُ بَطَلَتْ فَضيلَتُهُ.[1]

العمل بالقرار النهائي

من الممكن أن يفوّت الإنسان وفي الكثير من المناسبات والموارد الفرصة التي سنحت له وحينئذ يصاب بنوع من خيبة الأمل والندامة على ما فات ويعضّ على أنامله، ولأجل الحيلولة دون الوقوع بمثل هذه الحالات والمواقف ينبغي استغلال أيّ فرصة سانحة والسعي لعدم ضياعها، ومن ثمّ العمل بما توصل إليه من قرار من دون تأخير وتباطؤ.

في رواية عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال:

اِذٰا هَمَّ اَحَدُكُمْ بِخَيْرٍ فَلايُؤَخِّرْهُ.[2]

إذ أنّ التأخير قد يؤدّي إلى حصول المانع والعقبة، والنتيجة فقدان الإمكانيات الواسعة التي تهيأت، وبالطبع فإنّ الشيطان والنفس حريصان كلّ الحرص على إيجاد المشاكل والموانع والوقوع تحت تأثيرها.

وفي رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال:

اِذٰا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبٰادِرْ فَاِنَّكَ لاتَدْري مٰا يُحْدَثُ.[3]

إنّ الحوادث التي تحصل للإنسان والتي لم تكن لتخطر على باله في يوم من

---

١. شرح غرر الحكم: ٢١٠/٥.

٢. بحار الأنوار: ٢١٧/٧١، عن المجالس الشيخ المفيد رحمه الله: ١٢٨.

٣. بحار الأنوار: ٢٢٢/٧١، عن اصول الكافي: ١٤٢/٢.

الأيام بإمكانها أن تسلب الكثير من الفرص والإمكانيات، وفي النتيجة فلن يتمكّن ذلك الشخص من القيام بالأعمال الصحيحة التي عزم القيام بها وإنجازها.

القدرة على اتخاذ القرار هي عامل النجاح والضعف، فيه يعني الفشل

وكما هو واضح للقاصي والداني فإنّ الهمم العالية في تحقيق أفعال الخير والعزيمة في طريق الفلاح والنجاح، لهي دليل على عظمة وقوة إرادة الفرد، وإنّ الضعف في اتّخاذ القرار النهائي والمناسب دليل على الهزيمة والضعف والنتيجة مرور الفرص الموجودة.

وهناك دراسة ميدانية أجريت على مايقارب من ٢٥٠٠٠ ألف من أُولئك الذين تعرضوا إلى انتكاسة وهزيمة في أعمالهم ولم يصلوا إلى أهدافهم التي رسموها في حياتهم، أظهرت أنّ هناك ٣١ عاملاً أساسيّاً كان السبب من وراء ذلك، ولعل أهم تلك الأسباب والعوامل هو الضعف في القدرة على اتخاذ القرار النهائي المناسب.

إنّ المسامحة في الأُمور والأعمال وتأجيل عمل اليوم إلى الغد هي بالضد، وتتقاطع مع عملية اتخاذ القرار المناسب والنهائي وهما العدو اللدود لإضعاف القدرة والقوة في النفس، ولذا يجب على الجميع التغلّب عليهما.

وأمّا الدراسة الأُخرى التي أجريت على المئات من الأشخاص الذين استطاعوا نيل أهدافهم تشير إلى حقيقة مفادها هي: أنّ هؤلاء جميعاً يتمتعون بخصوصية الإرادة والتصميم على إتخاذ القرار الصحيح والمناسب والإصرار على الهدف ومواصلة المشوار وعدم تغير ذلك حتى وإن كلفهم الكثير من التضحيات والخسائر.

لا شكّ فإنّ الذين لم يصلوا إلى أهدافهم هم أُولئك الأشخاص الذين لم

يتمكوا من اتخاذ القرار المناسب ويغيّروا بسرعة مطلقة قراراتهم المصيرية.[1]

إذن يجب أن يسعى الإنسان إلى أن يزيد من قدرته على اتخاذ القرار المناسب؛ باعتبار أنّ القدرة تلك كلما ازدات تعطي نتائج وآثاراً إيجابيّة أكبر، وتستطيع أن توصله بشكل افضل ومن خلال الإرادة الراسخة والهمة المتعالية إلى مايطمح إليه ويبغيه.

قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

مَنْ كَبُرَتْ هِمَّتُهُ عَزَّ مَرامُهُ.[2]

وعلى هذا الأساس فمن المناسب بمكان تجليل واحترام أُولئك الأشخاص الذين يمتلكون الهمة العالية والطموح البناء ووصلوا في ظل قدرتهم على اتخاذ القرارات المصيرية والتصميم الصحيح إلى أهدافهم، وبالطبع فإنّ الناس ينظرون إليهم نظرة احترام وتقدير ويقومون بالإطّراء بالمدح والثناء والتمجيد.

ومثل هؤلاء فإنّ سلوكهم يشكّلان نقطة انعطاف تأخذ وقودها وحركتها من العزّة والعظمة، وهم يشكلون حسب نظرة الآخرين مجموعة من الأشخاص التي تتمتع بخصال وصفات متميزة وفريدة من نوعها فاستطاعوا عبر الهمة العالية والرأي السديد والقاطع من السير في طريق القرب الإلهي فبلغوا الذروة في السلوك في المسائل المعنوية، وبذلك فقد توفرت لديهم كلّ عناصر السمو البشري فما كان منهم إلاّ الوصول إلى مقامات تجعلهم بالقرب الإلهي والدخول في دائرة العناية واللطف من لدن أهل البيت عليهم السلام وتلك لعمري منزلة ومكانة يغبطون عليها من قبل الجميع.

واحسرتاه تقضى العمر وانصرمت ... ساعاته بين ذل العجز والكسل
والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ... ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

---

١. كتاب فكر لتصبح غنياً: ١٤٠.
٢. شرح غررالحكم: ٢٨٨/٥.

قدرة الإرادة والعزم تغلب السجية

إنّ طبائع وسجايا الإنسان جبلت بشكل يجعلها تمتزج بمرور الزمان وتكون جزءاً لايتجزأ من شمائله ونزعاته ويكون معتاداً وملازماً لها ولن تكون له القدرة على تركها بحال من الأحوال، يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد:

اَلْخُلْقُ خُلْقان اَحَدُهُما نِيَّةٌ وَالاٰخِرُ سَجِيَّةٌ، قيلَ: فَأَيُّهُمٰا اَفْضَلُ؟ قٰالَ عليه السلام: اَلنِيَّةُ؛ لِاَنَّ صٰاحِبَ السَّجِيَّةِ مَجْبُولٌ عَلٰى اَمْرٍ لٰايَسْتَطيعُ غَيْرَهُ، وَصٰاحِبَ النِّيَّةِ يَتَصَبَّرُ عَلَى الطّاعَةِ تَصَبُّراً فَهٰذا اَفْضَلُ.[1]

إنّ الإنسان الموفق يضع ضمن سجله المفتوح في هذه الحياة الأخلاق الحسنة والصالحة في أولويات منهجه الحياتي وفي كلّ حركاته وسكناته لتكون جزءاً من سجيته وطبيعته التي لايمكن تجاوزها والعبور فوقها، والإبتعاد عن الأخلاق السيئة والبذئية التي كان عليها، ومن المستحيل تحقّق هذا الأمر إلاّ من بعد إستشعار هذه الأُمور في قلبه ويمارسها في سلوكه الحياتي بشكل عملي.

إنّ ذا القرنين جال العالم بشرقه وغربه وشاهد شعوباً ومللاً مختلفة، وتعرف عن قرب على طباعهم وأخلاقهم، فلم يعجبه منهم إلاّ قوم استطاعوا أن يلفتوا نظره، فرآى منهم ماجعله يستغرب ويتعجب، فهؤلاء كانوا يتمتعون بأعلى درجات الخلق السامي وتربطهم ببعضهم أواصر اجتماعية في غاية الروعة والجمال والقوة، **ولم يشاهد بينهم أثراً للقتل وسفك الدماء والظلم والخيانة وهم بعيدون كلّ البعد عن أي رذيلة إنسانية.**

ولهذا وقف ذو القرنين متحيراً من ذلك فسألهم أسألة كثيرة وحصل على إجابات مقنعة منهم فسأل منهم:

---

١. بحار الأنوار: ٢٥٧/٧٨.

فَمٰا لَكُمْ لٰاتَسُبُّونَ وَلٰاتَقْتَتِلُونَ؟ قٰالُوٰا: مِنْ قِبَلِ اَنّٰا غَلَبَنٰا طَبائِعَنٰا بِالْعَزْمِ وَسَنَّنٰا اَنْفُسَنٰا بِالْحِلْمِ.[1]

ومن هنا يمكن القول: إنّ الشخص الذي جبله على ممارسة الظلم والقتل أو التعود على الكذب والرياء أو الإصابة بنوع من الفتور والتقاعس والتراخي في الوظائف والمسؤوليات المنوطة به أو تمتع بأي صفة رذيلة، يستطيع ومن خلال قوة العزيمة والإرادة تركها وتجنبها وتغلب عليها، واهتدىٰ صوب الأفعال الإنسانية الحميدة التي تنسجم مع الفطرة السليمة التي جبل عليها بنو البشر.

بقدر الكدّ تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كدّ ... أضاع العمر في طلب المحال
تروم العزّ ثمّ تنام ليلاً ... يغوص البحر في طلب اللآلي

إنّ الإنسان يستطيع وبواسطة تلك الإرادة وهمة الرجال العالية من القضاء ليس على الصفات الرذيلة فحسب، وإنّما بإمكانه أن يبدلها إلى صفات ومواقف وضوابط أخلاقية تكون محالاً للثناء والإطراء.

الملاّ صالح المازندراني رجل إرادة وتصميم

لقد كان الملا صالح المازندراني من أُولئك الأفراد الذين شهروا سلاح الإرادة والعزيمة ضد نواقصم الذاتية فوصلوا إلى مقصودهم ومرادهم.

لقد كان هذا الرجل صهر العلامة المجلسي الأول ومن العلماء الشيعة الذين ذاع صيتهم، وهو من الثلة الذين يجب أن يكونوا أُسوة ومثلاً لمن يريد ويبحث ويثابر للوصول إلى الأهداف السامية لما وصلوا إليه من حالات ودرجات معنوية عالية.

١. إكمال الدين: ٢٢٧، نقلاً عن بحار الأنوار: ١٩٢/١٢.

يقول: إني حجة على جميع أهل العلم وطلبة العلوم الدينية؛ لأنّه لم يوجد شخص أفقر منّي، وكانت حافظتي وذهني أسوأ منهم جميعاً، حيث كنت أنسى مكان بيتي وأسماء أبنائي وقد قضيت ثلاثين عاماً في تعلم القراءة والكتابة وبقيت أستمع إلى أن منّ الله تعالى عليّ وتفضل عليّ بما وصلت إليه.[1]

لقد كان هذا الرجل مع فقره وعوزه وضعف حافظته يحمل إرادة حديدية، لكي يصل إلى ما وصل إليه من تأليف مجموعة من الكتب القيمة التي ظلت إلى زماننا الحاضر محط اهتمام ودراسة طلبة العلوم الدينية، وقد جاء ذلك نتيجة التصميم الجدي للعبور إلى الضفة الأُخرى للمجد والخلود.

لقد كان الملا معروفاً عليه قلة حافظته وكثيراً من الأحيان يضيع مكان بيت أُستاذه! وكان فقيراً بحيث كانت ملابسه ممزقه ورثة يخجل معها من الدخول إلى الدرس بحيث يجلس خارج مكان الدرس ويكتب مطالب أستاذه بواسطة الكتابة على العظم وورق الجلّنار، وفي إحدى المرات أُشكل على مسألة وظل هذا الإشكال قائماً لعدة أيام إلى أن رأى أحد طلبة المرحوم المجلسي الآخوند ملا صالح قد كتب جوابه على أوراق جلّنار فأتى بها وأجاب على الإشكال في الدرس.

فعلم العلامة المجلسي ﷺ أنّه ليس جوابه ولهذا سأل منه من أين لك هذا الجواب؟ وأصرّه على ذلك، وفي النهاية أجابه بأنّه حصل على هذا الجواب من شخص يستمع إلى الدرس ويجلس في الخارج، فنظر العلامة إلى الخارج فشاهد الملا صالح جالساً فادخله إلى الدرس وأكرمه وأعطاه ثياباً جديدة وقرر أن يعطيه راتباً شهرياً ووصل إكرامه إلى حدّ أن أدخله إلى بيته وزوجه ابنته وأسكنه في مكتبته.[2]

وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم ركابا

١. الفوائد الرضويّة المحدّث قمي ﷺ: ٥٤٤.
٢. تذكرة القبور: ٧١.

تقوية الإرادة والنيّة

لقد تمكّن الملا صالح من الغلبة على جميع نواقصه عبر نيّة القربة والتصميم القاطع للوصول إلى أعلى المستويات والمراحل العلمية، وعليك فإذا أراد الإنسان أن ينال رضا البارئ عزّ وجل وألطافه وعنايته، فلابدّ أن يبذل قصارى جهوده وعدم التأرجح في الأفكار واتخاذ الرأي القاطع وإيجاد النيّة الصالحة وهو السبيل لإخراجه بكل تأكيد من حالة الوهن والضعف. يكتب مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام في إحدى رسائله:

فَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ بِقَدْرِ نِيَّتِهِ.[1]

وبالطبع فإنّ الله تبارك وتعالى يعطي العبد بمقدار النيّة التي نواها وبمقدار قيمتها الاعتبارية والمعنوية، فكلما كانت نيّة الإنسان خالصة لوجهه كلّما كان الأجر والثواب أكثر وأعظم.

ومن هذا المنطلق يجب على الإنسان أن يزيد من قيمة وعطاء نيّته وخلوصها وليس العمل على تزيين وتلميع العمل! فإنّ هذا المنحى لن يعود عليه بالنفع والصلاح والأجر والثواب.

ولابدّ من القول إنّ أوصياء الله تعالى والمؤمنين جميعاً هم بأمس الحاجة إلى التوفيق الرباني والعناية الإلهيّة للوصول إلى أهدافهم المنشودة والعظيمة، ولا شك فإنّ العناية والتوفيق ذلك منوط بمقدار نياتهم. ويكشف الإمام الصادق عليه السلام في الرواية التالية عن ذلك السر فيقول:

اِنَّما قَدَّرَ اللهُ عَوْنَ الْعِبادِ عَلى قَدْرِ نِيّاتِهِمْ، فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ تَمَّ عَوْنُ اللهِ لَهُ وَمَنْ قَصُرَتْ نِيَّتُهُ، قَصُرَ عَنْهُ الْعَوْنُ بِقَدْرِ الَّذي قَصُرَ.[2]

وفي هذا الحديث الشريف يبيّن الإمام عليه السلام أحد الأسرار الكامنة لنيل

---

١. بحار الأنوار: ٥٨٨/٣٣.

٢. بحار الأنوار: ٢١١/٧٠.

الموفقيّة والنجاح للعظماء وعدم توفيق الآخرين وذلك باعتبار أنّ سرّ العناية الربانية وفيوضاته للناس ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمقدار نياتهم المبطنة.

وعادة ما تصل الإرادة والعزيمة بالفرد إلى إيجاد قدرة وعطاء في داخله تجعله يتجاوز الكثير من الصعاب والمشاكل، فإذا عزم على شيء وبنى قواعده الرصينة بشكل صحيح فإنّه باستطاعته من التفوق على حالات الضعف الجسدي التي تعتريه، ويكون على أهبة الاستعداد لتحمل كلّ ما يقف في طريقه من عقبات؛ لأنّ قدرة النيّة والقصد بالقيام بأمر وفعل ما، تلعب دوراً أساسيّاً في التغطية على الضعف الجسدي.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

مٰا ضَعُفَ بَدَنٌ عَمّٰا قَوِيَتْ عَلَيْهِ النِّيَّةُ.[1]

ولعلّ الكثير من الرياضين وأُولئك الذين يمارسون الألعاب القتالية يعملون على الإستفادة من التقوية الروحية والمعنوية أكثر من تقوية التمارين الرياضية؛ **لأنّهم على علم أنّ تقوية الفكر والإرادة والقدرة على العزيمة والتصميم والنيّة لها كلّ الأثر في تقوية الأعضاء الجسدية.**

ويعتقد الكثير من العلماء في الوقت الحاضر أنّ الشباب والقدرة والشيخوخة والضعف مصدرها هو أمر خارج عن وظائف الجسم، فهؤلاء يقولون: إنّ هناك هالة من الأثير تحيط بأطراف جسم الإنسان وهي التي توثر بشكل مباشر وتتحكم في عملية قوته وضعفه.

ومع أن هذا الموضوع لايقبله الجميع ولكن حسب تلك النظرية يمكن القول: إنّ الفكر والعقيدة يصبان في قالب الهالة الأثيرية، وإنّ تلك الهالة لها الوقع الأكبر في صحة وسقم الجسد أو في قوته وضعفه وحتى في حياته وموته.

١. امالى الصدوق: ١٩٨، نقلاً عن بحار الأنوار: ٢٠٥/٧.

عوامل تقوية الإرادة

١ ـ الاندفاع والحماس يقويان الإرادة الإنسانيّة:

من البديهي أنّ الشيطان الرجيم يوجد الأساليب والطرق التي من شأنها تحريف الإنسان ومن ثم يوسوس إليه ويسوقه صوبها، لكي يبعد من خلالها ذلك الشخص أو الأشخاص عن الجادة القويمة والصراط المستقيم، وبالتالي لايظفرون إلاّ بالخسران المبين، ولاشك أنّ واحداً من تلك الأساليب الخبيثة التي يجر إليها هي الاندفاع والشوق نحو طلب الشهرة والجاه والمقام، يصرح البارئ عز وجل في محكم كتابه العزيز:

﴿وَيُرِيدُ الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوٰاتِ اَنْ تَميلُوا مَيْلاً عَظيماً﴾.[1]

إنّ الميل العظيم والاندفاع والاشتياق للوصول إلى الشهوات والملذات الجسدية في النفس البشرية يكون من نتاج النفس الأمّارة وعمل الشيطان، وفي نهاية المطاف يتحمل من يسلك ذلك الطريق تبعاته وشدة مشقاته وشدّة وطأته.

وكما أنّ الإندفاع والشوق الكثير للوصول إلى الشهوات هو أحد العوامل المؤثرة والقوية في حصول عملية الضلالة والخسران، فإنّ نفس الإندفاع والحماسة - ولكن المبرمج - هو عامل قوي للوصول إلى الأهداف المتعالية وعامل فعال لنيل المقاصد المعنوية والعلمية الكبيرة.

وعليه فإذا كان الإنسان يميل إلى الحصول على الأهداف الإنسانية العالية ويحب الوصول اليها بسهولة، فما عليه سوى أن يوجد حالة من الاندفاع والحماس القوي في نفسه حتى تضاعف من قوة الإرادة لديه، ويمكن ـ ومن خلاله ـ تخطي الصعوبات وتذليلها وتسهيل الشدائد وتقريب الأهداف المنشودة.

---

١. النساء: ٢٧.

إنّ حالة الاندفاع والشوق الشديد تكون قادرة على تعبيد الطرق ورفع الحواجز والموانع وتقوي الإرادة لكسب الهدف المطلوب، وتبعث على ترك المسائل والأُمور الهامشية والجانبية وركنها جانباً، وتعمل لأجل هدف واحد هو النجاة من المسائل المختلفة والوصول إلى تلك الغاية والهدف.

ويجب على الإنسان أن يختار أفضل الأهداف وأسماها ومن ثمّ يزرع حالة الإندفاع والشوق عنده إليها، فاذا حدث الشوق في النفس لنيل الهدف المنشود فإنّه يضع بقيّة الأُمور والأشياء الأُخرى على الرف ولايحسب له أي حسبان.

نقرأ في رواية منسوبة إلى مولانا الإمام الصادق عليه السلام قوله:

مَثَلُ الْمُشْتاقِ مَثَلُ الْغَريقِ، لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ اِلاّ خَلاصُهُ وَقَدْ نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ دُونَهُ.[1]

ومن هذا الحديث نفهم أنّ الشخص الذي أوجد نوعاً من الشوق والرغبة إلى شيء ما في نفسه فإنّه سوف ينسى سائر الأُمور الأُخرى، ويجعل إرادته وهمّه الأوحد ينصب في تحقيق ذلك الشيء.

٢ ـ الأمل والتطلع يزيد الهمة

من الطبيعي أنّه كلّما تضاعف أمل الإنسان فإنّ طرف المعادلة الأُخرى أي همته تزداد، إذ يتمتع صاحب التفاؤل والآمل بمعيار كبير من الشوق والحماسة ورؤية مستقبيلة مشرقة تؤهله ليكون عنصراً متطلعاً إلى طريق التطوّر والإبداع والإثراء في مجالات الحياة الإنسانية، ومن هنا يدفع الشاب إلى الإنتقال إلى دائرة الشعور بمستقبل زاهر ويأمل أن تكون حياته ملؤها المعنويات الروحية، وبذلك نراه متقدماً خطوات ومسافات طويلة عن سائر الناس في مقدار الشوق والأمل الذي يحمله بين جنبيه، فتتسارع خطاه ويزداد سعيه ومثابرته نحو نيل

١. بحار الأنوار: ٢٤/٧٠.

المقامات المعنوية ويصل إلى مراده أكثر من غيره وبزمن قياسي.

وأمّا القسم الآخر من الناس الذين فقدوا الشعور بالأمل والإشتياق والتطلع، فإنّه يعيش حالة من الإنهزامية والخوف من المجهول، ويكون محملاً بخيبة أمل يصعب معها التعايش في جو تفاعلي والانطلاق نحو مناهل النور والأهداف المنشودة، فتجد الحسرة واليأس تلفهم من كلّ صوب، ولانبالغ إذا قلنا إنّ عميلة الكسل والخمول تنضج عندهم، والنتيجة عدم السعي والمثابرة والحركية والتي هي وظيفة كلّ إنسان متنوّر وكلّ شيعي دارك وواع لما تريده منه الحياة، فتتجمع عليهم الهموم والحزن فيكونون مرتعاً خصباً لها فتكبل عقولهم وأجسادهم بأنواع القيود، وسرعان ماتغطي حياتهم غيوم سوداء داكنة، فيتشابه عليهم الليل والنهار لتأخذهم هذه الحالة بعيداً عن النسيج الاجتماعي والعلاقات الإنسانية، فتنشر شباك العذاب والآلام، ولايمكن لهم التخلص منها بأيّ شكل من الأشكال، ومن ثم تجعل عمليّة العبور إلى مرفأ البشائر والخير والنور ضرباً من الخيال.

نعم؛ هذه بالفعل عاقبة ونتيجة أولئك الثلة من الناس الذين يئسوا من روح الله تبارك وتعالى ولم يتوكّلوا عليه، وفقدوا الأمل بعنايات وكرامات وتعاليم أهل البيت عليهم السلام وكانت عندهم قراءة مغايرة لما جاء عن لسانهم ومبادئهم.

٣ ـ الطلب من الله عزّ وجل منح الإرادة والهمة العالية

لقد شكلت الأدعية والمناجاة والتضرعات والتوسلات الواردة عن بيت العصمة والطهارة عليهم السلام خزانة ثقافية متكاملة للفرد، وتعتير من دون أدنى شك أفضل أُسلوب وطريق لحياة كريمة وموفقة وسعيدة، وشكلت أسمى وأعلى مراتب التربية الروحية، لذا لا سبيل إلاّ أن نتعلم منهم كيفية وطرق الحصول على الأهداف العظيمة والكبيرة وإيجاد الهمم والعزائم والنفوس القوية.

فهؤلاء الأئمّة الأطهار عليهم السلام فبالاضافة إلى التعاليم الدينية الواردة عنهم والتي جادت بها السماء، فأنهم يعلموننا ومن خلال مناجاتهم وأدعيتهم دروساً في

الحياة والمعرفة وزرع روحية عظيمة منفتحة بعيدة عن الترسبات الذاتية، وتمتاز بلذة الوصال مع المحبوب الحقيقي، فيقول الإمام السجاد عليه السلام:

اَسْأَلُكَ مِنَ الْهِمَمِ اَعْلاها...[1]

فيعطي الإمام عليه السلام في حديثه هذا جرعات من بوارق الأمل في قلوب جميع الموالين وأتباع أهل البيت عليهم السلام، ويغذيهم بزاد السير في طريق ذات الشوكة، ويوجد بوادر القوة والإيمان لدى أصحاب الهمم الضعيفة فيكون لزاماً عليهم طلب أعلى الهمم وتبني أقصى المقاصد المتعالية.

ولاشك أنّ هذا الحديث الشريف هو نوع من أنواع التحذير الاستنهاضي للجميع، حيث يجب أن يعلم الكل حقيقية، وهي أنّ الهمة العالية لاتنحصر وتحتكر بفئة قليلة وملك خاص لأشخاص معينين، وإنّما هي عمليّة شمولية لكافة أتباع المذهب الشيعي الحق، ولابدّ لهم من طلب الهمم العالية من البارئ سبحانه وتعالى والسعي بكل جدّ واندفاع لنيلها والظفر بها.

١. بحار الأنوار: ١٥٥/٩٤.

نتيجة البحث:

إنّ الأرادة القوية والهمّة العالية من النعم الإلهية الكبيرة التي أنعم الله بها على عباده، ويمكن بواسطتها التحليق فوق سماء المعنويات، ويجب على الإنسان إيجاد تلك القدرة في داخله والحذر والإبتعاد كلّ البعد عن الضعف والتقاعس لكي يتمكن من زيادة كرامته وتوفيقاته في الحياة.

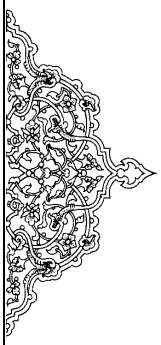
ومن المؤكّد أنّ الضعف في التصميم يعتبر من أهم العوامل الجامحة في كبح جماح الإنسان الطامح، وأنّ القدرة على اتخاذ القرار النهائي والصحيح يقرب الفرد إلى حدود الموفقية والنجاح وحسب وصية الإمام الصادق عليه السلام فإنّ القادر على التصميم يمكن له اقتلاع الخلق والعادات والطباع غير المستحسنة من جذورها وتبديلها إلى أخلاق طيبة وحسنة.

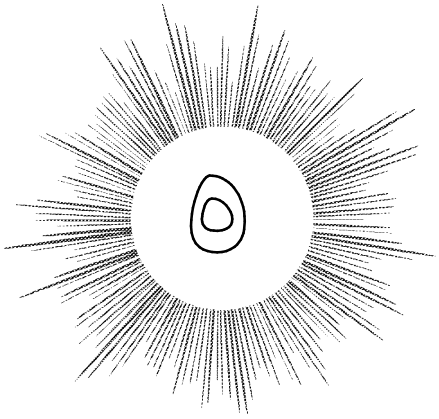
إنّ الفشل في الوصول إلى الهدف الذي رسمه الإنسان في حياته لايعني الوصول إلى خطّ النهاية وبالتالي التضعيف من إرادته وهمّته، بل يجب أن يكون ذلك الفشل وتلك الهزيمة درساً عبرة له ومنطقاً ليزيد من إرادته وعزيمته.

وليس الإرادة الجدية والهمة المتعالية وحدها توصل الشخص إلى المقامات الرفيعة وإنّما يمكن من خلالها وبواسطتها الوصول إلى درجات ومراتب الملائكة المقرّبين ومن ثم التفوق عليهم ليخضوا لأوامره ونواهيه، وعلى الإنسان استغلال الفرصة وعدم التفريط بها وبإرادته الفولاذيّة يستطيع رفع جميع الموانع والعقبات التي توجهه، والنتيجة الحصول على الهدف الأسمى من الخلقة البشرية.

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فـطعم المـوت فـي أمـر حـقير كطعم المـوت فـي أمـر عـظيم
يـرى الجـبناء أن الجـبن حـزم وتـــلك خـديعة الطـبع اللـئيم





نظم الأُمور وبرمجتها

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي:

بتقوى الله ونظم أمركم

أهميّة النظم والتخطيط

تشكّل عمليّة النظم والبرمجة العصب المهم الذي يمكن من خلاله ترتيب الشؤون الحياتية ، بشكل الذي يجعل الإنسان يعيش في غاية السعادة وخلق الديناميكة الضرورية لحياة الفرد والأمة على حد سواء، والشعور بثمرة تلك الحياة وهي الوسيلة المؤثرة لبلوغ قمة الأهداف الكبيرة، وبالتالي امتلاك برنامج خارطة طريق لتأقلم مع الأحداث والوقائع وتوظيفها لصالحه بصورة بارعة، وهذا كلّه لايتأتى إلاّ بواسطة الإستفادة الأكثر من ساعات العمر وجبران الفرص التي مرّت والسعي المتواصل والتصميم القاطع.

إنّ العمل بالبرنامج والمخطط المدروس بشكل صحيح يوطّئ الأرضيّة المناسبة لدى الإنسان ليكون إنساناً منظماً ملتزماً وسوياً واضحاً بكل خطواته العملية، ولذا يجب على الفرد أن ينظم جدولاً زمانياً ليومه لكي يستفيد من جميع ساعات عمره والتمتع بحياة تنسجم مع مايصبو إليه ومعالجة الأخطاء وإبدالها بالخطوات الصحيحة للتطور والرقي.

وهذا هو المنهج الذي أتبعه عظماء التاريخ وكانوا متمسكين به إلى أقصى

الدرجات، ويمكن للشخص اتخاذ هذا المنهج نبراساً وقدوة وعدم الغفلة تماماً عن رسم خط بياني للنظم والبرنامج الصحيح الذي يرتضيه الخالق عز وجل.

ولابدّ للإنسان السعي والعمل بكل اخلاص واشتياق إلى وضع عملية الترويج ونشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام ومبادئهم وسيرة حياتهم الناصعة في أولى سلّم مهامه وبرامجه الحياتية، وسوف يرى ذلك الإنسان ويلمس عن قرب بركات ذلك العمل المقدس والثمرات التي تسفر عنه والرأفة والرحمة والعطف لهؤلاء الأبرا ر المعصومين والفيوضات الواصلة منهم.

وقد أوصى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في آخر ساعات حياته المعطاء والثرية إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وإلى جميع أبنائه وأفراد أسرته وكلّ من يسمع وصيته هذه قائلاً فيها:

اوُصيكُما وَجَميعَ وُلْدي وَاَهْلي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتابي بِتَقْوَىاللهِ وَنَظْمِ اَمْرِكُمْ...[1]

ويبيّن هذا الحديث للإمام عليه السلام أهمية النظم والبرمجة والتخطيط للجميع ومسؤولية العمل به، ويعتبر من أهمّ المؤثرات اللازمة لحياة الأُمّة وحركتها.

النظم علامة عدم التضاد وإزلة الاضطراب والارتباك

إنّ جميع الشواهد العمليّة تدل على أنّ الإنسان الذي يجعل حياته تسير وفق ضابطة من النظم والتخطيط الصحيح، ويمتلك إرادة قوية سوف يتخلّص من حالات كثيرة من الاضطرابات والصراعات الداخلية والأفكار الخاوية المريضة.

إنّ حالة النظم والبرمجة هي الدليل الناصع والساطع لعدم وجود التضاد

١. نهج البلاغه: الرسالة رقم ٤٧، بحار الأنوار: ٢٤/٧٥.

والإختلاف في الرؤى والأفكار للأشخاص والوئام مع الذات، وبالطبع فإنّ التقاطع والإختلاف الحاصل والذي نراه في مشاريع الحكومات والدوائر والمؤسسات ناتج عن تاثيرات في سوء التنظم والتخطيط الحكومي والإداري وكذلك فإنّ التخبط والتأزم في التجمعات الكبيرة والصغيرة مصدره العامل نفسه، ودليل على أنّه ليس لقياديه القدرة على القيام بعملية التخطيط والبرمجة المنظمة والدقيقة.

وعلى أيّ حال فأينما وجد التنظيم وجدت معه القدرة والقوة ودرجة عالية من التخطيط ومستوى رفيع من الحكمة والمسؤولية، ولا شكّ فإنّ الحركة والنظام الذي يسير عليه عالم الكون فإنّه دليل على وجود مدبر حكيم يديره بكل دقّة، فعند النظر والتمعن نرى أنّ النظام الدقيق والمنظم في حركة الذرات الصغيرة هو نفسه سارٍ على حركة الكواكب والمجرات العظيمة في الفضاء.

فعلى سبيل المثال فإنّ الإلكترون في النواة يدور في أطراف تلك النواة بمعدل ٣٠٠٠ / ٠٠٠ / ٠٠٠ / ٠٠٠ تريليون دورة في الثانية الواحدة ولايمكن لأي حركة أو قوة من إيقافه.

ويدور في ذرة الحديد مثلاً وفي الأطراف المركزية له الكترون، وتكون مقدار حركته في كلّ ثانية ثلاث تريونات دورة، وإذا تمّت إذابته فإنّه يدور أيضاً في الحديد المذاب بنفس تلك الدورة في كلّ ثانية وحينما يبدّل الحديد ونتيجة تسليط الحرارة الكبيرة عليه إلى غاز فإنّ تلك الحالة لاتتغيّر ويبقى الإلكترون يدور في أطراف النواة على تلك الشاكله.

ويمكن في حالة واحدة أن تختزل تلك الحركة الدائمية والعجيبة وهي تفتيت النواة، وحينها يبتعد الالكترون عن النواة، ولكن لايعني أنّه يفقد الحركة تماماً وإنّما لايتحرّك في أطرافها.

ولعلّ نفس النظم والقانون الحاكم الذي يجعل من الإلكترون يتحرّك بتلك السرعة في أطراف النواة فإنّه يسيطر حركة الأرض حول الشمس وإذ تدور الشمس حول مجموعة من الكواكب التي تعرف باسم «الجاثي على ركبتيه أو

الهركول» وإنّ هذه المجموعة تدور في أطراف المجرّاة وتدور المجراة في أطراف شيء آخر لانعلمه ولكن لانشك بأنّها تتجه صوبه.[١]

إنّ النظام الدقيق السائد والعجيب للكون وحركته وفق نظام متناسق، هو دليل على عدم وجود أيّ اضطراب وخلل في أمر الخلق والتكوين؛ لأنّه إذا كان هناك تضاد واضطراب فإنّه يؤدّي بطبيعة الحال إلى حصول الاختلال في المنظومة العامة لهذا الكون ممّا يسبّب في دماره.

نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله للمفضل:

وَالتَّضادُّ لايَأْتي بِالنِّظامِ.[٢]

وكما أنّ النظم في عالم الخلق دليل على عدم وجود الاختلاف في التدبير، كذلك في النظم الحاصل في التجمعات الكبيرة والصغيرة دليل على عدم الاختلاف فيها، إذن النظم ليس ضرورياً في مسألة الخلق والكون فحسب وإنّما يجب حصوله في كلّ مورد يحتاج إليه إلى إدارة شخص مدبر، وإنّ التضاد والإختلاف دليل على أنّ الإدارة في ذلك الموارد تجري وفق سياقات خارجة عن اطار النظم والتدبير.

وعلى هذا الأساس يجب قلع جذور الإختلاف في جميع المجالات والأصعدة سواء الصعيد السياسي أو الاجتماعي والثقافي والديني وحتى الفردي، وإعطاء صبغة من النظم والبرمجة والتخطيط المنهج على أساس صحيح للمشاريع والبرامج العملية، وذلك لأجل إزالة حالة التضاد والاختلافات.

من المؤكّد فإنّ حالة التخطيط والبرمجة والنظم والترتيب في المشاريع الإجتماعية والأُسرية، لن تدل على عدم وجود التضاد والتضارب في الأفكار والرؤى والعقائد، وإنّما هي دليل على وجود حاكمية النظم في البرامج

١. راجع: العقل المتفكر لعالم التشيع: ٤٣٩.
٢. بحار الأنوار: ٦٣/٣.

الشخصية المهيمنة على حياته، وأنّ ذلك الإنسان بعيد كلّ البعد عن حالات التضاد والاضطراب ويتبع برنامج منظم؛ وعدم طغيان حالة النفس الإنسانية والتي كما نعلم هي مجمع للأضداد.

وبالطبع فإنّ الرؤى والأفكار المتعددة والمختلفة والأهواء النفسيّة لاتتلاءم مع الأوامر العقلية وتصطدم معها، وبذلك توجد حالات التضاد في داخله.

لاشك فإنّ التشوش الحاصل في الرؤى والأفكار في الكثير من الموارد تحصل نتيجة التضاد والتقاطع، وتوجب أحياناً أن يترك الإنسان العمل ويضع مستقبله بيد الأحداث والأقدار، ومن الطبيعي فقد يساهم التنظم والتخطيط في رفع مثل هذا التضاد والإضطرابات، وبالتالي تسويقها بالاتجاه المناسب وتنظيمها بمرور الزمن عبر البرنامج الصحيح.

الأخذ بيد الشباب في إيجاد حالة التنظيم والبرمجة الصحيحة

عادة مايفقد الإنسان وهو في مقتبل العمر القدرة الكاملة على إيجاد حالة من البرمجة الصحيحة والمناسبة والنظم والترتيب في أُمور حياته فتكون دليلاً على تلاشي الهويّة، وهذا الأمر ناشئ من وجود الرؤى والتخيلات والتوهمات الكثيرة وقلة تجربته، وعليه لابدّ لأوليائهم من مدّ يد العون والمساعدة وانتشاله من تلك الحالة التي قد تضعه في طريق مسدود، والنتيجة الوصول إلى القدرة على تمكّنه من إدارة أعماله بالصورة المطلوبة بعد قطع شوطاً من العمر.

وقد أثبتت التجارب العلميّة أنّ حالة التضاد الداخلية وهيجان القوى الشهوانية تكون في قمتها وأوجها عندما يكون الشباب في سّن الخامسة والثلاثين من عمره، ومن ثم تأخذ بالتدني والأُفول شيئاً فشيئاً، وتتبدّل تلك الهيجانات والتحركات الجنسيّة والتضادات في الأفكار إلى نوع من السكون والركود النسبي، ومن هنا يكون التخطيط واتباع النظم الصحيح للإنسان في

هذه المرحلة العمرية يسيراً.

ونستشهد في هذا المضمار بحديث عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام يشرح فيه كيفية التأثيرات التي تتركها الحالات الجسمانية للشخص على أُموره النفسية:

قٰالَ مَوْلٰانٰا الرِّضٰا صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ فـي الرِّسـالَةِ الذَّهَـبِيَّةِ... ثُـمَّ يَدْخُلُ فِي الْحالَةِ الثّالِثَةِ اِلى اَنْ تَتَكٰامَلَ مُـدَّةَ الْـعُمْرِ سِـتّينَ سَـنَةٍ فَيَكُونُ في سُلْطٰانِ الْمِرَّةِ السَّوْدٰاءِ وَهِيَ سِنُّ الحِكْـمَةِ وَالْـمَوْعِظَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالدِرايَةِ، وَانْتِظٰامِ الْأُمُورِ، وَصِحَّةِ النَّظَرِ فِي الْـعَوٰاقِبِ، وَصِدْقِ الرَّأْيِ.[1]

ولذلك فإنّ الإنسان بحاجة أكثر إلى التنظيم والبرنامج الصحيح قبل الدخول في مرحلة الثلاثين من العمر، لكـي يـتجنب الوقـوع فـي المسـائل والقـضايا الإنحرافـية والتـي تـحدث نـتيجة الاضـطرابـات والحـركات الانـفعالية غـير الموزونة التي يتعرض لها، والمحصلة تحشيد الطاقات والحماس والانـدفاع الموجود في الشباب والفتيان، وسوقها صوب المسائل المهمّة والمصيرية.

ويتحدث الإمام الرضا عليه السلام ويبين أنّ العقد الثالث وحتى السادس من عـمر الإنسان هو مرحلة انتظام الأُمور، وهي الفترة التـي يـمكن مـن خـلالها كسب المعرفة والحكمة والدراية والموعظة، وعليه يجب على الإنسان العمل بتلك المرحلة العمرية بشكل يجعله قادراً على التحكم بمستقبله بصورة صحيحة، والحصول على صحة ووضوح في الرؤية واقتناء الرأي السديد.

١. بحار الأنوار: ٣١٧/٦٢.

النظم والبرمجة طرق مؤثرة في الإستفادة من الوقت

من الضروري بمكان أن يضع الفرد خطة طريق واضحة المعالم وبـرنامجاً منظماً، والتعهد بين نفسه على السير وفـقها وعـدم الحـياد عـنها بشكـل مـن الأشكال، وذلك لأجل الحيلولة دون اتلاف الوقت وهدر ساعات العمر الثمينة والتي لايمكن تعويضها، ولانبالغ إذا قلنا: إنّ الإنسان إذا كان عمله صحيحاً في الأصل ويسير طبق برنامج وخطة مدروسة بشكل جيد، فـإنّ حـياته يـغمرها البركة وتكون مثمرة وطيبة.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

بَرَكَةُ الْعُمْرِ في حُسْنِ الْعَمَلِ.[1]

ولن يكون حسن العمل في أصل العـمل نـفسه، وإنّـما يشـمل الأُسـلوب المتبع فيه كذلك، وعلى هذا الأساس نـرى أن عـظماءنا كـان لديـهم التـنظيم والتخطيط والبرمجة في كلّ خطوة يخطونها وتمسك بهذا المبدأ، ولهذاتركوا بصماتهم الواضحة في هذه الحياة، فتحولوا إلى أشخاص حاملي مشعل الهداية إلى الأمة وإلى دائرة حـضارية سـجلت أروع المـنجزات الروحـية والفكـريّة والثقافية والإجتماعية، ونأتي بمقتطفات من الحياة الشخصية العـظيمة لعـالم التشيع الشيخ مرتضى الأنصاري كنموذج لذلك.

النظم والتخطيط عند المرحوم الشيخ الأنصاري

لقد كان من برامج المرحوم الشيخ الأنصاري هو تهيئة مقدمات لوازم عبادة والدته - التي كانت من النساء المؤمنات اللواتي التزمن بصلاة الليل حتى آخر يوم من حياتها - وجعله أمراً واجباً ومفروضاً عليه، فكان يسخن ماء الوضوء

١. شرح غرر الحكم: ٢٦٢/٣.

في المواقع الضرورية ويفرش سجادة الصلاة، حيث أصبحت ضريرة في أواخر عمرها الشريف وكان هو ينشغل في إقامة نوافل الليل.

وعندما كان يرجع الشيخ من درسه يذهب إلى أمّه ويتكلّم معها عن بعض القصص والحكايات وعن الوضع المعيشي للناس، ويعمل على مزاحتها لكي يكسب قلبها ورضاها ومن ثم يتجه صوب حجرته للقيام بالعبادة والقراءة.

وقد قال الشيخ لأُمّه يوماً: أتذكرين يا أُمّاه؛ ذلك الزمن الذي كنت أدرس فيه المقدمات وكنت تطلبين مني قضاء حاجات البيت وكنت أقضيها لك بعد الإنتهاء من الدرس والمباحثه، ثمّ أعود إلى المنزل وأراك غضبىٰ عليّ وتقولين: لا معين لي ولا نصير في هذا البيت وأنا مقطوعة، فهل أنت يا أُمّاه مقطوعة الآن؟ فكانت تقول له والدته من باب المزاح: نعم؛ إنّي مقطوعة الآن أيضاً، لأنّك لاتقضي لي حاجات المنزل ولاتعطيني من الوجوه الشرعية ما يكفينا بعد أن وصلت إلى تلك الرتبة العالية، وبقينا نعيش العوز والحرمان كما كنّا عليه سابقاً.

وهناك قصة طريفة أُخرى تنقل في هذا السياق وهي:

جاءت أمّه يوماً تعاتبه وتقول له: إنّ أخاك «منصور» يعيش الفقر المتقع مع أنك تمتلك تلك الأموال والمجواهرات التي يرسلها لك الشيعة من كلّ مكان، فلماذا لاتعطيه منها مايحتاجه!

فأخرج المرحوم الأنصاري فوراً مفتاح الحجرة التي يوجد فيها تلك الأموال الشرعية وأعطاه لأُمّه وقال لها: أعطي لابنك ما شئت من تلك الأموال، ولكن أنت من تجيب الله عزّوجل عن ذلك يوم القيامة، ولما شاهدت تلك المرأة الصالحة أنّها أمام ارتكاب المعصية والأمر المحذور امتنعت عن فعله وقالت: إنّني لن أعذب ابني وأزيد حسابه في يوم القيامة على حساب ولدي الآخر لأيّام محدودة في هذه الدنيا.

وقد توفيت والدة الشيخ في سنّة ١٢٧٩ قمري في مدينة النجف الأشرف وقد حزن عليها الشيخ حزناً شديداً لكثرة تعلّقه بها وحبّه الشديد لها، حتّى إنّ

البعض من مقربيه اعترضوا عليه، فكان جواب الشيخ لهم إنّ بكائي وأسفي ليس على فقدان والدتي، وإنّما كان وجودها يدفع عنّي الكثير من البلاء، وينزل البركات.[1]

لقد كان الإحتياط هو الأمر الطاغي على أُمور حياته، سواء العملية منها أو العلمية وقد نهاه أستاذه المرحوم صاحب الجواهر عن كثرة احتياطه هذا.

فقد أمر صاحب الجواهر في الأيام الأخيرة من حياته أن يعقد مجلس يشترك فيه جميع علماء النجف الأشرف البارزين وذلك بحضوره، فحضره الجميع باستثناء الشيخ الأنصاري حيث غاب عنه فأمر بأحضار الشيخ، وبعد البحث عنه وجده في أحد زوايا الصحن الشريف لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام واقفاً أمام القبلة ويدعو بكل إخلاص لشفاء أستاذه صاحب الجواهر، وبعد أن أكمل الشيخ دعاءه جيء به إلى المجلس نجلس إلى جانب سرير صاحب الجواهر فقام صاحب الجواهر بوضع يدي الشيخ على قلبه وقال «**الآن طاب لي الموت**» ثم التفت إلى الحاضرين وقال: «**هذا مرجعكم من بعدي**»، وقال للشيخ: «**قلّل من احتياطك؛ فإنّ الشريعة سمحة سهلة**».

«والجدير بالذكر أنّ عمل المرحوم صاحب الجواهر جاء من أجل التعريف بشخصية ومنزلة الشيخ الأنصاري أكثر، والإ فإنّ مقام المرجعية لايتعين بالضرورة من جانب المرجع السابق».[2]

ومع أنّ صاحب الجواهر قد أوصاه بقلة الإحتياط، ولكن ظل الشيخ الأنصاري على عادته وطبعه، حيث ظل يعيش حالة البساطة والفقر مع أنه كانت تأتي إليه الحقوق الشرعية من أكثر من أربعين مليون شيعي يعيشون في مختلف بقاع العالم، وكان يوزع حتى الهدايا والأموال التي تأتي له بعنوان الهدية على الطلبة والمحتاجين، ويصرف القسم الآخر إلى تحرير الزوار الذين

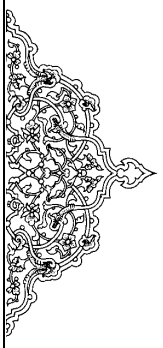
١. راجع: حياة وشخصية الشيخ الأنصاري: ٥٨.

٢. راجع: نفس المصدر: ٨٠.

كانوا يقعون أسرى بيد التركمان في طريق زيارة الإمام الرضا عليه السلام.[١]

وأمّا برنامجه العبادي فلن يتغير منذ نعومة أظفاره وحتّى أواخر عمره الشريف، حيث بقي على نفس الوتيرة والنفس، فبالإضافة إلى الفرائض اليومية والنوافل والأدعية والتعقيبات فإنّه كان يقرأ يومياً جزءاً من القرآن الكريم ويصلي صلاة جعفر الطيار ويقرأ زيارة الجامعة وزيارة عاشوراء.[٢]

وما نقلناه هو زاوية محدودة من البرنامج العملي الذي كان ينتهجه واحد من الشخصيات الشيعية اللامعة وهو غيض من فيض، وعند البحث في بطون الكتب وصفحات التاريخ نجد ونتعرف على نماذج عديدة استطاعت التأثير على سلوكيّات الناس وحياتهم وكانت بالفعل قناديل تضيء للآخرين.



١. راجع: نفس المصدر: ٨٥.

٢. راجع: نفس المصدر: ٩٠.

نتيجة البحث

إنّ الصفة والخصلة التي تميز بهاكبار مراجعنا وعظماء شخصياتنا الشيعية هي أن منهجيتهم في الحياة والطريق الذي اتبعوه تتسم بنوع من الانضباط والنظم والبرمجة والتخطيط الدقيق، فما لبث ان تحول هذاالموضوع إلى عامل خلق منهم رجالاً يتسلقون قمة التكامل ومواهب سمت بهم إلى أفق السماء.

ولابدّ لكلّ من يوالي ويحب أهل البيت عليهم السلام أن يكون له برنامج حياتي ممنهج واتباع خارطة طريق صحيحة، وان يكون النظم هو الأساس المقوم لجميع أعمالهم وحركاتهم، وذلك من أجل الوصول إلى التطور المعنوي والتعرف على الحقائق الكونية.

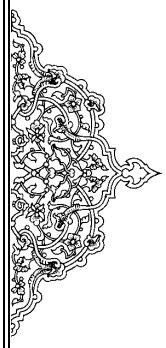
ولهذا السبب نرى أنّ مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام يوصي وهو على فراش الموت جميع من تصل إليه وصيته بالتقوى ونظم الأُمور، وعليه فإننا مطالبون لاتباع تلك الوصية والعمل بها حتى نتخلص من الضياع والتضاد والضبابية والتشويش والقلق والاضطراب الداخلي وبالتالي الوصول إلى مستقبل زاهر وواعد.

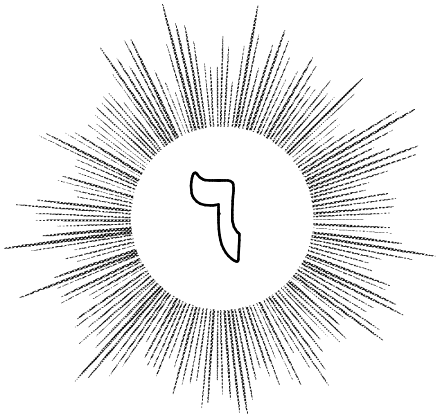
إذن لابدّ للإنسان منذ هذه اللحظة التفكير بمستقبله، ولأجل ذلك يجب أن يكون لدية برنامج متكامل والسير عليه مهماكانت النتائج والعواقب.

إنّ الوظيفة تحتم على الإنسان السعي كي يجعل التبليغ ونشر معالم آل الله عليهم السلام من أولويّات عمله، وفي هذه الصورة تكون حياته في قمة الصفاء المعنوي والنتيجة الوصول إلى النجاح في طريق التكامل الروحي والمعنوي.

ألا انهض وسر في سبيل الحياة ... فمن نام لن تنتظره الحياة
خُلقت طليقاً كطيف النسيم ... و حراً كنور الضحى في سماه

تــغرد كــالطير أيــن انـدفعت و تشــدو بـما شـاء وحـي الإله
فــمالك تــرضى بــذل القـيود و تــحني لمــن كـبلوك الجـباه
وتُسكت فيالنفس صوت الحـياة القــوي إذا مــا تــغنى صــداه
ألا انهض وسرّ في سـبيل الحـياة فــمن نــام لم تــنتظره الحـياة





الاستفادة من الوقت

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

تدارك في آخر عمرك ما أضعته في أوّله

تسعد بمنقلبك

الإستفادة من الوقت

إنّ الإنسان ذلك الكائن الصغير ومع مايحمله من افاق محدودة وضيقة فإنّه يقف أمام عالم وسيع من الأسرار والعلوم والمعلومات التي لاحصر لها. فكيف يمكن للذهن المحدود أن يستوعب ويلمّ بكلّ الأُمور سواء التي تتعلق بالمسائل الحياتية والمهمّة، أو تلك التي لها علاقة بالمواضيع الواهية أو التي لا أساس لها؟ إذن؛ وبما أنّ الذهن له ظرفية خاصة، لذا علينا صبّ القضايا الحياتية في وعائه وإبعاده عن كلّ قضية وأمر تافه ومنحط.

لا شك ولا ريب فإنّ هناك عوامل وقضايا وأُمور لأتمت للأُمور الحياتية بأية صلة مهما قل مقدارها أو كبر، فتخلق جوّاً يجعل الشخص غائباً في غيبوبته نائماً خلف ستار العتمة ملفعاً بوشائج الجهل والظلام، ومنها الإستجمام في غير محله ومكانه وقراءة الكتب عديمة الفائدة، والإعتياد على مشاهدة البرامج التلفزيونية بكثرة، حيث إنّها جميعاً تشغل الذهن وتعطله عن التفكير في مسائل ذات صلة بواقعنا المعاش وتحدد مصير الإنسان وتثقل حركته نحو التكامل.

لذا علينا غض الطرف والتغاظي عنها وإفراغ الذهن عن التفكير والانشغال بها، حتّى يكون هناك وقت وفرصة كافية للأُمور الحياتية الأُخرى، وبالتالي الوصول إلى الأهداف المتعالية والكبيرة.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

اِحْذِرُوا ضِيٰاعَ الْاَعْمٰارِ فِيمٰا لٰايَبْقٰى لَكُمْ فَفٰائِتُهٰا لٰايَعُودُ.[1]

ومن هنا يجب على الإنسان أن يتخذ من الآن فصاعداً قراراً حازماً وقاطعاً لتحسين أوضاع وظروف مستقبله، وجعل أوقاته الآتية أفضل بكثير من الماضي الذي عاشه، وإذا كان نادماً على ذلك الماضي فلا يقدم على فعل شيء يجعله يندم على زمانه الحاضر.

عن الإمام مولى الموحدين علي عليه السلام قال:

بٰادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ اَنْ تَكُونَ غُصَّةً.[2]

إنّ هناك حزمة عظيمة من النتائج المهمّة والثمرات النافعة التي يمكن أن يجنيها الفرد من الفرص التي تتاح إليه، وعادة ماتكون قليلة، والحذر من تضييع الوقت، إذن لابدّ من السعي لتأمين مستقبل أفضل من أيّ فرصة سانحة والإستفادة منها بأحسن وجه ممكن، واستغلال جميع لحظات العمر لحظة بالحظة.

إستفادة العلاّمة المجلسي رحمه الله من العمر

عندما نقلب صفحات التاريخ ونستقرئه نجد أنّ حياة الكثير من العلماء الأعلام والنخب الإجتماعية والثقافية تزهو وتسطع، وسوف يظل التاريخ يطأطئ هاماته لها؛ والسبب يعود في ذلك لما سلكه هؤلاء من نهج قويم وما قدموه من أعمال وأفعال صالحة حيث إستفادوا من أفضل الفرص ومن كلّ

١. شرح غرر الحكم: ٢/٢٨٢.

٢. نهج البلاغه: الرسالة رقم ٣١.

لحظة قضوها في هذه الحياة.

ويمكن لأيّ شخص أن يثمن لحظات عمره وأن يخلد حياته بواسطة قيامه بأعمال الخير والبرّ والصلاح، والشعور دوماً بضرورة تقديم ماهو نافع لتلك الدار الباقية:

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

اَلْاَيّامُ صَحائِفُ آجالِكُمْ، فَخَلِّدُوها اَحْسَنَ اَعْمالِكُمْ.[1]

كان العلاّمة المجلسي رحمه الله شخصية فذة واستثنائية فقد أستغل الفرص التي سنحت له بأحسن مايكون، والأستفادة من لحظات عمره التي كانت كلها لله تبارك وتعالى وخالصه له، فلذا بقي إسمه خالداً عبر الأجيال.

ولابدّ أن ننظر إلى العلامة، كونه الرجل الذي تمكن من صيانة الدين وحفظه، فهو مجدّد للشرائع وسنن رسول الله صلى الله عليه وآله ومحي آثار وتراث أهل البيت عليهم السلام، وقد استطاع من خلال تاليفاته وكتبه الكثيرة والخدمات التي قدمها أن يصبح شخصية يدين لها الإسلام والمسلمين.

وقد نقل عن المرحوم العلامة بحر العلوم قوله: كنت أتمنّى أن تدرج جميع مؤلفاتي في صفحة العلامة المجلسي مكان أن يُسَجَّل في صفحات أعمالي كتاب واحد من تأليفات العلامة الفارسية - والتي تحتوي على ترجمة نصوص أخبار أهل البيت عليهم السلام وشاعت في جميع أنحاء العالم - نعم فقد كانت تأليفات العلامة المجلسي باللغة الفارسية لها الوقع الكبير على قلوب من يتكلم بهذه اللغة وتركت بصماتها وآتت أكلها.

قال صاحب الجواهر في أحد الأيّام التي كان يلقي فيها درس الخارج: لقد رأيت البارحة رؤيا كأنّي دخلت في مجلس كبير، حيث اجتمع فيها مجموعة من العلماء وكان هناك بواب على الباب لايسمح لكل أحد الدخول، فاستأذنت منه فسمح لي فدخلت فشاهدت فيه جمعاً من العلماء المتأخرين والمتقدمين،

---

١. شرح غرر الحكم: ٢/١٢٠.

وكان في مقدمة المجلس العلامة المجلسي ﷺ فتعجبت لذلك فسألت من ذلك البواب عن هذا الأمر، فقال: إنّ السبب هو أنّ العلاّمة معروف عند أئـمّة أهـل البيت عليهم السلام بباب العلماء.

ولد هذا العالم الجليل في سنة ١٠٣٧ وتوفّى في ليلة ٢٧ من شـهر رمـضان المبارك لسنة ١١١٠ ويقع قبره الشريف في مسجد الجامع الكـبير فـي مـدينة إصفهان بالقرب من قبر أبيه وهو اليوم أصبح قبراً يزار مـن قـبل النـاس، وقـد وصل عدد طلبته إلى ما يقارب الألف.[1]

نعم؛ فقد استطاع العلاّمة المجلسي ومن خلال الإسـتفادة مـن «صـحائف آجاله» و«أحسن الأعمال» وكتبه ومؤلفاته القيّمة، من ترويج ونشر مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبهذا ظلت صفحات التاريخ تزخر باسمه وعطائه.

العمل على استغلال الوقت والفرصة

من المؤكد أنّ الإنسان محدود ومقيد بحدود وقيود، وواحد من تلك القيود هو قيد الزمن، ويمكن القول إنّ جميع عظمائنا وأُولئك الذين سجلوا أسماءهم في التاريخ البشري عبر مختلف النجاحات الباهرة التـي حـققوها فـي الحـياة العلمية والعملية، كان عامل الزمن هو العامل الأنجع الذي جعلهم ينالون كـلّ تلك المقامات والمراتب السامقة، فإذا كـان سـلوك الإنسـان فـي المـاضي لم يستمد خطواته من هؤلاء العظام، فلابد من تجديد الأمر في مسـلك حـياته، ويلحظ المهلة المتبقية من عمره واستغلالها بكل ماهو قيم وثمين ونافع.

إنّ ساعات العمر تمر سريعاً ويأخذ عمر الإنسان بالتناقص ويصل تدريجياً إلى نهاية حياته في هذا الدنيا؛ لذا فإنّ الإنسان العاقل والحكيم هو من يستغل الفرص ويستفيد منها بأفضل وجه.

قال الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

١. حياة وشخصيّة الشيخ الأنصاري: ٤٢.

لَوْ صَحَّ الْعَقْلُ لَاغْتَنَمَ كُلُّ امْرَءٍ مَهَلَه.[1]

ويجب على كلّ شخص منّا أن يعي أهمية الوقت واعتباره رأس مال وجودنا في هذه الحياة، وهذه حقيقة يشهد بها العقل، وانطلاقاً من ذلك نحاول بكل ماأوتينا من قوة الانتفاع من المهمّة المقرر للعيش وعدم هدرها.

إذا كنت أعلم علم اليقين ... بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنيناً بها ... وأنفقها في صلاح وطاعة

نعم فقد ورد الكثير من الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام حول قيمة الوقت واسغلاله وحذروا من مغبة هدر لحظات العمر من هنا لابدّ أن يعرف الإنسان مدى قيمة ساعات هذا العمر، ويعمل على عدم تضيعه بأمور وقضايا بعيدة عن الهدفية والواقعية التي تصل به إلى قمة اللذة بالمعنويات، وأن يعلم أنّ كلّ لحظة تنقضي من لحظات حياته هي إنذار صريح على نقصان عمره:

عن أمير المؤمنين ويعسوب الدين على عليه السلام قال:

اَلْعُمْرُ تُفْنيهِ اللَّحَظاتُ.[2]

إنّنا في كلّ نفس نتنفسه أو أي لحظة تمر من حياتنا تلقي بظلالها على حياتنا وهي مؤشر على فقدان مقدار من أعمارنا.

يا أيها الغافل جد في الرحيل ... وأنت في لهو وزاد قليل
لو كنت تدري ما تلاقي غداً ... لذبت من فيض البكا والعويل
فاخلص التوبة تحظى بها ... فما بقي في العمر إلا القليل
ولا تنم إن كنت ذا غبطة ... فإن قدامك نوماً طويل

وبطبيعة الحال فإنّ الأشخاص الذين يعملون بجدية متناهية ليلاً ونهاراً من دون نصب وتعب ويقومون بأعمال الخير والصلاح ولايضيّعون لحظة من لحظات أعمارهم في أُمور تافهة سوف تكون صفحات أعمالهم مشرقة،

---

١. شرح غرر الحكم: ١١٢/٥.
٢. شرح غرر الحكم: ٩٢/١.

ويتركون نتائج وثمرات تجعلهم مخلدين في الدارين، أليس حرياً بنا أن نكون مثل هؤلاء، ونسلك نهجهم؟

نتيجة البطالة

إنّ الشخص العاطل عن العمل هو شخص لاهدف له ولاغاية، ويبقى يراوح في مكانه ولايخطو خطوة واحدة لتحقيق مايصبو إليه، وبالتالي الإتجاه صوب التوهمات والخيالات والمجادلات التي لاطائل منها والمحرمة أحياناً، فيصبح قلبه مجمعاً للشياطين وحياته تلفها الحسرة والندم لعظم مافرط به.

وأمّا الإنسان المؤمن تراه يعمل بجدّ ويكون قلبه نابضاً بالإيمان والتقوى وذهنه ملئه الأفكار الإيجابية والصالحة.

يقول مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلماته القصار:

اَلْمُؤْمِنُ... مَشْغُولٌ وَقْتُهُ.[1]

لأنّه مشغول إمّا بالأعمال المادية ومتطلبات الحياة وتوفير لقمة العيش الكريم لعائلته أو أنّه مشغول بالعبادة وذكر البارئ عزّ وجلّ ويعمر آخرته، فليس له فراغ ليقضيه في أعمال العبث والأعمال الطالحة.

ولعل أكثر الأشخاص الذين يرتكبون قبائح الأعمال والأخطاء الجسيمة نتيجة البطالة التي يعانون منها وأوقات الفراغ الموجودة لديهم.

وهنا لابدّ من القول في هذا السياق: إنّ شريحة الشباب عليهم العمل دوماً واستغلال أوقات فراغهم بأُمور نافعة ومفيدة، فإنّ البطالة هي أرضية ملائمة وخصبة لارتكاب الأخطاء القاتلة والمدمرة فقد ورد في الروايات:

اِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الشّابَّ الْفارِغ.[2]

١. نهج البلاغة، الكلمات القصار: ٣٢٥.

٢. شرح نهج البلاغة: ١٤٦/١٧.

إتلاف الوقت أو الإنتحار التدريجي !

وحسب ما قلناه آنفاً فإنّ هناك نقطة يجب الالتفات إليها وأخذها بنظر الإعتبار وهي مسألة العمر وقيمته وأهميته.

إنّ مضيعة الوقت وتأخير البرامج والمشاريع الحيوية وإيكالها إلى الغد، توجب الحرمان والتأسف للإنسان. ولابدّ أن ندرك أنّ المستقبل هو ثمرة اليوم والأمس، وهو غصن وورقة الماضي والحاضر، وإنّ الماضي والحاضر يشكلان معالم حياتنا المستقبلية، وإنّ الحاضر لايعدو أن يكون إلاّ أكداساً لتراكمات وتنويعات وتجليات وإبداعات الماضي حيث يتمظهر في صيرورة آنية.

واحسرتا من زمان مضى ... مضى عن قريب مضى وانقضى
ومر سريعاً كأن لم يمر ... كومض أنارَ رحاب الفضا

إنّ إتلاف العمر لايعني أننا لم نستفد من ماضينا فحسب وإنّما نجعل مستقبلنا أمراً لا ثمرة له، وفي الحقيقة والواقع يجب أن نعلم أنّ إتلاف الوقت هو انتحار تدريجي.

أخذ الدرس والعبرة من الماضي

ممّا لا ريب فيه فإنّ أخذ العبر والدروس من هذه الدنيا والحوادث التي تقع في أفراحها وأتراحها، من الصفات التي حازها عليها العظماء كبار الشخصيات، فتراهم يتبعون أسلوب دراسة التجارب التي مرّ بها الآخرون والتمعن في ما مضى من سالف زمانهم، وعلى ضوء ذلك يبدأون برسم مستقبلهم، وانسجاماً مع هذه الحقائق فإنّهم يرتقون سلّم المجد والخلود.

على أيّ حال فإن أخذ العبر والدروس من الوقت والفرص الكثيرة المتاحة من الماضي السحيق، يزيد من قيمة العمر المتبقي، ويجعل الإنسان يستغله

ولن يفرط به حتى بلحظة واحدة والنتيجة جبر مافاته.

وقد ورد كلام في غاية الروعة والدقة في هذا السياق عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال فيه:

لَوِ اعْتَبَرْتَ بِمٰا اَضَعْتَ مِنْ مٰاضِي عُمْرِكَ لَحَفِظْتَ مٰا بَقِيَ.[1]

فإن كان الإنسان قد أهدر ساعات حياته في أُمور لا طائل منها ولا جدوى، ولم يجنِ أي نتيجة وثمرة تذكر، فعليه أن يعد العدّه اللازمة ويؤهل نفسه لكي يستفيد من سنين عمره المتبقيات، والسعي بكل عزيمة وهمة على أن يجبر بما فاته من ماضيه وحاضره في المستقبل، والنظر بعين المسؤولية على أنّ العمر الذي ضيعه هدراً لابدّ من جبرانه والإستفادة الباقي منه.

التعلم من ماضي الآخرين وتجاربهم

لقد قلنا في بحث التجربة وأهمية الأخذ بها: لابدّ للإنسان أن لايستفيد من تجربته فقط، وإنّما عليه الإستفادة من تجارب الآخرين وأخذ العبرة منها.

إنّ الإنسان إذا تمعن في التاريخ جيداً ودرس حياة عظماء الشيعة وحللها بنوع من الدقة فسوف يصل إلى نتيجة مفادها: أنّه لابدّ له من الإستفادة من تجاربهم وفعالياتهم ومساعيهم الفردية والإجتماعية ليجعلها نوراً يستضيء به ومخزوناً عمليّاً أصيلاً يرجع إليه.

وواحدة من الفوائد القيمة التي يمكن الحصول عليها من تجارب ماضي الآخرين هي الإستفادة من الوقت والفرصة المتاحة لاستفادة مطلوبة، وعلى الشخص كسب التجربة اللازمة من هذا الطريق ومن المخاضات العسيرة التي واجهتهم، لتحويلها إلى برامج عمل مقرونة من تجاربهم، وتطبيق ذلك على أرض الواقع بسرعة متناهية وبنحو أفضل، وترك المسير الخاطئ والأعمال غير الصحيحة التي جربها هؤلاء وعدم هدر العمر بها.

---

١. شرح غرر الحكم: ١١٥/٥.

وبدلاً من ضياع العمر في تجارب غير معروفة ومدروسة، وهدره سدىً في مسير غير واضح يمكن للفرد ومن خلال مطالعة ودراسة حياة الماضين وسيرهم في ذلك الطريق والنتائج التي تم الحصول عليها، أن يختصر المسافات ويحصل على المطلوب في وقت قياسي ويجتنب تكرار الأخطاء التي وقعوا بها.

إنّ من يغير التاريخ ويكتب صفحاته الجديدة المشرقة هم العظماء الذين سعوا كثيراً وبذلوا جهوداً جبارة ومضنية، وليس بيد هؤلاء الذين يكررون اخطاء الآخرين.

إذن نستنتج من هذا كلّه أنّه لابدّ للإنسان من السعي إلى معرفة الطرق والمسارات والمشاريع الخاطئة التي جربها الآخرون وعدم ضياع عمره في تكرارها.

عدم تضييع الوقت لأجل الأهداف الشخصية للآخرين

من غريب الأمر أنّنا نرى الكثير من الناس يقضون معظم أوقات حياتهم بالعمل والسعي والمثابرة ويتهربون من كلّ عوامل الضعف والفشل ويبذلون قصارى جهودهم ولكن لم يستفيدوا من رأس مال حياتهم ونراهم غير قادرين على جني فائدة أو ربح منه؛ والسبب هو ضياع أوقاتهم ولحظات عمرهم في خدمة مصالح الغير فيجدون أنفسهم في لجّة من التناقضات والتهافت في الرؤية وازدواجيّة في المعايير والمواقف.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

يُفْني عُمْرَهُ في مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ.[1]

وفي الحقيقية فإنك تشاهد في المجتمعات العالمية العديد من الطبقات الكادحة من أمثال العاملين والموظفين والطلبة الجامعين والأشخاص الذين

١. نهج البلاغة، الكلمات القصار: ٢٦١.

أصابهم الفشل المادي هم من مثل هكذا أفراد.

فهؤلاء يتحملون المشاكل والصعاب ويتجرعون الغصّة والمرارة، ولكن لايملكون شيئاً وحاصل عملهم هو هواء في شبك، حيث إنّ أعمالهم ومساعيهم وتضحياتهم وأتعابهم تذهب إلى الغير، ومع شديد الأسف أنّ الكثير من المظلومين ومن هُدرت حقوقهم في المجتمع ليس لهم علم بالظلم والحيف الذي يقع عليهم.

ولذا نرى أنّ أميرالمؤمنين - الذي هو سند للمحرومين والمظلومين - يصرّح بالقول عالياً ليعلم الناس ويحذرهم من مغبة إتلاف عمرهم من أجل منفعة الآخرين.

الإستفادة من الفرص

إنّنا نصيب كبد الحقيقة إذا قلنا إنّ جميع الشخصيات التي وصلت إلى أهدافها المنشودة وحصلوا طوال أعمارهم على الدرجات العليا من الموفقية والنجاح، هم من كان على درجة كبيرة من الوعي والإدراك بقيمة الوقت، فاجتنبوا كلّ شيء له ارتباط بمضيعته، واستفادوا من الفرص المتاحة بأحسن وجه.

وعادة ماتسنح الفرص للجميع، ولذا يجب سريعاً توظيفها وإلزام النفس على العمل بها والإستفادة من نتائجها الإيجابية وعدم تركها تمر مر السحاب.

ونقول للآسف الشديد فإنّ المجتمع الذي نعيشه لم يول ولم يعر للوقت أيّ أهمية أو قيمة ويهدر الفرص التي تقدم إليه الواحدة بعد الأُخرى ولايكترث إليها، وقد يتم التوجه إليها ولكن بعد مرحلة فوات الأوان حينئذ لاينفع الندم والضرب على الكفين.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

اَلْفُرَصُ خُلْسٌ.[1]

١. شرح غرر الحكم: ٤٩/١.

ومعنى ذلك أنّ الإنسان الذي يستغل الفرص يصل إلى مراتب السعادة.

وبما أنّ الفرص تمر سريعاً وتسلب من الشخص كخطف البصر، إذن لماذا نفقدها ومن ثم نتحسر عليها فيما بعد؟

إنّ كلّ يوم من أيام عمرنا وكلّ ساعة منه هو فرصة وغنيمة أليس حريّاً بنا أن نستفيد منها حسب قدرتنا وإمكانياتنا وصبّها في حركة هادفة تستمدّ وقودها وزخم اندفاعها من الهدف المراد من هذه الحياة!

الإستفادة حتى من اللحظات الأخيرة للعمر

لابدّ للإنسان من أن يستفيد حتى من آخر لحظة من عمره والقيام بالوظيفة التي أُوكلت إليه وعدم تضييعه بالأُمور التي لاترضي البارئ عزّ وجلّ وتوجب سخطه وغضبه.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

إِنَّ أَنْفَاسَكَ أَجْزَاءُ عُمْرِكَ، فَلاتُفْنِهَا إِلاّ في طَاعَةٍ تُزْلِفُكَ.[1]

إنّنا عندما نتابع سيرة حياة علمائنا الأعلام نرى أنّهم استفادوا من الفرص حتى في آخر لحظة من لحظات حياتهم بأفضل وجه ولم يفرطوا بها، ومن هؤلاء الأبرار آية الله العظمى الحاج السيد محمد حجت، الذي يعتبر من الشخصيات التي حفرت أخدوداً في صفحات التاريخ المشرق للشيعة.

يكتب المرحوم آية الله العظمى الحاج الشيخ مرتضى الحائري حول هذه الشخصية الجليلة: لقد كان آية الله العظمى الحاج محمد بهجت في زمن آية الله العظمى الروجردي رحمه الله مرجعاً مطلقاً أو مرجعاً لأكثر أهالي منطقة آذربيجان، حيث كان يرجع إليه أهالي آذربيجان المقيمون في طهران وسائر الناس الآخرين.

وفي أوائل الشتاء الذي رحل فيه كان مشغولاً بإجراء بعض التعميرات

١. شرح غرر الحكم: ٤٩٩/٢.

والتصليحات في بيته، حيث تم تهديم قسم من البناء القديم وإحداث قسم جديد آخر فيه، وكان في ناحية أُخرى من البيت عمال يعملون في إنشاء بعض الأُمور الضرورية منها حفر بئر وتغطيته بالحجر وكان القائم بهذه التعميرات هو أحد طلبته.

فقال: جئنا إليه في أحد الأيام صباحاً فوجدناه جالساً على سريره وكان وضعه الصحي عادياً حيث إنّه كان يعاني من هذا الوقت من السنّة بضيق حاد في التنفس، ولكن يبدو أن حالته طبيعية فعلمنا أنّ سماحته قد رفض إدخال العمال إلى البيت، فقلنا له: لماذا رفضت ادخالهم؟

فقال بجزم وصراحة: إنّي في حالة موت فما جدوى البناء؟ فلم أقل شيئاً.

فذهبت في يوم آخر إليه وكل ظني أنّه يوم الأربعاء فكان الحاج السيد أحمد الزنجاني جالساً مقابله فأعطى جميع الأوراق وأسناد الملكية وغيرها إلى السيد وأعطاني الأموال التي كانت في الصندوق حتى أصرفها في الموارد المعينة وقد خص لي سهماً منها.

وكان سماحته قد كتبه وصيته قبل مدة على شكل عدّة نسخ، وكانت واحدة منها قد أرسلها إليّ وهي الآن في حوزتي، وكان قد أوصى فيها بأنّ الأموال الموجودة عند وكلائه هي سهم الإمام وأنّ الأرض التي أصبحت فيما بعد الجزء الأعظم من مسجد المرحوم البروجردي والتي كان قد اشتراه لتكون باسمه أوصى بأن تبنىٰ فيها مدرسة علمية، وقد كتب في وصيته أنّها هي أيضاً من سهم الإمام عليه السلام ولايمكن توريثها، وأمّا إذا أرادها آية الله العظمى البروجردي لبناء مسجد فلامانع من إعطائها له.

على أيّ حال فقد كانت أمواله كلها محصورة في هذا الصندوق، وكان في هذه الفترة لايقبل استلام الأموال الشرعية من أيّ شخص كان.

وحينما أعطاني الأموال التي كانت في الصندوق لكي أوصلها إلى مستحقيها رفع يديه إلى السماء وقال: إلهي لقد عملت بالتكليف فقرب أجلي.

فابتسمت بوجهه وقلت له: شيخي الجليل ليس هناك دواعٍ للخوف حيث

إنّ هذه الحالة متجذرة عندك وهي تنتابك في كلّ سنّة، ثمّ تعود حالتك العادية كما هي، فقال: لا فإنّ مماتي اليوم ظهراً فلم أقل له شيئاً فخرجت مسرعاً لانجاز ما قاله لي في توزيع المال مخافة أن يتوفى ظهر هذا اليوم وتتحقق نبوته ولم يتعين مصير هذه الأموال فهل أعطيها للورثة أم ماذا؟ وبينما أخذت الشكوك تساورني ذهبت وقمت بإنجاز مهمتي قبل الظهر.

ولم يتوفّى سماحته في ظهر ذلك اليوم إذ أنّه التحق ببارئه في يوم السبت ظهراً أي بعد ثلاثة أيام، وعندما وصلت إلى بيته كان الأذان يرفع من المدرسة الحجتية.

وقد قيل لي في إحدىٰ تلك الليالي إقرأ عليه القرآن فعندما فتحته واجهتني في بداية الصفحة الآية الشريفة ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ**﴾[1] فاجهش سماحته بالبكاء من هول تلك الآية.

وكانت عينه في أحد الأيّام التي قربت فيها منيته تنظر إلى الباب كأنّه يشاهد شيئاً بالخصوص، فكان يقول في تلك اللحظات: تفضل يا مولاي؛ يا أميرالمؤمنين علي، ولكن لم يمض وقت حتى يعود إلى وضعه الطبيعي وكان في أيّامه الأخيرة مشغولاً كثيراً بالدعاء والعبادة والتهجد.

وفي يوم وفاته ذهبت وبعد إتمام درس المكاسب في البيت إلى الغرفة الصغيرة التي كان يرقد فيها وكانت في ذلك الوقت ابنته متواجدة والتي هي زوجتي، وكان وجهه باتجاه الجدار وهو مشغول بالذكر والتوسل فقالت لي: إنّ حال أبي مضطربة ولعل دليل ذلك هو الدعاء والذكر الكثير.

فدخلت إلى الغرفة وسلمت عليه، فردّ سماحته السلام فقال: اليوم أيّ الأيام؟ قلت: السبت، فقال: هل ذهب سماحة البروجردي إلى الدرس؟ قلت: نعم، فقال: من صميم قلبه ولعدّة مرات: الحمد لله.

فقالت ابنته: أعطيه مقداراً من تربة الحسين عليه السلام فقلت: حاضر، فأحضرتها

---

١. الرعد: ١٤.

فقلت له: هل ترغب في ذلك؟ فجلس وأحضرت له القدح الذي فيه التربة، فتصور أنّه طعام أو دواء، فبدت علائم عدم الإرتياح عليه وقال: ما هذا؟ قلت: تربة الإمام الحسين عليه السلام فتفتحت أساريره، فشرب الماء المخلوط بالتربة إلى نهايته، وبعدها قال كلمة سمعتها منه بوضوح إذ قال: «**آخر زادي من الدنيا تربة الحسين**» ثم أخذته غفوة.

وقرأت عليه دعاء العديلة للمرة الثانية حسب طلبه، وكان ابنه الثاني السيد حسن يساعده في الجلوس صوب القبلة حيث بدأ سماحته يبرز عقائده باللغة الفارسية والتركية إلى البارئ عزّ وجلّ بقلب منكسر وتضرع شديد، وكان يقرّ بخلافة أميرالمؤمنين علي عليه السلام ويتلوا الآية الشريفة التي تدل على عظمة ومكانة الأئمة الأطهار عليهم السلام:

﴿مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[1].

وأمّا أنا فكنت واقفاً جانباً أنظر إلى هذا المشهد المعنوي وكلي تعجب، وكان يخطر ببالي أن أقول له: أرجو منك الدعاء لي ولكن الخجل يمنعني؛ لأنّه أوّلاً كان مشغولاً بحاله ولم يلتفت إلى شيء آخر، باعتباره يشاهد نفسه أمام الله تعالى وكان يقوم بوظائفه المعنوية قبل الموت فقط، ثانياً: إنّ هذا الطلب يشعره بأنّنا علمنا بحلول أجله وسلمنا بذلك.

على أيّ حال كان كلّ من في الغرفة من ابنه وابنته وأنا وسائر عائلته واقفين نستمع إلى ما يقول، وقد كان يقول: إنّ عقائدي كلها بين يديك أسلمها إليك فأرجعها لي.

وبينما هو على هذه الحال إذ به يجلس ويتكئ على الوسادة وجسده أمام القبلة، فجاة انقطع نفسه فتصور الحضور أن قلبه توقف عن العمل فوضعوا قطرة من الكرامين في فمه فخرج الدواء من أطراف شفتيه وفي تلك اللحظة

١. إبراهيم: ٢٤.

توفي ولم تدخل حتى قطرة واحدة من الدواء إلى جهازه الهضمي من بعد التربة الحسينية.

فعلمت أنه قد توفي، جئت إلى ساحة المنزل فسمعت الأذان من المدرسة الحجتية وكان موته مقارناً لوقت الظهر الشرعي، حيث تنبأ بأنّ وفاته ستحدث في يوم الأربعاء ظهراً.

وكان هذا الرجل قد عبدّ الطريق لسفره وحصلّ زاده فقسم الوجوهات الشرعية ولم يترك شيئاً لورثته.

وتشمل هذه القصة بالإضافة إلى الجوانب الإيمانية على بعض الآيات الغيبية منها:

١ـ إخباره بوقوع موته ظهراً وهذا ماتحقق بالفعل.

٢ـ المكاشفة التي حدثت معه، حيث رآى فيها الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام.

٣ـ إخباره بأنّ آخر شيء يتناوله من الدنيا هو التربة الحسنية وهكذا حصل.[١]

إنّ المرحوم آية الله العظمى حجت هو مصداق جلّي وواضح لقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّ أَنْفاسَكَ أَجْزاءُ عُمْرِكَ فَلاتُفْنِها إِلاّ في طاعَةٍ تُزْلِفُكْ**».[٢]

وفي هذا السياق نقول: إنّ من يقرأ سيرة عظماء الشيعة ورجالات هذا المذهب الحق ويأخذ العبر والدروس منها ويكون في مقام العبودية إلى أخر نفس من حياته، تراه في الآخرة يتنعم بالألطاف الإلهية وتشمله رحمة أهل البيت عليهم السلام، فبذلك يكون من الفائزين ومكانه في أعلىٰ عليّين.

١. من المؤلفات المخطوطة للأستاذ الأعظم المرحوم آية الله العظمى الحاج الشيخ مرتضى الحائري رضوان الله عليه.

٢. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم.

نتيجة البحث

حينما منحك الله سبحانه وتعالى أثمن الأشياء وأغلاها فما عليك سوى أستغلالها بأفضل مايكون، وتوظيفها للوصول إلى المقصود والمراد والهدف السامي والعالي.

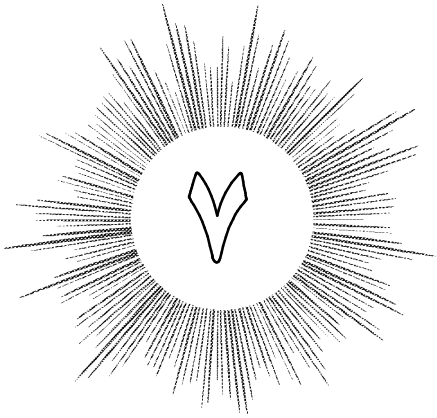
إنّ الحال التي يعيشها الفرد هي ناتج وإفراز وقع نتيجة سلوكه في الماضي وتراكماته وإنّ مستقبله مرهون بثمرة فعله اليوم.

فإذا أراد الإنسان نيل الأهداف العالية والمستقبل المشرق والحياة الأبدية، عليه السعي للاستفادة من الوقت وعدم ضياعه بالعبثية.

وأمّا إذاكان الشخص منّا لم يستفد من ماضيه في صنع مستقبله وشعر بأنّه مقصر بسبب الماضي، فلابد له العمل في الوقت الحاضر بشكل لن يشعر معها بالندم والحسرة فيه وفي المستقبل.

وبالسعي والجدية يمكن للإنسان جبران الماضي السحيق والإستفادة من الفرص الآتية وان من يأخذ العبر والدروس من الماضي يضمن له مستقبل مضئ كله ابداع واثراء.

الوقت أغلى من الياقوت والذهب
ونحن نخسره في اللهو واللعب
وسوف نسأل عنه عند خالقنا
يوم الحساب بذاك الموقف التشب
نلهو ونلعب والأيّام مدبرة
تجري سراعاً تجد السير في الهرب
والفوت مقترب والموت مرتقب
والحال متقلب والناس في لعب
وقد نسينا من الأيّام أطولها
يوم الحساب ويوم العرض والكرب



صحبة الأخيار والأبرار

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

اكثر الصلاح والصواب في صحبة أُولي النهىٰ والألباب

سر أهمية مصاحبة الصالحين والأبرار

إنّ الطرق والأساليب للوصول إلى النوازع والنوايا المعنوية عديدة ولكن المهم ماهو الطريق الأقصر مسافة الذي يوصل الإنسان إليها بسرعة.[1]

ويوجد الكثير من الرؤى والأقوال المختلفة حول هذا الأمر، وكلّ يعتقد أنّ الطريق الذي سلكه هو الأقرب وأنّه هو الأسرع والأفضل، ولذلك تمسك وقبل به، ويرى البعض من هؤلاء أنّ مصاحبة الأخيار والصالحين هو أقرب الطرق وأكثرها جدوى.

وكما يبدو للعقل أنّه هو الأصح؛ حيث إنّ صحبة من يريده الله تضبطها الضوابط والمعايير الأخلاقية والإنسانية، ويكون لها الأثر الإيجابي في زيادة حقيقية الإيمان وإيصالها إلى المرحلة الواقعية والعلمية والنجاة من حالات الشّر.

وعلى هذا الأساس فقد جاء عن لسان أول المظلومين في هذا العالم أمير

١. جاء في الدعاء المأثور: «اَللّٰهُمَّ اَوْصِلْني اِلَيْكَ مِنْ اَقْرَبِ الطُّرُقِ اِلَيْكَ وَاَسْهَلِها عَلَيَّ ...». بحارالأنوار: ٤٠٦/٩٥.

المؤمنين علي عليه السلام قوله:

لَيْسَ شَيْءٌ اَدْعٰى لِخَيْرٍ وَاَنْجٰى مِنْ شَرٍّ، مِنْ صُحْبَةِ الْاَخْيٰارِ.[1]

باعتبار أنّ مصاحبة الصالحين والأخيار في المجتمع تؤدّي بالنتيجة إلى كسب مراتب الشرف والعلو والهداية صوب الطريق القويم، وتطهر القلوب من الرواسب العالقة وتجليها، وتشعل فيها مصابيح النور والإيمان والأصلاح، وتجذب الإنسان بشكل تلقائي إلى عالم المعنويات.

عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:

مُجٰالَسَةُ الصّٰالِحينَ دٰاعِيَةٌ إِلَى الصَّلٰاحِ.[2]

ومن المعطيات الإيجابية الأُخرى التي تترتب على مصاحبة الأبرار والأخيار والجلوس معهم هي انتقال الطاقة المعنوية التي يحملونها في داخلهم إلى من يجالسهم ويعاشرهم، ولذا يمكن لمن يعاشرهم يسيطر وبمرور الزمن على أعماله وسلوكه، ويسير بها نحو الحق والحقيقة.

وأحياناً يكون النفوذ المعنوي للأخيار إلى حد لايحتاج معه إلى زمن طويل، حيث يسري ويؤثر بفترة وجيزة لاتحسب بحساب الزمن، قد تجري بواسطة جلسة واحدة أو نظرة أو في حديث قصير، ويمكن من خلاله تغيير عقائد الكثيرين وإيجاد حياة أبدية لهم.

نعم يتعطر الآخرون بعطر الأخيار فيلتحقون بركبهم، فتتغيّر معالم وجودهم، حيث يصبحون تقاة في الجوهر وضائي النفوس وأرواحهم صافية، وهذا ما كان ليتأتى لولا تأثير الصالحين الذين استطاعوا من جذب القلوب إليهم والتي تصدأت بكثرة الذنوب والمعاصي.

إنّ مصاحبة الأبرار تأتي بالبر وتوجد الخير والصلاح، وإنّ الجلوس معهم يصنع الإنسان ويعطيه شعوراً غريباً لفعل الحسن والعمل الصالح، وعادة ما

---

١. شرح غررالحكم: ٨٧/٥.

٢. اصول الكافي: ٢٠/١.

تنتقل الفيوضات التي يحظى بها الأخيار إلى من يصاحبهم وهذا امر مفروغ منه.

وهذه حقيقة أشارت إليها الأدعية الواردة حيث ينقل الشيخ المفيد ﷺ في كتابه الموسوم «المزار» دعاء، قال عنه: يستحب قراءته بعد زيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام وقد جاء في قسم منه:

يا وَلِيَّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ اِجْعَلْ حَظّي مِنْ زِيارَتِكَ تَخْليطي بِخالِصي زُوّارِكَ الَّذينَ تَسْأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ في عِتْقِ رِقابِهِمْ، وَترْغَبُ اِلَيْهِ في حُسْنِ ثَوابِهِمْ.[1]

وكما أنّ الأخضر واليابس يحترقان معاً، وأنّ الأزهار والأشواك تنبع من مصدر واحد وأنّ النظرة الحنونة التي يلقيها الفلاح على روضته الغناء تشمل الأشواك والورد معاً، وأنّ الرائحة الفواحة لتلك الورود والأزهار تنتقل بالجوار إلى تلك الأشواك، وإنّ بياع الورود يبيع الورد والأشواك في مكان واحد، فكذلك الحال للفرد المقصّر الذي يصاحب الأخيار، إذ أنّه يستفيد من أنوارهم المشعة؛ باعتبار أنّ حالة الملازمة تقتضي انتقال وهجه إليه.

ولهذا نقول في الدعاء «يا وليّ الله عزّ وجلّ إجعل حظي من زيارتك تخليطي بخالصي زوارك».

إنّ مثل مجالسة الأخيار مثل الكمياء؛ لأنّ هناك هالة في أطراف بدن أولياء الله لها قوة كاسرة كقوّة الإكسير تكسر الضعف الموجود لدى الشخص المقابل وتعطيه نوعاً من الشهامة والاندفاع ليكون فرداً صالحاً وتمنحه جناحين ليحلق بهما في جو المعنويات، والإستفادة من لذائذ أسرار العالم الخفية.

وتكون الهالة التي أحاطت بجسم الإنسان عبارة عن ميادين من الطاقة والجاذبية المغناطيسية ويتمكن الإنسان بواسطتها أن يكتسب الأثر الذي يتركه المجالس، وتأثير بعضهم على الآخر سواء أكان ذلك التأثير سلبياً أم إيجابياً.

وتختلف الهالة اختلافاً كبيراً في الجوانب العقائدية والنزعات من إنسان

---

١. بحار الأنوار: ١٠٢/١٧٣ و ١٨٣.

لآخر، وذلك بلحاظ الكيفية والنوعية، وكذلك تختلف من جانب درجة مقدار وكمية التأثير الذي يتركه الأفراد بعضهم على الأخر.

وتصطدم الهالة فيما بينها بعد حدوث المجالسة والمصاحبة، فتتم عملية نقل الخصوصيات الفكريّة والعقدية بين الأفراد، فيدخل هؤلاء في مرحلة استحقاقات وتجاذبات جديدة.

وبالطبع فإنّ الأشخاص الذين هم من أصحاب اليقين ويمتلكون الإرادة والنفوذ فإنّ لهم تأثيراً ووقعاً أكثر في نفوس الأخرين، وتكون خصوصياتهم الفكريّة والاعتقادية جذابة إلى حدّ تستقطب كلّ من حولها وتلقي بظلالها عليهم ومن ثم تأخذ بتأثير المباشر.

إنّ مجالسة أصحاب الأُمور المعنوية توجد تحولاً في نمطية أفكار الطرف الآخر، وتغير الأفكار الخاطئة والمنحطة من خلال طرحها لمقولات جديدة وأطر تنظيرية تنسف بها المنظومة الفكريّة القديمة، فتبني إنساناً قويماً يمتلك أفكاراً صحيحة وعقائد متميزة، ولكن ليس هذا قانوناً كلياً يمكن تطبيقه على الجميع؛ والسبب في ذلك يرجع إلى تشخيص نفس الشخص العالم والداعي والمبلغ، حيث أنّ الأوامر الدينية مرة تأمره بالذهاب بين أوساط الناس الجهلة والمعاندين ودعوتهم إلى مبادئ الإسلام والمذهب وتعريفهم بالتشيع وتعاليمه السامية والحقة، ومرة أُخرى تأمره بالإبتعاد عن مجالسة هؤلاء المنحرفين، إذا كان ذلك يسبب إنحرافه والتأثّر بالطرف المتقابل، إذن يحتاج هذا الموضوع من ذلك الإنسان وقفة تأنٍ وسرعة بديهة في تشخيص الموقف الصحيح.

إنّ الوظيفة تحتم على الشخص العالم أن يشخص مدى مقدار الآثار السلبية والإيجابية التي تتركها مجالسته لهؤلاء؟ وهل أنّه يستطيع أن يؤثر فيهم ويغير من عقائدهم وسلوكياتهم ودفعهم نحو الكمال؟ أم أنّ روحية هؤلاء تسيطر عليه وبالتالي تترك آثارها السلبية شاء أم أبى؟ وهل إنّ الهالة الموجودة في أطراف بدنه تؤثر عليهم أم إنّ هالاتهم هي الأقوى تأثيراً؟ ولهذا فإنّ مسؤولية

أهل العلم والعلماء هي من جهة إرشاد الناس وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، ومن جهة أخرى التوجه إلى حالاتهم الروحية وعدم التأثر سلبياً بمن يعاني من الأزمات الفكريّة والروحية والعقائدية المنحرفة.

من هم الذين تسبّب مجالستهم في تعالي الروح

سوف نتطرق في بحوثنا التالية حول الأشخاص الذين بإمكانهم السير بالإنسان نحو التطور العلمي والعملي، وأمّا هنا فسوف نتناول موضوع معاشرة بعض الأشخاص الذين لاتفتأ معاشرتهم من مدّ من حولهم بدوافع التقدم والتطور والتغيير الروحي والمعنوي باسرع الأوقات وأقصر المسافات:

١ ـ مجالسة العلماء الربانيين

إنّ مجالسة ومصاحبة الآخرين لها آثار متعددة خاصة إذا كان من يتمتع باحترام ومحبة متميزة تؤهله لتبوّئ مقعد صدق عند الأمة، يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

لاتَجْلِسُوا عِنْدَ كُلِّ عالِمٍ اِلاّ عالِمٌ يَدْعُوكُمْ... اِلَى الْاِخْلاصِ.[1]

فإنّ مثل هؤلاء العلماء يدعون الإنسان إلى الله تبارك وتعالى والتمسك بحبله المتين والدعوة إلى آل الله عليهم السلام ولن تكون حركتهم والتي تتجسد بأقوالهم وأفعالهم إلا في اطار هذه الدائرة.

ولا شك فإنّ مجالسة ومصاحبة هؤلاء الأعلام تؤثر كثيراً على سكنات وحركات الإنسان من حيث يشعر أو لايشعر، فيطلعوه على علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام ويملأون قلبه حباً ووفاءً لهم، فتصبح بينه وبينهم وشائج تخلقها الطبيعة الآدمية السليمة، هذا بالإضافة إلى إيصاله إلى حقائق مافعله منافقو التاريخ من ظلم وجور لهذا البيت الذي طهره الله تطهيرا، مشفوعة بالحجة

١. بحار الأنوار: ٢٠٥/١.

والبرهان، لتكون بمثابة الإعلان الصريح عن الابتعاد وكراهية ذلك الخط النفاقي المنحرف والفاسد.

٢ ـ مجالسة الأبرار والصالحين

كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يهدي ويرشد أصحابه وأمّته من خلال أحاديثه المتكررة على مسألة المصاحبة والمجالسة، ويؤكّد دوماً أنّ اختيار الأصحاب يجب أن يتم عن طريق معايير وظوابط خاصة، منها أن يكون هؤلاء على جانب كبير من التقوى والإيمان والصلاح والإبتعاد كلّ البعد عن مجالسة أهل الدنيا ومن لاهدف له، حيث قال لعبد الله بن مسعود وهو يوصيه بوصايا عديدة قائلاً له:

يَابْنَ مَسْعُودٍ فَلْيَكُنْ جُلَسَاؤُكَ الْأَبْرَارَ وَاِخْوانُكَ الْأَتْقِيَاءَ وَالزُّهّادَ، لِاَنَّ اللهَ تَعالى قالَ في كِتابِهِ: ﴿اَلْاَخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ اِلَّا الْمُتَّقينَ﴾[١].[٢]

وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الغفاري:

يا اَباذَرٍّ لاتُصاحِبْ اِلاّ مُؤْمِناً.[٣]

لأنّ الحياة السعيدة لاتتحقق إلاّ من خلال مصاحبة ومجالسة أولياء الله ومن هو قد ربى نفسه وأوصلها إلى قمة درجات الإيمان.

يقول الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

هَلْ اُحِبُّ الْحَياةَ اِلاّ لِخِدْمَتِكَ وَالتَّصَرُّفِ بَيْنَ اَمْرِكَ وَنَهْيِكَ وَلِمَحَبَّةِ اَوْلِيائِكَ.[٤]

---

١. الزخرف: ٦٧.

٢. بحار الأنوار: ١٠٢/٧٧.

٣. بحار الأنوار: ٧٦/٧٧.

٤. بحار الأنوار: ٨١/١٩.

ونجد من خلال هذا الحديث أنّ قيمة الحياة والبقاء في هذا العالم المحفوف بالعذاب والشقاء، هو لأجل وجود أولياء الله تعالى والمؤمنين في هذه الدنيا، وإلاّ فإنّ الدنيا ـ وكما صورها الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ لا قيمة لها، وإنّ الحياة فيها من الصعاب التي لاطاقة لتحملها، وعلى ضوء هذا فإنّ وجود أولياء الله الصالحين هو الذي يحبب للبقاء في هذه الدنيا وليس نفس الدنيا وزبرجها وزخرفها.

ومن هنا فإنّ الدافع الحقيقي والحافز الواقعي لعيش المؤمنين والصالحين في الدنيا والّذي يجعلها أمراً محبباً لديهم ومرغوباً، هو وجود أولياء الله الأبرار والأتقياء من الناس، حيث إنّ التعامل معهم يزرع في القلب ذكر الله عزّ وجلّ وحب أهل البيت عليهم السلام، ويرسم صورة ناصعة عن سيرتهم المعطاء، وهذه هي حلاوة الدنيا والباعث على التطبع معها والعيش فيها لمن باعها واشترى بها آخرته.

اعرف أهل مجلسك

يجب على الإنسان أن يميز بين الأشخاص الذين جعلوا همهم الأول والأخير هو طلب الجاه والمنصب وقضايا الدنيا، وبين أُولئك الثلة القليلة التي لاتريد سوى إعلاء ونشر معالم أهل البيت عليهم السلام ومذهبهم الحق، والعمل على اختبار وتمحيص الفريقين والتأكد من هو الصادق والكاذب ومن ثم الاطمئنان لطرف ما، وإلاّ فإنّ الضلالة والتية تقعان على عاتق الإنسان ولن يلوم إلاّ نفسه.

قال الإمام الجواد عليه السلام:

مَنِ انْقَادَ اِلَى الطُّمَأْنِينَةِ قَبْلَ الْخُبْرَةِ، فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَكَةِ وَالْعَاقِبَةِ الْمُتْعَبَةِ.[1]

إنّ معظم الأشخاص الذين وقعوا في مسيرة حياتهم في حفرة ثم خرجوا منها ووقعوا في حفرة أُخرى أعمق منها، جاء نتيجة حسن الظن والانخداع

١. بحار الأنوار: ٧١/ ٣٤٠.

سريعاً بالأساليب المزوقة والمنمقة وعدم القيام بالتحقيق والتفحص حول ماتنطوي عليه مقاصد وأغراض المخادعين، فإذا كان هؤلاء القوم أذعنوا إلى النصائح والأرشادات الواردة على لسان أهل العصمة والطهارة عليهم السلام وساروا على نهجهم، وقاموا بالاختبار والتدقيق قبل حصول التعلقات القلبية والارتباط مع من يدعي الهداية والإرشاد، لما وضعوا أنفسهم أمام تحديات صعبة ومازق ونفق مظلم يصعب الخروج منه بسهولة.

ولهذا السبب يجب على الإنسان أن يعرف مَن جالسه معرفة كاملة وصحيحة حتى يمكنه الإعتماد عليه والإطمئنان إليه، وبالطبع فإنّ المعرفة الصحيحة لاتأتي إلاّ من خلال الإختبار والتفحص والتحقيق الكافيين.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

يُعْرَفُ النّاسُ بِالْاِخْتِبارِ.[1]

إذن ومع جميع هذه التوصيات والتأكيدات الواردة عن أئمة الحق عليهم السلام فلماذا هذا الإصرار على مجالسة ومصاحبة كلّ من هب ودب؟

إنّ وظيفة الجميع هي جعل شكلية ونمطية حياتهم تنسجم وتتوافق مع التعاليم الواردة عن بيت الوحي والرسالة عليهم السلام وترسيم معالم المستقبل على ضوئها.

مَن تمنع مجالستهم تطور الإنسان

لقد حذر أهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم الواردة عن مجالسة ومصاحبة عدد من الناس منهم:

١ ـ مصاحبة ومجالسة أصحاب الأفكار الضعيفة والهشة

يجب على من يريد أن تكون له شخصية مرموقة وشاخصة في المجتمع السعي لمعرفة أصدقائه ومن حوله معرفة دقيقة، وأن يأخذ بنظر الاعتبار

١. اصول الكافي: ١/٣٠.

ماضيهم وكيفية تعاملهم مع الناس، وأمّا إذا تعامل مع أفراد ضعيفي الرأي والأفكار، وعاشر من لم تتوفر فيهم الصفات المرغوبة والمقبولة لدى الناس فهذا لن يساعده على تخطي حواجز المشاكل وإنما يزيدها كثرة ويضيف عليها مشاكل جديدة.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

وَاحْذَرْ صَحابَةَ مَنْ يَقيلُ رَأْيُهُ وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ.[1]

وبما أنّ حكم الناس يترتب دوماً على ظاهر الأمور إذن لابدّ للإنسان أن يرى أنّ قيمة الأصدقاء من قيمة الأشخاص، ومن هذا المنطلق عليه الاجتناب والابتعاد قدر المستطاع عن الأصدقاء من ذوي الآراء المتزلزلة والضعيفة، ومن كلّ شخص تدور عليه علامات الاستفهام وصاحب سلوك مشين، حتى يصان من التأثيرات السلبية التي يتركها هؤلاء من جهة وعدم عدّه على طبقتهم من وجهة نظر المجتمع من جهة أُخرى.

ونقول بكل تأكيد بأنّ كلّ من وضع حديث الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام هذا نصب عينيه وحمله على محمل الجدّ وعمل وأخذ الدروس والعبرّ منه وجعله مشروعاً لحياته فقد حصل على مستقبل زاهر ومفعم بالنفحات الإيمانية، وإنّ كلّ من طبق إرشادات أهل البيت عليهم السلام في برنامجه اليومي فقد حظي بالسعادة الأبدية.

انظر إلى سيرة حياة المرحوم السيد عزيز الله الطهراني والذي كان من أخيار زمانه، كيف استطاع ومن خلال ابتعاده عن أصحاب الأفكار الضيقة الوصول إلى منازل الفيض المعنوي يقول هو:

كنت في مدينة النجف الأشرف مشغولاً ومواظباً على الرياضات الروحية من قبيل الصلاة والصيام والأدعية والزيارات، ولم أغفل ولو لحظة عن مراقبة النفس، وفي أحد الأيام نزلت ضيفاً على أحد الأصدقاء في مدرسة الصدر،

---

١. نهج البلاغة: الرسالة رقم ٦٩.

وذلك عندما ذهبت إلى زيارة الإمام سيد الشهداء عليه السلام في عيد الفطر، وكنت أقضي معظم الأوقات في الصحن الشريف ولكن أحياناً أذهب إليها للاستراحة.

وفي أحد تلك الأيام دخلت الغرفة، وكان فيها عدد من الأصدقاء وكان الحديث يجري على الرجوع إلى النجف الأشرف فسألوني عن ذهابي؟ فقلت: اذهبوا أنتم فأنا في نيتي هذه السنّة زيارة بيت الله الحرام مشياً على الأقدام، حيث طلبت ذلك تحت قبة سيد الشهداء عليه السلام وأرجو أن يستجاب دعائي.

فسخر منّي الأصدقاء وكلّ من كان جالساً في تلك الغرفة وقالوا: سيدنا؛ إنّ عقلك قد أُصيب بشيء من الخلل نتيجة الرياضات الروحية التي تقوم بها وإلاّ فكيف لك وأنت بهذه الحالة من الضعف والمرض ومن دون أكل وشرب السير في تلك الصحاري القفاري وإنّك لسوف ترجع من أول مكان وفي أول بادية تصل إليها.

وبما أنّ الجميع قد عابني على فعلتي تلك ووصفونى بضعف العقل خرجت من الحجرة غاضباً وذهبت بحالة من الإنكسار وعين ملؤها الدموع إلى ضريح أبي عبد الله الحسين عليه السلام فزرت الزيارة المخصوصة وذهبت إلى أعلى الرأس الشريف والذي كنت دوماً ألجأ إليه في حاجتي ودعائي وبعد الفراغ من الصلاة والدعاء جلست أتضرع وأتوسل وأبكي، وفجأة شعرت بيدٍ تضرب على كتفي، فرفعت رأسي فوجدت شخصاً يرتدي اللباس العربي ولكنه يتكلم باللغة الفارسية وقال لي: أترغب في زيارة بيت الله الحرام؟ فقلت له: بكل تأكيد.

فقال: فاحضر قليلاً من الخبز اليابس الذي يكفيك لمدة أُسبوع واحد وإبريقاً وملابس الإحرام وانتظرني في الساعة الفلانية لنذهب من هذا المكان المقدس إلى الحج سويةً، فقلت: سمعاً وطاعة، فخرجت من الضريح مسرعاً واشتريت دقيق القمح وأعطيته إلى بعض النساء من أقربائي لكي يخبزنه لي.

فرجع أصدقائي جميعهم إلى النجف الأشرف فوصل اليوم الموعود فأخذت الوسائل التي طلبها مني ذلك الرجل الفاضل وخرجت إلى المكان التي

تم الاتفاق عليه، وبينما كنت أودع الإمام الحسين عليه السلام شاهدت ذلك الرجل أيضاً يودّع الإمام عليه السلام، فسلمت عليه وخرجنا من الصحن سويةً.

فمشينا مسافة من الطريق، حيث لم يتحفنِ بكلامه النوراني وأنا بدوري لم أشغله بكلامي حتى وصلنا إلى غدير ماء، فقال: نستريح هنا قليلاً فتناول طعامك وخط بيده المباركة خطاً على الأرض وقال: هذا خط القبلة صلّ وأنا ذاهب وسوف أعود إليك عصراً.

فذهب وبقيت أنا في ذلك المكان فأكلت وتوضّأت وصلّيت حتى جاء وقت العصر فجاء ذلك الرجل الجليل الطاهر وقال: قم لنكمل الطريق، وفعلاً مشيناً لساعات عدّة حتى وصلنا إلى ماء ثانٍ، فخطّ لي خطّاً آخر وقال: هذا خط القبلة فأبق الليلة هنا وسوف آتي إليك غداً صباحاً، وعلّمني عدداً من الأذكار والأوراد، حتى مضينا على هذه الحالة سبعة أيام متتالية حيث لم أشعر بأي تعب على الرغم من قطع تلك المسافات الشاسعة.

فقال لي في صباح اليوم السابع: أغسل معي في هذا الماء وارتدِ لباس الحرام وقل معي: لبيك اللهم لبيك، فاتبعت كلّ فعل وقول كان يقوم به ذلك الرجل الجليل.

ومشينا بعد ذلك لساعات أُخر حتى وصلنا إلى جبل فسمعت أصواتاً فقلت له: ما هي هذه الأصوات؟ فقال: عندما تصل إلى قمة الجبل سوف تشاهد مدينة فأدخلها ثم ذهب عني وغاب، فمشيت حتى نزلت من الجبل فدخلت إلى مدينة كبيرة فسألت أي المدن هذه؟ فقيل: مكة وهذا هو البيت الحرام.

فجأة خرجت من تلك الحالة وشعرت أنني كنت في غفلة من أمري فتأسفت كثيراً على مافاتني من رفقت سيدي ومولاي بقية الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف ولماذا لم أشخصه في ذلك الوقت وانتفع من نوره الإلهي ولكن لاينفع الندم والحسرة.[1]

١. معجزات وكرامات الأئمّة الأطهار عليهم السلام: ١١٠.

عندما ننظر إلى تشرف المرحوم السيد عزيز الله الطهراني ولقائه بالإمام الحجة بن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف نرى أنّ تلك الكرامة والنعمة العظيمة التي حظي بها وقعت في ظل استخفاف واستهزاء أصدقائه الذين كان لهم نظرة ضيقة ومحدودة بالنسبة إلى المسائل والقضايا المعنوية، ولو كان قد تأثّر بها فمن المستحيل أن يحصل على تلك النعمة والفضيلة العظيمة والشرف الذي مابعده شرف.

وبالطبع فإنّ الرياضات الروحية التي قام بها هي العامل القوي الذي وفر له الأرضية المناسبة للإبتعاد عن هؤلاء الأصدقاء وبالتالي التشرف بلقاء صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه.

٢ ـ مجالسة الضالين

عندما تكون مجابهة أعداء الدين أمراً مستحيلاً إذ أنّ أشدّ ما يعترض هذه الرؤية اعتبارها مثالية أو أنّها ضرب من الخيال أو نوع من الطوبى، يجب علينا مواجهتهم بشكل ظاهري سلبي، حيث يمكن أن تشكل هذه المواجهة ضربة موجعة لهم وتقصم ظهورهم وبالتالي الحيلولة دون تحقق أهدافهم المشؤومة والمغرضة.

ومن الواضح فإنّ أحد مصاديق المواجهة السلبية ضد الأعداء وأصحاب البدع هي عدم الجلوس معهم ومصاحبتهم والإستماع إليهم، فإنّ هذه العملية إن لم تكن وسيلة لهزيمتهم فهي في أقل التقادير نوع من ردع شرهم وتشتيت شملهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام في رواية له:

لاتَصْحَبُوا اَهْلَ الْبِدَعِ وَلاتُجالِسُوهُمْ فَتَصيرُوا عِنْدَ النّاسِ كَواحِدٍ مِنْهُمْ، قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: اَلْمَرْءُ عَلى دينِ خَليلِهِ وَقَرينِهِ.[1]

١. اصول الكافي: ٣٧٥/٢.

وعلى ضوء هذا فإنّ الإبتعاد عنهم واجتناب مجالسهم يساهم بإبعاد الأخطار والصيرورة مثلهم مما يؤدي بالنتيجة إلى المحافظة على سمعة الفرد اجتماعياً وجعله في منأىٰ عن أمواج الفتن والمساوئ التي تصدر منهم.

٣ ـ مجالسة أهل الأهواء والميولات النفسية

لايغامر أحد منّا الشك إذا قلنا أنّ الجلوس مع أصحاب الهوى ومع من لايولي أي أهمية إلى عالم المعنى والآخرة، يسلب الإيمان من القلب ويجعله عرضة لارتكاب الذنوب والمعاصي الصغيرة والكبيرة من دون أيّ إكتراث ومبالاة، وبالتالي يستوجب حضور الشياطين فيه.

وتعدّ المجالس التي ينظمها أهل الهوى وجلوس بعضهم إلى جانب البعض الآخر ومساندة كلّ واحد منهم الآخر حربة مؤثرة في إزهاق الحق وتشويه الحقيقة، وقد عقد أعداء أهل البيت عليهم السلام مثل هكذا مجالس منذ صدر الإسلام وإلى يومنا هذا وبشكل كثير لتحقيق أغراضهم ومصالحهم الشيطانية ومآربهم الدنيوية، وإيجاد مخطط مدروس لضرب معالم ومبادئ هذا البيت المحمدي الأصيل في الصميم.

ويؤكّد مولانا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّ هذه المجالس هي مكان لحضور الشياطين، فأوضح ذلك في نهج البلاغة قائلاً:

مُجالَسَةُ اَهْلِ الهَوٰى مُنْسِأَةٌ لِلْإِيمٰانِ وَمُحْضِرَةٌ لِلشَّيْطٰانِ.[1]

ويذكر أول مظلوم في هذا العالم والصابر على أشد المحن والمصائب أمير المؤمنين علي عليه السلام في نفس الخطبة أنّ واحدة من الصفات التي يتحلى بها عباد الله هي الإبتعاد من مجالسة أهل الهوى فيقول عليه السلام:

١. نهج البلاغة: الخطبة رقم ٨٦.

اَحَبُّ عِبادِ اللهِ اِلَيْهِ عَبْداً... خَرَجَ مِنْ صِفَةِ العِمٰى وَمُشٰارَكَـةِ اَهْـلِ الْهَوٰى.[1]

إنّ مجالسة ومصاحبة أهل الفسق والفجور والأنس معهم لها تبعاتها السيئة ليس على الأشخاص العاديين فقط، وإنّما تتركت آثارها السلبية حتى على الأخيار والصلحاء من أفراد المجتمع، فتسلب منهم وتنتزع انتزاعاً صفات الخير والإحسان والصلاح، وعليه يكونون من أصناف شرار ذلك المجتمع.

قال الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

مُجٰالَسَةُ الْاَبْرٰارِ لِلْفُجّٰارِ تُلْحِقُ الْاَبْرٰارَ بِالْفُجّٰارِ.[2]

يقول عليه السلام في حديث آخر:

اِيّٰاكَ وَمُصٰاحَبَةَ الْفُسّٰاقِ.[3]

وهذه نمادج من التعاليم السامية والإرشادات البالغة التي جاءت عن لسان أهل البيت عليهم السلام وهي تتضمن بعض النصائح الأخلاقية العامة التي تشمل الإنسانية جمعاء، حيث المراد منها تنظيم لمرحلة يتوخى منها صناعة مجتمع إنساني نموذجي ومثالي.

وعلى أساس هذا فإنّ الوظيفة تحتم على كلّ من يريد الحقيقة والوصول إلى الأهداف المتعالية الإشفاق من عواقب مجالسة الأصدقاء الذين يكون هدفهم الوحيد هو الحصول على الماديات، فتركوا ذكر الله تبارك وتعالى؛ لأنّه لايمكن بحال من الأحوال مدّ يد الصداقة والمحبة لمن كانت إرادته وخياراته وهمّه كله ينصب على الحياة الدنيا فقط، ولايفكر بعواقب الأمور والدار الآخرة.

وقد قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه العزيز:

---

١. نهج البلاغة: الخطبة رقم ٨٦.

٢. بحار الأنوار: ١٩٧/٧٤.

٣. شرح غرر الحكم: ٢٨٩/٢.

﴿فَاعْرِضْ عَمَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ اِلاَّ الْحَيٰاةَ الدُّنْيا﴾.[1]

إنّ الهدف الذي يبتغه هؤلاء هو الإستفادة من الدنيا وملذاتها المادية ويطلبون المزيد منها وكأنهم يريدون كنوز قارون، وهذا ماصرح به القرآن الكريم حين قال:

﴿قٰالَ الَّذينَ يُريدُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيا يٰا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما اوُتِيَ قٰارُونَ اِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظيمٍ﴾.[2]

إنّ مثل هؤلاء الأشخاص ـ وعلى فرض أنّهم تمكّنوا من الحصول عل كنوز قارون ـ فأنّهم يطلبون المزيد من المال والثروة، فهل إنّ مجالسة ومصاحبة هولاء تأتي بالنفع على الإنسان ويرتضيه البارئ عزّ وجلّ أم يوقعه في شباك هذه الدنيا الدنية الزائلة؟

إنّ مثل هؤلاء الأشخاص كمثل السيف القاطع، حيث ترى مجالستهم تعجب الناس، ولكنّهم يدسون السم بالعسل ويتركون آثارهم السلبية هنا وهناك.

قال الإمام الجواد عليه السلام:

اِيّٰاكَ وَمُصاحَبَةَ الشَّريرِ فَاِنَّهُ كَالسَّيْفِ الْمَسْلُولِ يَحْسُنُ مَنْظَرُهُ وَيَقْبُحُ اَثَرُهُ.[3]

أَخِـلاَّءُ الرِّجَـالِ هُـمْ كَـثِيرٌ ... وَلَكِـنْ فِـي البَـلاَءِ هُـمْ قَـلِيلُ
فَلاَ تَغْرُرْكَ خُـلَّةُ مَـنْ تُـؤَاخِـي ... فَـمَا لَكَ عِـنْدَ نَـائِبَةٍ خَـلِيلُ
وَكُـلُّ أَخٍ يَـقُولُ أَنَـا وَفِـيٌّ ... وَلَكِـنْ لَـيْسَ يَـفْعَلُ مَـا يَـقُولُ
سِـوَى خِـلٍّ لَـهُ حَسَبٌ وَدِيـنٌ ... فَـذَاكَ لِـمَا يَـقُولُ هُـوَ الفَـعُولُ

---

١. النجم: ٢٩.
٢. القصص: ٧٩.
٣. بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

وكما أنّ مصاحبة الأبرار والأخيار وأولياء الله تعالى دليل على رجحان العقل وإدراك الإنسان، فإنّ مجالسة الأشرار خلاف ذلك، عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

لَيْسَ مَنْ خَالَطَ الْاَشْرٰارَ بِذي مَعْقُولٍ.[1]

والسبب في ذلك أنّ مجالسة الأشخاص الأشرار يسلب القيم الإنسانية، والنتيجة هو النظر بالنسبة إلى أولياء الله نظرة شؤم.

ومن هنا فقد تتبدّل النظرة الإيجابية والمثالية وحسن الظن إلى الأشخاص الصالحين والأخيار، ومن ربّى نفسه تربية صالحة إلى عقائد خاطئة ورؤى لاتمت إلى الحقيقة بصلة؛ وذلك نتيجة آثار مجالسة الضالين والأشرار.

وقد ورد حديث عن مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام في هذا السياق يقول فيه:

صُحْبَةُ الْاَشْرٰارِ تُورِثُ سُوءَ الظَّنِ بِالْاَخْيٰارِ.[2]

وقد لايعي الكثيرون أنّ مجالسة هؤلاء والنظر إليهم لايترك وحده آثاراً سيّئة، وإنّما أقوالهم المتدلسة تحرف الإنسان صوب الضياع والانجراف والفساد أيضاً.

٤ ـ مجالسة الشكاكين

قد تضحى المسائل الواضحة والشفافة لبعض الأشخاص من المسائل العويصة والمستعصية ويحوم حولها الشكوك والشبهات، وهذا يحدث على أثر مصاحبة ومجالسة الشكاكين.

وقال الإمام الصادق عليه السلام في رواية منسوبة إليه:

---

١. شرح غرر الحكم: ٨٦/٥.

٢. بحار الأنوار: ١٢/٧٨.

لاتُجالِسْ مَنْ يَشْكُلُ عَلَيْهِ الْواضِحِ.[1]

وعادة ما يلقي مثل هؤلاء الأشخاص الوساوس الشيطانية التي يحملونها في داخل نفوسهم وأرواحهم والتي جاءت نتيجة قلة المعرفة الدينية ونقلها إلى من يصاحبهم ويجالسهم.

وبالطبع فإنّ هؤلاء يتقبلون تلك الشبهات والأفكار المنحرفة بسبب الضعف الطاغي في الجانب العقائدي وهشاشته، والمحصلة تكون تكيفهم مع الثلة الشكاكة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

مَنْ جالَسَ اَهْلَ الرَّيْبِ فَهُوَ مُريبٌ.[2]

تجنب مجالس أهل الفساد
وقايض دنوك منهم ببعد
فقد يفسد المرء بعد الصلاح
فساد الأمَاكِن والشرُّ يعدي

١. بحار الأنوار: ٣٠٧/٧٠.
٢. بحار الأنوار: ١٩٧/٧٤.

نتيجة البحث

تلعب عملية مجالسة الأخيار والصالحين والأبرار دوراً مهماً للغاية في الانجرار وراء أفعال الخير والصلاح، ومن هنا يجب على الفرد الاستفادة من مصاحبة ومجالسة هؤلاء الذين بذلوا جهوداً جبارة ورياضات صعبة للترويض وتربية أنفسهم مما يزيد من مضاعفة القوى الروحية والمعنوية عند من يجالسهم.

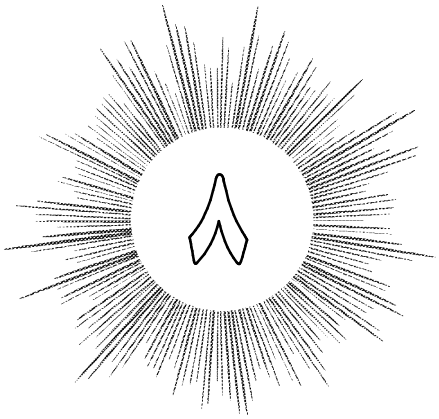
وتوجب مجالسة الشخصيات العظيمة والتي تدعو الأمة إلى البارئ عز وجل وإلى أهل الرسالة والوحي عليهم السلام إلى تعالي الروح الإنسانية وتزيد القيم المعنوية، وهذه حقيقة تعلمنا من منهاج وخط أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا على الإنسان عدم الغفلة عن هذا الأمر وبالطبع فإنّ مجالستهم ومصاحبتهم والاستماع إلى إرشاداتهم ونصائحهم الإلهية تستوجب سلامة القلب وصفائه ونقاوته، وهذا لايتحقق إلا من خلال إيجاد مكانة ومنزلة لهم فيه.

ولابدّ من الابتعاد من مجالسة كلّ من هو ضال وشكاك وصاحب فكر ضيق حتى يبقى الإنسان محافظاً على سلامة عقائده ونقاوتها ومصوناً من أحابيل الشيطان ودسائسه اللعينة.

وفي الواقع فإنّ مجالسة الأخيار تهيّئ الأرضية والمناخ الملائم لتسلق الفرد صوب قمة التعالي والمجد التليد.

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُم
وَلاَ تَصْحب الأردى فترْدى مَعَ الرَّدِي
عَنِ الْمَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِه
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي



التجربة

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

من غني عن التجارب عمى عن العواقب

التجربة طريق للتكامل الروحي

ثمة شواهد عديدة تؤكد بشكل لايقبل الشك أن التجربة تلعب دوراً مهماً ليس على صعيد التطور العلمي والمعرفي والوصول إلى درجات متعالية في المقامات المعنوية والروحية، وإنمّا تكون قادرة في كلّ هدف مهما كان فيه صعوبة على إزالة العقبات والحواجز عن الطريق، وهي تمنح نوعاً من الحركة من دون وجود للحالة الانهزامية أي وجود في النفس الإنسانية، وترفع ذلك الشخص للتحكم بالفعل المراد الإقدام عليه بشكل متزن وصحيح.

وفي هذا المضمار قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

... وَكُلُّ مَعُونَةٍ تَحْتاجُ اِلَى التَّجارِبِ.[1]

وينبغي لكلّ من يطمح للوصول ونيل المراتب العليا والوصول إلى أهدافه المنشودة، الإستفادة من التجارب المختلفة سواء كانت الشخصية منها أو الجماعية، والتي أوصلت أصحابها إلى ذلك الهدف، ولعل تلك التجارب

١. بحار الأنوار: ٦/٧٨.

والخبرات تكون داعماً وحافزاً قوياً لشق طريق النجاح، وتحقيق كلّ مايصبو له الفرد بسرعة متناهية وبأقل الإمكانيات.

التجربة وزمام المبادرة

يكتب مولانا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وأول من طبق العدالة وجسدها بحذافيرها من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المجتمع الإسلامي، والذي له تجارب شتى وهو عالم بالأُمور، إلى وإليه مالك الأشتر رسالة ـ وهي دستور عمل ومشروع إحيائي لتطبيق العدالة في العالم ـ يقول فيها:

ثُمَّ انْظُرْ في اُمُورِ عُمّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اِخْتِباراً، وَلاتُوَلِّهِمْ مُحاباةً وَاَثَرَةً، فَاِنَّهُما جِماعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيانَةِ، وَتَوَّخَ مِنْهُمْ اَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَياءِ مِنْ اَهْلِ الْبُيُوتاتِ الصّالِحَةِ.[1]

وفي هذا الدستور الذي يفصح عن وجود وتيرة خير قادرة على تكسح أمواج الفساد في طريقها إلى الرقي الإنساني، و اشارات خالدة كفيلة في تحقيق العدالة، فإنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد وضع شروطاً لمن يُراد لهم تولي المسؤوليات والمناصب، من أهمها التجربة، والتي تم الحصول عليها من خلال الاستفادة من التجارب السابقة، حتى يتمكن من الإمساك بزمام الحكم وتدبير شؤون الأمّة وتوجيها نحو الأهداف المرسومة، والوصول إلى مرحلة امتلاك القدرة على التأثير والفاعلية والعطاء، هذا بالإضافة إلى الشروط الأُخرى والتي منها الحياء، وأن يكون من الأسر المعروفة بالصلاح والتقوى.

ويأتي هذا الدستور لاختيار الأصلح واختيار الأشخاص من ذوي التجارب والحياء لأجل الحيلولة دون الوقوع في المطبات والمنزلقات والإرهاصات والعواقب التي لاتحمد عقباها، وتكون النتيجة ابتعاد الناس عن طريق الحق والانجراف وراء الشبهات والتيارات والوقوع في غياهب الحيرة والضلالة.

١. نهج البلاغة: الرسالة رقم ٥٣.

التجربة في المسائل العلمية والصناعية

وكما أشرنا انفاً فإنّ التجربة لاتكون نافعة في قضايا الحكم والإدارة فحسب، وإنّما لها الأثر الواضح والبصمات القوية في جميع المجالات العلمية والمعرفية، ولهذا نرى أنّ جابر بن حيان يقول في هذا الصدد:

يجب أن يكون في نفس المتعلم استعداد لتلقي العلم، وعليه أن يستخدم عقله مع استخدام العوامل الخارجية لتدله على درب المعرفة حتى يصبح عالماً من العلماء، فإنّ الله أعطى الإنسان العقل وأمره أن ينظر إلى ما حوله من ملكوت، وأن ينظر بالتجربة ليصل إلى الحقيقة العلمية ولايعتمد على ما يسمعه، بل على ما يرى، وعليه أن يجرب ويمتحن الأشياء، فما هو حق أخذه وما هو باطل رقيضها؛ لأنّ الحقائق لاتعرف إلاّ بالتجارب ودقة النظر وإعمال العقل.[1]

وقال في كتاب آخر له: وملاك كمال هذه الصنعة العمل والتجربة، فمن لم يعمل ويجرب لم يظفر بشئ أبدا.[2]

التجربة تزيد قدرات العقل

من المحاور التي لابدّ من التركيز عليها في هذا البحث هو أنّ التجربة علاوة على أنّها تعمل على زيادة القوى العلمية والمهارات الفردية، فإنّها تزيد من قدرات القوى العقلية يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام والذي يحمل كلّ الصفات العقلية الذاتية والطبيعية والعقل التجريبي وتجسّدت فيه بكلّ معانيها وصفاتها:

اَلْعَقْلُ عَقْلان: عَقْلُ الطَّبْعِ وَعَقْلُ التَّجْرِبَةِ وَكِلاهُما يُؤدّي اِلَى

١. كتاب السبعين، منتخبات كراوس: ۴۶۴، نقلاً عن «تحليل من آراء جابر بن حيّان».

٢. كتاب الخواص الكبير: ٧٨.

الْمَنْفَعَةِ، وَالْمَوْثُوقُ بِهِ صاحِبُ الْعَقْلِ وَالدّينِ.[1]

وعلى هذا الأساس فإنّه كلّما ازدات التجربة الإنسانية وتعمقت فإنّها تـزيد من العقل التجريبي له، ولعل من الخطوات الهامة في زيادة العقل وتكامله هو خوض التجارب، والوصول من خلال الاستنتاجات التجريبية عـلى التكـامل العقلي.

واضافة إلى الرواية السابقة فهناك حديث وارد عن الإمام الحسين عليه السلام يشير إلى هذا الموضوع حيث يقول فيه:

طُولُ التَّجارِبِ زِيادَةٌ فِي الْعَقْلِ وَالشَّرَفِ وَالتَّقْوىٰ.[2]

ويدرك الإنسان الواعي ـ ومن خلال هذا الحديث وغيره من أقوال الأئـمة الأطهار عليهم السلام الواردة في هذا الجانب ـ أنّ أمر المسؤولية والمناصب الحسـاسة يحتاج إلى التجربة الغنية حتى يتمكن مـن الإسـتفادة مـن العـقل التـجريبي، بالإضافة إلى عقله الذاتي، الأمر الذي من شأنه أن يزيد من قدراته على تجاوز النكبات والترفع إلى عالم الإبداع والنجاح وتطبيق العدل والمساواة.

التجربة طريق للخلاص من البدع

إنّ النقطة الأُخرى التي يجب العناية بـها والتـركيز عـليها هـي أنّ السـاحة الدولية يجول ويصول فيها المفسدون والمحتالون وعبدة الدنيا، فيعمل هؤلاء من خلال أساليبهم الملتوية وخططهم الشيطانية على خداع وتضليل الناس من ذوي أصحاب العقول البسيطة، ولهذا يجب علينا أن نعي هـذا الأمـر الخـطير وننقله إلى الآخرين بأمانة وإخلاص.

ولا شكّ فإنّ التجربة هي واحدة من الأشياء التي تمكّن الفرد من الخلاص

---

١. بحار الأنوار: ٦/٧٨.

٢. بحار الأنوار: ١٢٨/٧٨.

من الحيل والخداع، فهي تعري كلّ من يريد اللعب بعقول الناس ومصائرهم واستغلال طيبتهم وفطرتهم السليمة على حساب مصالحهم، وعليه فإنّ التجربة خير وسيلة للبقاء في أمان من مكرهم.

قال أمير الكلام الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

مَنْ لَمْ يُجَرِّبِ الْأُمُورَ خُدِعَ، وَمَنْ صارَعَ الْحَقَّ صُرِعَ.[1]

إنّ التجربة تزيد من قوة الذكاء وترفع المستوى المعرفي وتضيف معلومات إلى سجل الإنسان، والعامل الأبرز في فتح آفاق وعيه، وإيجاد النظرة المتآنية التي تستجلي الوجه الأخر من الحقيقة.

إنّ هناك معادلة تقول: إنّ الإنسان الذي يمتلك التجربة فإنّه ذو خبرة ونظرة ثاقبة، وهي ما يحصنه من الانخداع والانجرار وراء المخادعين والمضلين.

وبطبيعة الأمر فإنّ التجربة تجعل هناك مائزاً بين الطريق المستقيم وبين المعوج وتشخص الإنسان القويم عن المخادع، والسعادة لاتكون إلاّ لمن يسلك الطريق المستقيم ويتبع الإنسان القويم، وأمّا الشقاوة فهي تأتي نتيجة عدم الأخذ بالتجارب السابقة والعبور منها عبور الكرام، وبالتالي يضع نفسه في دائرة المحن والمشاكل ممّا يؤدّى إلى هبوطه إلى مستوىٰ تتلاعب به النزعات والشهوات.

التجربة تفرز الأصدقاء في الصعاب

يمكن من خلال الصعوبات التي يواجها الإنسان في محطات حياته أن يفرز الصديق الحقيقي عن المقنع، ولاشك فإنّ المصائب والمحن التي جرت على أهل البيت عليهم السلام والقتل والتشريد الذي تعرضوا له، وكذلك مرحلة الغيبة للإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف هي من أشد الامتحانات العسيرة

١. بحار الأنوار: ٤٢٢/٧٧.

التي يمرّ بها الشيعة الحقيقيون؛ لأنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام الموالين والمخلصين هم وحدهم الذين يدافعون عن قادتهم حتى في أحلك الظروف وأشدها موقفاً وهم ثابتون فى مقام المدافع والمحامي عنهم، وان كلّفهم ذلك النفس والمال، وبالتالي يخروجون من ذلك الإمتحان والتجربة وهاماتهم مرفوعة إلى السماء.

ومن هنا فقد كتب النبي يوسف على نبينا وآله وعليه السلام على باب سجنه عندما خرج منه:

هٰذا قَبْرُ الْاَحْيٰاءِ وَبَيْتُ الْاَحْزٰانِ وَتَجْرِبَةُ الْاَصْدِقٰاء وَشِمٰاتَةُ الْاَعْدٰاءِ.[1]

وعلى ضوء ما قيل فإنّ الصعاب والمشاكل والمحن التي يمكن أن تصيب الإنسان بأيّ نحو وشكل كان، فهي الوسيلة الأمثل لكي يشخص أصدقائه ويعرفهم على واقعهم الحقيقي ومقدار صداقتهم ووفائهم ومدى وقوفهم معه في مثل هذه الظروف.

ولعلّ هؤلاء هم أعداء الإنسان الواقعيون ولكنهم يتظاهرون بلباس الأصدقاء الأوفياء، وفي لحظة الخطر والشدة يتركونه وحيداً فريداً لا ناصر له ولامعين، وبذلك فسوف يتلقى ضربة قويّة منهم لم تكن في الحسبان بتاتاً، ومن هنا فإنّ الصعاب والشدائد هي خير تجربة ووسيلة يمكن عن طريقها تشخيص مدى جدية نفوس هؤلاء.

التجربة محل لأخذ الدرس والعبرة

من المؤكّد فإنّ التجربة الصالحة والطالحة والمرة والحلوة هي أرضية مناسبة لتغيير أوضاع حياة الإنسان نحو الأحسن، ويمكن أن تشكل بمفرداتها ومراحلها أفضل درس عبرة وعظة له لأجل رسم معالم المستقبل حتى لايقع في أخطاء الماضي ويكرّرها مرّة أُخرى، وكذلك تكون تلك التجارب خير معين لمستقبل واعد، وإذا كان الشخص لم يتعظ من تلك التجارب ولم يأخذ

١. بحار الأنوار: ٢٩٤/١٢.

منها لزاده فمن أي شيء يتعظ إذن؟!

قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِالْبَلاءِ وَالتَّجارِبِ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ.[1]

ونتيجة هذا فإنّ الإنسان موظف للإستفادة القصوى من التجارب والمصائب التي تواجهة وإعداد نفسه لحياة أفضل.

الإستفادة من تجارب الآخرين

إنّ التاريخ شهد حوادث ووقائع لا حصر لها ويجب على الجميع أن يأخذ منها الدروس والمواعظ والعبر، ويستفيد من النتائج والثمرات والإفرازات والسلوك الاجتماعي والفردي للناس في تلك الحقب الزمانية؛ لأنّ أخذ العبر والدروس لاينحصر بما يمر على الإنسان من محطات متنوعة في حياته، بل عليه الإستفادة من تجارب الآخرين ووضعه ضمن قاموس حياته.

وقد تكون هناك موانع ومشاكل كبيرة تمنع الفرد من الوصول إلى الأهداف المتعالية وتجعله قانطاً يؤوساً، ولكن يتبدل ذلك اليأس والقنوط إلى نوع من الأمل الوردي والشفاف وتنتعش آماله في الحياة من جديد عندما يراجع التجارب التي مرّ بها الآخرون، وكيف أنّهم استطاعوا تجاوزها وحلّها، وعلى ذلك فإنّه لايحتاج في حلّ مشكلته إلى تكرار نفس التجربة فيكون ذلك مضيعة للوقت والجهد.

وهذا هو حاصل تجارب ونتائج الأشخاص الذين ذاقوا طعم الحياة مرّها وحلوّها، حيث أوصى هؤلاء من حولهم من الأقرباء والأصدقاء بأخذ العبر والدروس من تجارب الآخرين، وأحد هؤلاء الأشخاص هو «عوف بن كنانة» فقد كتب في وصيته:

---

١. نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٧٥.

خُذُوا مِنْ اَهْلِ التَّجارِبِ.[1]

إذن لابدّ لكل من يريد خوض غمار مشروع ما من الإستفادة من ذوي التجارب وعدم الغفلة عن ذلك؛ باعتبارها الضمانة الداعمة والحقيقة لنجاحه والمضي قدماً لتحقيقه.

كيفية الإستفادة من تجارب الآخرين

يمكن للإنسان ـ من خلال قراءة التاريخ بإسهاب وتمعن ودراسة الوقائع والحوادث التي رسمها رجالاته سواء في الأزمان الغابرة والقريبة وكيفية تأثيرهم في أوساط المجتمع، ودراسة العلل والأسباب الحقيقة التي أدت بالنتيجة إلى سقوطهم، وخاصة تحليل التاريخ الذي مرّ به بنو اسرائيل وحكومات آل فرعون التي حكمتهم ـ أن يخرج بتجارب كبيرة في الحياة الإجتماعيّة والفردية.

إنّ تحليل ودراسة شخصية وصفات وخصوصيات الأفراد الذين وضعوا بصماتهم وحفروها على أخاديد التاريخ هو طريق جيّد مثالي لمعرفتهم، ونور يستضئ به الإنسان في ظلمات حياته؛ ولهذا ينبغي لنا جميعاً أن ندرس حياة العظماء، إذ إنّ سلوكهم وأغاط حياتهم كلّها عبر ودروس.

إنّ من المسائل التي يجب الأخذ بها بنظر الأعتبار وجوب وضع التجارب والأعمال الفردية التي قامت بها الشخصيات التي كان لها الدور الأبرز في تحديد بعض الأُمور الحياتية كدرس يتعظ منها الإنسان في حياته الشخصية، وكذلك على المجتمع أن يأخذ من السلوك الإجتماعي للناس في الزمن الماضي درساً عمليّاً ينتهجه في تصرفاته لكي يتمكن من بناء حضارة إنسانية مثلى.

---

١. بحار الأنوار: ٢٤٢/٥١.

ولانغالي إذا قلنا: إنّ دراسة أحوال العظماء ونتاجاتهم الفردية والإجتماعية التي جادت بها أفكارهم وعقولهم في الأزمنة الماضية، والوقائع والأحداث التي تعرضوا إليها وكيفية تجاوزها، تشكل منعطفاً مهمّاً في رسم الصورة الحقيقية للواقع، وتنظيم التعامل مع الموضوعات الحياتية.

ويمكن ان يقال على سبيل المثال بأنّ دراسة وتحليل العلل والأسباب التي كانت من وراء غيبة وظهور الأنبياء الماضين عليهم السلام وإمكانية التشرف وارتباط بعض الناس بهم في زمن غيبتهم، هو دليل وتجربة كبيرة في مسألة معرفة الغيبة وظهور مولانا صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى له الفرج.

وبطبيعة الحال فإنّ الإستفادة من التجارب الشخصية والتجارب التي مرّ بها العظماء هي من النعم الإلهية التي وهبها الله تبارك وتعالى لبعض عباده، ولعل نسيان تجارب الآخرين وعدم الإكتراث بها هو دليل على شقاوة الإنسان وعدم حظوه بالسعادة المنشودة.

قال الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

اِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حَرُمَ نَفْعَ ما اُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَجْرِبَةِ.[1]

إنّ مثل الشخص الذي لم يستفيد من التجربة كمثل المسافر الذي يسافر من دون دليل، فإنّك تراه يدور في حلقة مفرغة في الصحاري والقفاري، وبعد مدة من تحمل المشقات والصعاب يرجع إلى مكانة الأوّل، فهؤلاء بالإضافة إلى المعاناة الشديدة والعذاب وعدم الانتفاع من سفرهم هذا، فإنّهم أضاعوا عمرهم في التيه.

ومن هنا فإنّ مقتضى العقل ومنطق الإنسان السليم يحتم على الإنسان الإحتفاظ بالتجارب وأخذ الدروس والعبر منها سواء كانت تلك التجارب سيئة أو جيدة لا فرق بينهما، والنتيجة تكون خارطة طريق للعمل ومنهجية للمستقبل المنظور.

---

١. نهج البلاغة: الرسالة رقم ٧٨.

عدم نسيان التجارب

إنّ العقل هو المركز لحفظ التجارب، فلذا نرى أنّ الأشخاص الذين لم تتكامل قواهم العقلية، فإنّهم ينسون التجارب الحياتية بسرعة، وبالتالي لايستفيدون منها في المواقع الضرورية واللازمة، عكس أصحاب العقول المتكاملة والراجحة، فإنّهم يتعلمون من التجارب الشيء الكثير ولاينسونها ولو للحظة ما، يقول الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام في وصيّته لابنه الإمام الحسن عليه السلام:

وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجارِبِ وَخَيْرُ ما جَرَّبْتَ ما وَعَظَكَ.[1]

وعلى أساس ذلك يمكن القول: إنّ حفظ التجارب الحلوة والمرّة الشخصية أو التي جرّبها الآخرين والإستفادة منها في الأوقات اللازمة هي دليل على عقلانية الشخص؛ لأنّ المرور على تلك التجارب وأخذ الدروس والعبر منها تنبع من تكامل القوى العقلية لديه.

ونقرأ في رواية أُخرى عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام قوله:

مِنَ التَّوفيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ.[2]

فحينما تُحفظ التجربة الصالحة ـ الّتي حصلت للآخرين ـ ويتمّ الإستفادة منها في المواقع الضرورية فإنّ التوفيقات الإلهية تشمل حال الإنسان؛ ولهذا فإنّ التجربة الأمثل هي تلك التجربة التي يخرج منها الإنسان بالنتيجة المطلوبة والعبرة المفيدة، ويستعملها ويطبقها في مشاريعه وبرامجه الحياتية المستقبيلة.

إذن فعندما تنسى التجربة وتوضع وراء الظهر فلايمكن الانتفاع والاستفادة

١. بحار الأنوار: ١/١٦٠، نهج البلاغة: الرسالة رقم ٣١.
٢. بحار الأنوار: ٦٩/٤١٠.

منها، كما هو الحال في عدم جدوى تكرار التاريخ وإحيائه للكثير من المسائل والقضايا التي أكل عليها الدهر وشرب، وكذلك تكرار الكثير من التجارب المرّة الماضية بعد انقضاء الزمن وطيّ صفحات الحياة عليها وجعلها تتكرر مرة ثانية في ذاكرته.

إذن أليس حرياً بالإنسان أن يحتفظ بالتجارب الماضية والإستفادة منها في مسيره الطويل للوصول إلى الأهداف المتعالية وأخذ العبر والدروس منها، وعدم تكرار نفس التجارب والنتائج والأخطاء التي وقعت له في حياته الماضيه نتيجة ذلك النسيان والغفلة.

نعم؛ لقد كان الأُسلوب والطريقة التي اتبعها علماء الدين والأئمة الهداة عليهم السلام هي إرشاد الأمة إلى العمل بتجارب الآخرين والإستفادة منها بنحو أفضل، والتي كانت قد حصلت لهم أو جاءت نتيجة تجارب الآخرين، ويمكن من خلال تطبيق تلك الإرشادات والتوصيات الإستفادة من الوقت والفرصة نيل التوفيقات والنجاحات التي يبتغيها الإنسان ويتأمّل الحصول عليها.

نتيجة البحث

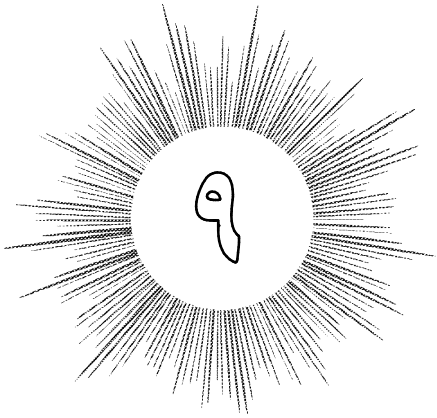
إنّ من يطلب الأهداف المتعالية والسامية ويريد الوصول إلى أعلى مراتب العلم والمعرفة لابدّ له من وضع التجربة حجر أساس له في ذلك، فإنّ التجربة هي التي تستطيع من تقوية المهارات والقوى العلمية والعملية للإنسان؛ باعتبارها تزيد من العقل التجريبي وتكون وسيلة لمعرفة وتشخيص الصديق الواقعي عن المزيف وتحفظه من مكائد ومصائد المخادعين والصيادين في الماء العكر.

ويمكن للإنسان وبواسطة حفظ التجارب السابقة من جبران نقائص ماضيه وصنع مستقبله الواعد.

ومن الضروري بمكان أن يكون العلم والمعرفة التي يستند عليها الاستاذ والمعلم مبنية على أساس التجارب العلمية والعملية للآخرين.

ويمكن من خلال التجارب التي حصلت له الإنسان وسائر الشخصيات العظيمة من إيقاض القوى الموجودة بالقوة في داخل الإنسان والإستفادة منها في معرفة العالم وأسراره الخفية، وعلى ضوء ذلك كله فالجميع بحاجة ماسة إلى التجربة ولاغنى عنها في المراحل الحياتية المختلفة.

لا تمدحن امرأً حتى تجربه
ولا تذمه من غير تجريب



مخالفة النفس

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

أعظم ملك، ملك النفس

مخالفة النفس أو الكبح من جماحها

عادة ما يتمكن الإنسان من الحصول على القوى الروحية العظيمة، وذلك من خلال مخالفته هوى النفس والسيطرة عليها، وكذلك الإستفادة من الطاقات الروحية العجيبة الناتجة جراء تهذيبها تدريجياً، ويمكنه حلّ الكثير من المشاكل التي تواجهه وتواجه الآخرين بسهولة نتيجة تشكيل وبلورة القوى الروحية تلك.

وأمّا الإنسجام والتناغم مع متطلبات النفس ورغباتها فإنّه يؤدي إلى بعثرة القوى الروحية وتشتتها، وهو فعل يعاكس الصورة المقابلة والتي ذكرناها آنفاً وهي مسألة مخالفة النفس وحاكميتها، إذ أنّها تجمع القوى وتجعلها متحدة فيما بينها، ومنسجمة إلى حدّ أن تكون فعالة داخل تلك النفس.

ويمكن تشبيه عملية مخالفة النفس بالسد المنيع الذي يقف أمام جريان الماء، حيث لن يعمل على عدم هدر المياه فحسب، وإنما هو قادر على جمعها في مكان واحد، وبالتالي الإستفادة منها في توليد الطاقة الكهربائية وتمويل المدن وتشغيل المعامل الكبيرة بهذه الطاقة العظيمة.

وكذلك عمليّة مخالفة النفس فإنّها بالإضافة إلى أنّها تكون مانعاً من تشتت

الطاقات الروحية والسماويّة المودعة في داخل الإنسان فهي قادرة ونتيجة تجمع تلك القوى أن تصنع من إنسان عادي إنساناً عظيماً يمتلك كلّ مقومات النجاح والفلاح، ويكون صاحب إرادة قويّة وشخصية مثالية قل نظيرها.

لقد أودع الله تبارك وتعالى في الإنسان عقلاً جعله بمثابة ذلك السدّ الذي يستطيع بواسطته كبح جماح النفس و السيطرة على القوى الروحية.

فهل يا ترى سيكون الإنسان مستعداً للإستفادة من القوى الجبارة والعظيمة التي أودعها البارئ عزّوجلّ فيه، وذلك من خلال مخالفة هوى نفسه؟

إنّ الكل يعلم أنّ هناك الكثير من الأشياء الثمينة والقيّمة مدفونة تحت الأرض وفي أعماقها السحيقة، وقد يوجد أيضاً وراء ستار الأهواء النفسية للإنسان قوى روحية عجيبة خارقة للعادة، وبما أنّ عملية الوصول إلى تلك الكنوز والأشياء الثمينة لاتتم إلاّ عن طريق إزاحة التراب والأحجار الكبيرة، فكذلك لايمكن الحصول على القوى الكبيرة والعظيمة المودعة من قبل السماء في داخل الإنسان إلاّ من خلال إزاحة الستار عن الأهواء النفسية ووضعها جانباً.

وعلى ذلك فإنّ موافقة النفس والمشي وراء رغباتها لاتكون نتيجته سوى هدر القوى الروحية والطاقات والقوى السماوية، وتكون عاملاً مساعداً للحيلولة دون تنظيمها.

وبالطبع فإذا خالف الإنسان هوى نفسه، وجنح عن ذلك وعمل خلاف مقتضاها وشهواتها فسوف تظهر وتتجلّى له القدرات والقوى الروحية بامتياز، وينبض قلبه بالحياة المعطاء من جديد، وعليه سيتمتع بقوى عظيمة لاتعقل، حينها سيعجب هو من حصول ذلك الأمر!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

بِمَوْتِ النَّفْسِ يَكُونُ حَيَاةُ الْقَلْبِ.[1]

١. بحار الأنوار: ٣٩١/٧٠، مصباح الشريعة: ٦١.

فعندما تزول الجوانب الحيوانية للنفس وتتنحى وتستقر الحالات الرحمانية فيها حينها يحيا القلب حياة جديدة كلها صلاح وتقى وإيمان.

إنّ الإنسان صاحب البصيرة عندما يتمعن جيداً في حديث رسول الله ﷺ يراه وعلى الرغم من قصره يحمل الكثير من المعاني والمفاهيم الرفيعة التي تشع في النفس أنوار العلوم والمعارف.

وعلى أي حال ففي حياة القلوب تتكون وتبرز القدرات الروحية والمعنوية، وفيها يجري تنظيم القدرات المعنوية الاستثنائية وتصب في مختلف مجالات الحياة.

غلبة النفس على العقل

تتمتع القوى النفسية بقوى هائلة بحيث يمكنها تغيير المسائل الفطرية للإنسان وتجعله مستعداً لارتكاب أبشع الجرائم والمعاصي، وإن كانت على حساب أقرب الناس إليه وأحبّهم.

ومع أنّ محبّة الأهل ومؤدّتهم نابعة من المسائل الفطرية والطبع الإنساني السليم، ولكن نفس تلك الطباع الإنسانية يمكنها أن تتغير، وتتبدل تلك المحبة والمودة إلى عداء لدود وخصومة جراء أتباع هوى النفس، فها نحن نرى كيف ارتكب أول شخص على هذه الكرة الأرضية «قابيل» جريمة نكراء حدثت نتيجة مطاوعته لهوى نفسه، فيحدثنا القرآن الكريم عن هذه القصة فيقول:

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ اَخيهِ فَقَتَلَهُ فَاَصْبَحَ مِنَ الْخٰاسِرينَ﴾.[1]

ومن هذا المنطلق فإنّ النفس لاتغير طباع وصفات الإنسان فقط، وإنّما تعمل على تغير المسائل الفطرية التي منحها له البارئ عزّ وجلّ، وذلك نتيجة الوساوس والتحريك لتلك النفس، كما حدث ذلك مع «قابيل» حيث ملأت قلبه حقداً وحسداً وعداءاً لأخيه «هابيل» والنتيجة كانت قتله وتلطيخ يديه بدمه.

---

١. المائدة: ٣٠.

ففي مثل هذه الموارد تكون الغلبة للنفس على العقل وتكون هي المسيطرة والمهيمنة في مثل هذه المواقف والأحداث إذ يأتي أحياناً تكون قدرة وقوة النفس كبيرة بحيث تستطيع التفوق على العقل على الرغم من قدرته وإمكانيته الهائلة وتكون حاجباً مانعاً من إيصال التوجيهات والإرشادات والنصائح الصالحة له.

وفي هذا الصدد يقول أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ اَسيرٌ تَحْتَ هَوٰى اَميرٍ.[1]

إنّنا نرى أنّ هناك الكثير من الناس الذين يتمتعون بقوى عقلية خارقة للعادة ولهم الاستعداد ذاتياً للوصول إلى الأهداف العالية، ولكنّهم لايستفيدون من تلك الموهبة والكنوز العظيمة فحسب، وإنّما يكونون أسرى للنفس وشهواتها وملذاتها التي عادة ماتكون آنية ووقتية، وهذا ما لم يحدث لولا اتباع النفس الأمارة، والنتيجة هي قتل القدرات والإرشادات العقلية لديهم.

ومن هنا يجب على الإنسان أن يجاهد النفس الأمارة لكي لايمكنها بحال من الأحوال أن تسيطر وتتغلب على القوى العقلية.

دواء النفس

إنّ النفس هي موجود عجيب باعتبارها قادرة على إيصال الإنسان إلى أسمى مراتب الإنسانية، وكذلك لها القدرة على إنزاله إلى أرذل المراتب وأسفل الدرجات.

وعليه ينبغي للفرد مراقبة نفسه دوماً وعدم ترك الحابل على الغارب، وفسح المجال لها في الانزلاق وراء الشهوات والملذات.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

لاتَدَعِ النَّفْسَ وَهَوٰاهٰا.[2]

---

١. نهج البلاغة: الكلمات القصار ٢٠٢.

٢. اصول الكافي: ٣٣٦/٢.

إذ إنّ النفس لها قوى عظيمة، ولكنها جامحة ومشاغبة وعاصية! ولهذا علينا مدواتها لكي نستفيد منها على أفضل وجه ممكن.

ويوضح الإمام الصادق عليه السلام في نهاية هذه الرواية طريقة دوائها فيقول:

وَكَفُّ النَّفْسِ عَمّا تَهْوى دَوٰاهٰا.[1]

إذن يمكن من خلال مداوة النفس وعالجها تبديل قواها إلى قوى سليمة ورحمانية والإستفادة في النتيجة من الطاقات الروحية المكنونة في داخل الإنسان.

وعلى هذا فإنّ مخالفة النفس توصل القدرات والقوى العظيمة الموجودة في النفس ـ بالقوّة ـ إلى مراحل الفعل، وتوجد الأرضية والمناخ الملائين لتوظيفها لصالحه.

ولايمكن لمجتمع أو جماعة من الاهتداء إلى البدائل السويّة والنهج الرسالي الوضاء، والتنور من الأنوار المشعة للمعصومين عليهم السلام مالم يغيروا حالاتهم النفسية وإيجاد التغير الشامل في النفوس.

فعند القيام بهذا الفعل سوف تتغير عندهم الحالات المعنوية كذلك، وهذه حقيقة قرآنية لايمكن الشك فيها، فقد قال البارئ عز وجل في محكم كتابه العزيز:

﴿إِنَّ اللهَ لٰايُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[2]

وعلى ضوء هذه الحقائق فإنّ مصير المجتمعات والسعادة والشقاوة التي تصيب الأمم كلها أُمور مرهونة ومبنية على المتطلبات والرغبات النفسية لهم، ومدى إيجاد التغير نحو الأحسن في أنفسهم.

---

١. اصول الكافي: ٣٣٦/٢.

٢. الرعد: ١١.

أثر الدعاء في تهذيب النفس

يلعب الدعاء في محضر البارئ عزّ وجلّ والتوسل بأهل البيت عليهم السلام دوراً مهماً وأساسياً لنجاة النفس من الأهواء والشهوات والرغبات؛ ولهذا نرى أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام قاموا بإيصال رسالة مهمة إلينا مفادها الإلتزام بالدعاء دوماً والمواظبة عليه، لأجل التغلب على هوى النفس وشهواتها.

فعلى سبيل المثال هناك دعاء وارد عن المعصوم عليه السلام يقرأ في ليالي الأربعاء جاء فيه:

اَللّٰهُمَّ... اَصْلِحْ مٰا بَيْني وَبَيْنَكَ وَاجْعَلْ هَوٰايَ في تَقْوٰيكَ.[1]

ففي الوقت الذي لاتبغي النفس الإنسانية المهذبة سوى تقوى الله تبارك وتعالى، فلهذا فإن أراد الإنسان تهذيب نفسه وبناءها بناءً إلهياً فما عليه إلاّ الإبتعاد عن الأهواء والرغبات النفسية الدنية.

التعوّد على مخالفة النفس

إنّ كلّ عمل وفعل يقوم به الإنسان لإضاء النفس ومطاوعتها وإن كان لايعتد به، يؤدي بالنتيجة إلى التقليل من القدرات الروحية! وقد تفقدها بعض مقوماتها الحيوية والفاعلية، بينما نجد أنّ مخالفة النفس يبعث على لملمة القوى في الفرد وإيجاد قوة خارقة ونورانية خاصة.

فهناك معادلة طردية بين مخالفة النفس والقوى الروحية، فكلما كانت المخالفة شديدة كلما ازدات القوى الروحية وتمتعت بقوة أكبر.

ومن الواضح فإنّ مخالفة النفس وعدم مطاوعتها تسبب العديد من المشاكل والصعاب، ولهذا نرى أنّ معظم الناس يجرأون على القيام بها، وهناك قسم آخر يعمل على مجاهدة النفس، ولكنّه في نهاية المطاف بعد مدة قصيرة يستسلم لها نتيجة عدم ثباته واستقامته في ذلك.

---

١. بحار الأنوار: ١٩٣/٩٠، البلد الأمين: ١٢٧، المصباح: ١٢٣، مصباح المتهجّد: ٣٢٩.

وثمة مسألة يجب أن يلتفت إليها الإنسان الذي يرغب في إيجاد خطوات تختصر له طريق الوصول إلى الحالات المعنوية وزيادة قدراتها وهي: أهمية مسألة الإعتياد على الأعمال والأفعال الصالحة والخيرة، إذ أنّ الصعوبات والعقبات التي تواجه الإنسان عندما يخالف هواه تذهب وتزول حين التعود على تلك الأعمال بشكل يصعب معه تركها.

وفي هذا الصدد يقول الإمام الباقر عليه السلام:

عَوِّدُوا اَنْفُسَكُمُ اَلْخَيْرَ.[1]

باعتبار أنّ أساس فعل الخير والاعتياد عليه لن يردع الإنسان عن القيام بالأعمال الطالحة والمشينة فقط، وإنّما تجعله محبّاً لأعمال الخير ـ مع ما له من مشاكل وصعاب ـ والتطبع عليها.

وقد أثبتت كلّ التجارب أنّ الإعتياد على شيء يجعله السمة الغالبة في تصرفات الشخص، ويكون ضمن طباعه وعاداته وأخلاقه اليومية شعر أم لم يشعر، بحيث يجد في تركه صعوبة وأمراً شاقّاً.

وعلى أساس ذلك فإنّ القيام بالأعمال الخيرة والصالحة والإعتياد عليها لن تسهل عملية مخالفة النفس وحدها فقط، وإنّما سوف تكون أعمال الخير من طباعه وبالتالي يكون تركها أمراً صعباً.

بطبيعة الحال فإنّ المجرم حينما يقدم ولأوّل مرة على ارتكاب جريمة السرقة أو الخيانة فإنّه يشعر في باطنه بالحياء والمعصية ويشعر في قلبه أنّه أقدم على تلويث نفسه وروحه، ولكن تتدريجياً وبالتكرار سوف يضمحل ذلك الشعور ويضحى ارتكاب الجريمة أمراً طبيعياً، والنتيجة لن يشعر بالحياء والمعصية بعد ذلك وإنّما سيكون معتاداً على القيام به ولن يكون له خيار إلاّ فعله.

وكما أنّ الوقت وتكرار المعصية كفيل لإيجاد الإعتياد عند البعض ويصبح

---

١. بحار الأنوار: ٢٤٤/٤٦، الخرائج: ٢٢٩.

تركه أمراً في غاية الصعوبة، فإنّ القيام بالعبادات الشاقة لأولياء الله وأُولئك الثلة التي تسعى في طريق التقرّب إلى أهل البيت عليهم السلام أيضاً يصبح أمراً يسيراً، وليس هذا فحسب، بل إنّه يكون طبعاً سارياً في وجودهم بشكل يجعلهم غير مستعدّين بحال من الأحوال لتركه، خاصّة بعد الآثار والثمار المهمّة التي يلمسونها نتيجة تلك العبادات. ففي هذه الحالة تجد عندهم التوافق مع النفس ومتطلباتها أمراً مستحيلاً، عكس الصورة تماماً مع القسم النقيض الذي يرى صعوبة في مخالفة النفس والتقاطع معها.

إنّ هناك فئة من الناس لاتحتاج إلى مرور زمان للتكيف والتأقلم مع عملية مخالفة النفس، فيحصل عندهم نوع من التغير الفجائي العظيم فينقلب إلى شخص آخر، ومن هؤلاء هو «بوريا ولي» وأمّا قصة هذا الرجل فهي:

كان «بوريا» مصارعاً لايقوى أحد في المدينة على مجابهته ومنازلته، وكان يسافر من مدينة إلى أُخرى لمواجهة أبطالها، ولم يتمكن واحد من هؤلاء من هزيمته، بعدها عزم على السفر إلى العاصمة لمواجهة بطلها، ومن ثمّ الجلوس على كرسي البطولة لبلده.

وكان صيته وشهرته قد جابت الأفق، ولهذا حينما تحرك صوب العاصمة جعل بطل العاصمة في قلق واضطراب شديدين، وحينما شاهدت والدته آثار القلق والهم والحزن على ولدها سألته عن السبب من وراء ذلك فذكر لها أسباب قلقه.

وكانت والدته إمرأة صالحة ومؤمنة، فبدأت بالدعاء والتوسل وأخذت تنذر كلّ يوم وتطعم الفقراء والمساكين في باب المدينة لأجل فوز إبنها، وفي أحد الأيّام وصل «بوريا» إلى أبواب المدينة فشاهد إمرأة جالسة وفي يدها طبق من الحلو فجاء إليها وسألها عن قيمته، فقالت له المرأة: إنّه ليس للبيع وإنّما نذر نذرته لوجه الله تعالى، فسألها ما هو سبب نذرك أيّتها المرأة؟ فقالت: إنّ ولدي هو بطل العاصمة وهو ينتظر قدوم أحد الأبطال من مدينة أُخرى لمنازلته ويخاف منه فإذا غلبه فإنّ مالنا وسمعتنا سوف تذهب أدراج الرياح ولن يبقى

شيء نعيش عليه فشاهد بوريا تلك المرأة وهي تتوسّل وتتضرّع إلى البارئ عزّ وجلّ وتقرأ هذه الآية الشريفة ﴿يا اَيُّها الَّذينَ اٰمَنُوا كُونُوا اَنْصارَ اللهِ﴾[1].

وأخذ يتأمل ويقول في نفسه إذا تغلبت على ابنها فسوف أكون أنا البطل الأوحد للبلاد، وإمّا إذا غلبت نفسي فسوف أكون بطل الله، ثمّ قال في نفسه: لن أقطع رجاء هذه المرأة وكسب رضا البارئ عزّ وجلّ.

فجأة التفت إلى المرأة وقال لها: ان نذرك قد قبل، فدخل إلى المدينة فلمّا جاء اليوم الموعود للمبارزة دخل بطل العاصمة وهو مخطوف الوجه ووقف أمام بوريا، فبدأت المواجهة وفي تلك اللحظات استسلم بوريا وخالف نفسه، وبعد لحظات فإذا ببوريا يسقط على الأرض ويعلن خسارته وفي تلك اللحظة انكشفت له الأسرار.[2]

من لي بردّ جماحي من غوايتها
كما يُردُّ جماحَ الخيلِ باللجُمِ

ومع أنّ ذلك الشاب قد هزم بوريا ولكن الله سبحانه وتعالى جعله من أوليائه الصالحين والمقرّبين أيضاً.

فلا ترُم بالمعاصي كسرَ شهوتها ... إنّ الطّعام يُقوي شهوةَ النّهمِ
والنّفسُ كالطّفلِ إن تُهملهُ شبَّ على ... حُبِّ الرّضاع وإن تفطمهُ ينفطمِ
فاصرف هواها وحاذر أن تولّيَهُ ... إنّ الهوى ما تولّى يُصمِ أو يَصُمِ
وراعها وهي في الأعمال سائمة ... وإن هي استحلتِ المرعى فلا تُسِمِ
كم حسّنت من لذّةٍ للمرء قاتلةٍ ... من حيثُ لم يدرِ أنّ السّمّ في الدّسم
واخشَ الدّسائس من جوعٍ ومن شبعٍ ... فرُبَّ مخمصةٍ شرٌّ من التُّخمِ
واستفرغِ الدّمعَ من عينٍ قد امتلأت ... من المحارمِ والزم حميةَ النّدمِ
وخالفِ النّفسَ والشّيطان واعصِهما ... وإن هُما محّضاك النُّصحَ فاتّهِمِ
ولاتُطع منهما خصماً ولا حكماً ... فأنت تعرفُ كيدَ الخصمِ والحكمِ

---

١. الصفّ: ١٤.

٢. راجع: العبقريّ الحسان: ١٠٦/٢.

أســـتغفرُ الله مـــن قـــولٍ بـــلا عـــملٍ لقـــد نســـبتُ بـــه نســـلاً لذي عُـقُمِ

إنّ الإنسان يستطيع ومن خلال الإرادة القوية والتوكل على الله تعالى، من مخالفة نفسه كما فعل بوريا، والسيطرة عليها في أصعب الظروف وأشدها.

تهذيب النفس يُسهّل الإستفادة من القدرات الروحية

إنّ البحث عن النفس وحالاتها هو بحث في غاية الأهمية ويحمل في طياته المتعة والجمالية، ويحتاج الغور فيه إلى كتاب مستقل، ولكن هنا نتطرق إليه باختصار ونقول: إنّ النفس وكما أنّها تستطيع أن تنزل بالإنسان إلى الحضيض ومستنقع الرذائل فإنّها قادرة على التحليق به في عالم المعنويات والمقام الملكوتي الملائكي وتجعله صاحب حالة من النورانية «التروّح».

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

مَنْ اَصْلَحَ نَفْسَهُ مَلَكَهَا.[1]

ويلاحظ أنّ الشخص الذي يمتلك زمام نفسه ويروضها، فإنّه قادر بالفعل على الإستفادة من قدراتها؛ باعتبار أنّ النفس في حالة الإصلاح والتهذيب تكون تحت سيطرة وحاكمية القوى العقلية، ففي تلك الصورة يكمن التحكم بالأهواء النفسية الدنية، وكذلك لايمكن للهواجس النفسانية من محو الصفحات الذهنية وتلويثها بسهولة.

وفي هذه الصورة تتجه المتطلبات والرغبات النفسية لتأخذ قالباً رحمانياً، وتتناغم تدريجياً مع العقل، وعليه لن ترفع يدها في مجابهة العقل، وإنّما تكون طوعاً وسنداً وعوناً لما تريده القوى العقلية.

وحينما تقع القدرات النفسية للإنسان تحت سيطرة وحاكمية القوى العقلية وتكون المدافع والمحامي عنها، فهنا تتبلور وتتشكل حالة «التروّح»، وفي تلك

١. شرح غرر الحكم: ١٦٠/٥.

الصورة يمكن إزالة الآثار المادية عن الجسم، وفي خضم ذلك تنصقل أجمل وأروع الحالات الروحية والمعنوية وتخرج إلى النور عبر مخاضات عسيرة.

ماذا يحدث لو استطاع الإنسان السيطرة على القدرات النفسية؟

يوضح أحد العلماء الأعلام مسألة القدرات النفسية فيقول في هذا الصدد:

«إنّ النفس لو تركتها في شأنها فلن تكون خالية من الإبداع؛ لأنّها تنشئ الصور، ولهذا فهي تكون مظهراً لصفة إبداع وعظمة الخالق عزّ وجلّ. أيّها العزيز أنت أيضاً تمتلك تلك الهيئة، ولكن أثرها المطلوب ضعيف؛ لأنّ وجودك ضعيف، إنّك تستطيع أن تخلق بحراً من النار، والحال أنّ هذا الأمر لا حقيقة له، وهذا ناتج من الصور الخيالية، فإنّها إذا أخذت جانب القوة توجب الأثر.

إنّ واحدة من معجزات الأنبياء هي قوة النفس التي امتلكوها والتي كانوا يتحكمون بها بمحض إرادتهم ومشيئتهم، وبما أنّ أنفسنا ضيقة فهي لا تمتلك قوة كبيرة، وعليه فإنّ النفوس السعيدة تقوى في دار الآخرة وتحلق، إذن فعلينا ان نعمل لكي تكتمل هذه النفس في هذه الدنيا؛ لأنّه في هذه الحالة فسوف تتمتع النفس الإنسانية ونتيجة تهذيبها وتكاملها بجانب من القدرات الخلاقة، فتكون قادرة على اتخاذ القرار بمحض الفكر، ومن ثم تحققه في الخارج».

نعم وهذا ما صرّح به أمير المؤمنين عليه السلام حين قال:

مَنْ قَوِيَ عَلَى نَفْسِهِ تَنَاهَى فِي الْقُدْرَةِ.[1]

إنّ كلّ إنسان منّا باستطاعته ومن خلال تصميم قاطع وإرادة قوية وطلب العون من الله سبحانه وتعالى، من إيجاد تحول عظيم في نفسه، ويكون صاحب شخصية جديدة بامتياز وقدرات وقوى خارقة وعظيمة.

١. شرح غرر الحكم: ٢٥٤/٥.

نتيجة البحث

لقد خلق الله عز وجل الإنسان بنحو يمكنه الإستفادة من القدرات الروحية العظيمة المكنونه في داخله، ولكن نفسه الأمارة تعمل وتسعى على القضاء على تلك القوى.

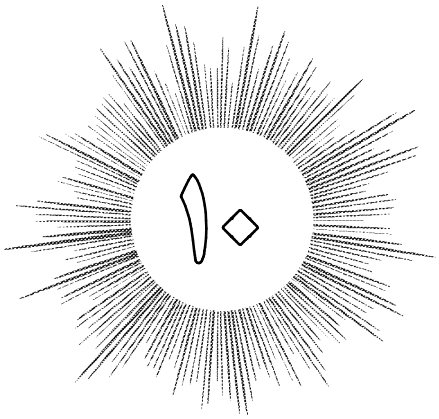
إنّ مخالفة النفس من العوامل الأساسيّة ومن الشروط المهمّة لبناء النفس وصقلها.

ولابدّ للإنسان من التحكم والسيطرة على نفسه حتى تنمو وتبنى القوى العقلية، وتبرز بشكل عملي على تصرفاته وسلوكه.

إنّ الإنسان لقادر على تقوية العقل وقواه العظيمة، وذلك من خلال العمل على مخالفة النفس، وفي هذه الحالة فإنّه لن يحافظ على تلك القوى من خطر الفناء أو الانحطاط فقط، وإنّما يستطيع من تفعيلها والإبداع عن طريقها.

فإذا أراد الفرد التطور من ناحية القدرات الروحية والوصول إلى التكامل فما عليه سوى تعويد نفسه بشكل كامل وترويضها وإصلاحها وتهذيبها من خلال مخالفة الهوى والشهوات والملذات التي تطلبها، وهنا يكون مالكاً لنفسه وعليه إخراج القدرات العجيبة الموجودة فيه إلى الفعل، ومن ثمّ الإستفادة منها فيكون بالنتيجة مثل أُولئك العظماء الذين وظفوا طاقاتهم الروحية العظيمة فقدموا أعظم الخدمات في سبيل خدمة الدين ومذهب أهل البيت عليهم السلام

وخالفِ النفسَ والشيطان واعصِهِما
وإن هُما مَحَضاكَ النصح فاتَّهمِ



الصبر والإستقامة

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

مرارة الصبر تذهبها حلاوة الظفر

الصبر مفتاح كنز الأسرار

إنّ الصبر على الحوادث والوقائع المرّة من قبل الإنسان يوجب حالة تنسجم مع متطلبات الحياة وديمومتها، فهو يعمل على نسيان تلك الحوادث المؤلمة ويسهل الصعاب والمشاكل ويذللها له.

عندما نراجع سيرة حياة الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار عليهم السلام نرى أنّهم إتّخذوا الصبر منهجاً وسوكاً، وكانوا يؤمنون بأنّه مفتاح كنوز الأسرار، وذلك لأجل الوصول إلى النتائج المطلوبة التي كانت في انتظارهم عند مليك مقتدر، وكانوا يعلمون علم اليقين بأنّ أحبّ الأشياء لايستطيعون امتلاكها والحصول عليها إلاّ من خلال عملية الصبر على المكروه والبلاء.

فيقول الإمام الحسن عليه السلام في إحدىٰ خطبه:

فَلَسْتُمْ اَيُّها النّاسُ نائِلينَ ما تُحِبُّونَ اِلاّ بِالصَّبْرِ عَلى ما تُكْرِهُونَ...[1]

ويرى الإمام الحسن عليه السلام في حديثه هذا أنّ الصبر مثله مثل الطريق المستقيم لوصول الإنسان إلى مبتغاه، وشرط لنيل الأهداف التي يطلبها ويعمل على

١. بحار الأنوار: ٤٤/ ٥٠.

تحصيلها؛ باعتبار أنّ الصبر أمام المشاكل والحوادث المرّة يقوي قوة الإرادة والتحمل.

الصبر والإستقامة يقويان الإرادة

لقد ذكرنا في بحث الإرادة ثمرتها وضرورة وجودها لدى كلّ من يريد الوصول إلى الأهداف المتعالية والسامية، وتطرقنا إلى ذكر بعض الطرق والأساليب التي من شأنها أن توجد تلك الإرادة وتقويتها، وأمّا الآن فإنّنا نضيف بمناسبة هذا البحث اُموراً عليها وهي:

إنّ الصبر هو أحد الآليات المؤثرة في تقوية الإرادة، حيث تزاد قدرتها في الأشخاص الذين يتخذون الصبر طريقاً ومسلكاً، ونتيجة لقوة الإرادة الحاصلة فإنّ المشاكل والصعاب سوف تحل وتذلل بسهولة، يقول الله عز وجل في محكم كتابه العزيز:

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مٰا اَصٰابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُورِ﴾.[1]

اصبر على الدهر إن أصبحت منغمساً ... بالضيق في لجج تهوى إلى لجج
لاتيأسنّ إذا ما ضقت من فرج ... يأتي به الله في الروحات والدلج
فما تجرّعَ كأسَ الصبر معتصمٌ ... بالله إلا أتاه الله بالفرج

إنّ الذين يستقيمون أمام الصعاب ويتحملون كلّ مايجري عليهم ويصبرون على الأذى، فهؤلاء تتنامى إرادتهم وتقوى عزائمهم؛ باعتبار أنّ تحمل تلك المشاكل والمحن والمصائب التي تقع على رأس الإنسان الصابر، تقوي قوة الإرادة والمقاومة عنده وتجعله مستعداً وصاحب استقامة لأجل تجاوز العقبات والموانع الأُخرى التي تليها.

وقد تزداد قواه المقاومة أحياناً إلى درجة تجعل من قلبه كزبر الحديد بشكل يكون له أرضية صلبة للمقاومة والإستقامة أمام أيّ نوع من أنواع الوساوس

١. لقمان: ١٧.

الشيطانية والرذائل النفسية ومثل هكذا شخص بإمكانه أن يتقبل ولاية آل الله عليهم السلام، ويشتري بكل وجوده عقائدهم وعلومهم ومعارفهم، ويخرج من الإمتحان الإلهي ذلك ناجحاً مفلحاً.

صبر النبي أيّوب عليه السلام

من الذين يضرب به المثل في الصبر والإستقامة أمام المحن والمشاكل هو النبي أيوب على نبينا وآله وعليه السلام، حيث واجه الإمتحانات الإلهية بكل إرادة واستقامة وصبر لا مثيل له، وقد كان يعيش في رغد من العيش ورفاه ونعم إلهية أربعين عاماً قبل أن تنزل عليه تلك البلايا والمحن المختلفة.

وقد كان يستفيد من تلك النعم أكثر من ألف شخص، وكانت أراضيه الزراعية بحدّ حيث يستطيع كلّ إنسان أو حيوان للدخول فيها والإستفادة منها، وكان له أربعمائة غلام يحرسون إبله ويرعونها.

في يوم من الأيّام نزل عليه جبرئيل وقال: يا أيوب؛ إنّ زمان نزول النعم عليك قد انتهى ووصل الأمر إلى نزول البلاء والمحن عليك فاستعد لذلك!

ولهذا فقد كان ينتظر حلول ذلك، وفي أحد الأيّام وبعد إقامة صلاة الصبح سمع فجاة صوتاً أثار وحشته وإذ به صوت الراعي وهو يصرخ بأعلى صوته، فسأله أيّوب ماذا جرى؟ فقال له: إنّ السيل جاء من أعلى الجبل وجرف معه كلّ قطيع الغنم، وفي تلك الأثناء جاء له راعي الإبل وقال له: لقد جاءت صاعقة قوية أحرقت معها كلّ الإبل، وفي نفس الساعة جاء إليه حارس البستان خائفاً فقال له: قد هبت ريح قوية فأقلعت معها كلّ الأشجار والثمار وقضت على كلّ شيء.

وفي هذا الوقت كان أيّوب يسمع تلك الأحداث وهو مشغول بذكر الله تبارك وتعالى، فجأة جاءه معلّم ولده بحاله يُرثى لها، فقال له: إنّ أولادك الإثني عشر كانوا في ضيافة أخيهم الكبير فسقط عليهم سقف البيت فجاة وماتوا جميعاً!

وفي تلك اللحظات تغير حاله قليلاً، ولكنّه إنتبه سريعاً فسجد لله وقال:

مادام أنت معي فإنّ معي كلّ شيء وبعد أن ذهب ماله وولده نزلت عليه مختلف الأمراض فعاش على ذلك الوضع سنين طوالاً ولكنه مع ذلك كان صابراً محتسباً حتى انتهت تلك الإمتحانات، وذلك بعد أن دعا البارئ عزّ وجلّ لسنين عجاف قائلاً: ﴿... **اَنّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَاَنْتَ اَرْحَمَ الرّاحِمينَ**﴾[1] فحينئذ استجاب له الله ونجاه من البلاء والغم.[2]

إذا اشتدّ عسر فارج يسراً فإنّه ... قضى الله أنّ العسر يتبعه يسرُ
إذا ما ألمت شدة فاصطبر لها ... فخير سلاح المرء في الشدة الصبرُ
وإنّي لأستحيي من الله أن أرى ... إلى غيره أشكو إذا مسّني الضرّ
عسى فرج يأتي به الله إنه ... له كلّ يوم في خليقته أمر
فكن عندما يأتي به الدهر حازما ... صبوراً فإن الخير مفتاحه صبر
فكم من هموم بعد طول تكشفت ... وآخر معسور الأمور له يسر

لتكن النفس مستعدة للصبر والاستقامة

إنّ هناك العديد من الناس يبدون الصبر والإستقامة أمام المشاكل والمصائب، على عكس آخرين فإنّهم ينهارون أمام كلّ مصيبة ومشكلة تحدث، وليس لهم القدرة على تحمل الأُمور الصعبة.

ومثل هؤلاء الأشخاص وبدلاً من حل مشاكلهم والمصائب التي ألمت بهم بالصبر والاستقامة فإنّهم يزيدون في الطين بله، فيضيفون إلى مشكلتهم مشكلة أُخرى، فتتأثّر حياتهم سلبياً وتتكالب عليهم الهموم والأحزان فتصبح الحياة لا طعم لها ولا لون.

فيقول أميرالمؤمنين في هذا الصدد:

وَعَوِّدْ نَفْسَكَ بِالتَّصَبُّرِ.[3]

---

١. الأنبياء: ٨٣.
٢. راجع: معراج السعادة المرحوم النراقي.
٣. نهج البلاغة: الرسالة رقم ٣١.

باعتبار أنّ النفس تطلب الراحة وتهرب من الصعوبات والمحن والمشاكل.

وعادة ما عودتنا الحياة على خذلان كلّ إنسان ليس له طاقة على تحمل الصعاب والمرارة، فتراه يظل يراوح في مكانه طوال حياته ويهاب الوصول إلى قمم المجد والنجاح، ولهذا يجب أن نزرق النفس ونعطيها الدافع والمبرر على الصبر والتحمل لكي تتمكن من تحمل المشاكل والمصائب النازلة، بل العمل على تعويدها، لكي نصل إلى الأهداف التي نطمح لها؛ لأنّ الإكراه والإجبار على الأعمال لا طائل له، بل إنّه في الكثير من الحالات له آثار ومردودات سلبية وعكسية حتّى الصبر، فإنّه لايكون نافعاً ومفيداً مادامت النفس ليس لها الإستعداد على قبوله والتحلّي به.

ولهذا السبب يوصي النبي الخضر، النبي موسى قائلاً له:

وَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى الصَّبْرِ.[1]

فحينما يكون الإنسان صابراً وذا استقامة فإنّه يصل لامحال إلى مقصوده، ويرى نجاحاته وموفقيته وهي تتحقق على أرض الواقع.

لا تستكنْ للهمِّ واثنِ جِماحه ... بعزيمةٍ في الخطب لا تتضعضعُ
فإذا أتى ما ليس يُدفع فالقهُ ... بالصبر فهو دواء ما لا يُدفعُ

ومن وصاياه الأُخرى:

رَضِّ نَفْسَكَ عَلَى الصَّبْرِ تُخَلِّصْ مِنَ الْاِثْمِ.[2]

وقد جاء هذا الحديث من باب إذا لم تكن النفس مستعدة الصبر وكانت مكرة عليه باطنياً، فإنّ ذلك يسبّب آثاراً سيّئة، وبطغيانها تكون وسيلة لهزيمة الإنسان.

نعم؛ إنّ السبب الأساسي والعلة الرئيسية في التوصيات الأكيدة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في خصوص الصبر باعتبار أنّ الصبر وسيلة النجاح في الامتحان

١. بحار الأنوار: ٦١/٣٤.
٢. بحار الأنوار: ٢٢٧/١.

الإلهي، ويمكن من خلاله اختباره ومعرفة مدى استقامته وتحمّله وعمليّة في ثبوت إيمانه واعتقاده.

لقد شارك أولياء الله تعالى جميعهم من دون استثناء في هذا الإمتحان الإلهي واستطاعوا في أحلك الظروف الاستسلام للمشيئة الإلهية والقبول بها من دون اعتراض.

نتيجة صبر المرحوم الكني واستقامته

إنّ المرحوم الملاّ علي الكني كان واحداً من الأشخاص الذين صبروا أمام المشاكل والمحن والبلايا، وأبدى عزماً راسخاً وإيماناً قله نظيره.

فقد كان هذا الرجل يعيش في مدينة النجف الأشرف فقيراً، حيث كان يذهب في كلّ أسبوع إلى مسجد السهلة ليجمع من أطرافه وحوله ما يتيسر من الخبز اليابس من دون أن يراه أحد، فيأخذه إلى المدرسة ليعيش عليه أُسبوعاً كاملاً.

وقد استمرت حياته على هذا المنوال لسنين عدّة صابراً محتسباً، إلى أن قرر ترك مدينة النجف الأشرف والذهاب إلى مدينة كربلاء المقدسة والإقامة فيها، وظل على حاله هذا في هذه المدينة من دون أي تغير يذكر، وفي نهاية الأمر توسل إلى الحر الشهيد طالباً منه قضاء حاجته ورفع الفقر والعوز الذي لم يتركه.

وكان من المرسوم والعادة الجارية أن يذهب كلّ من كان فقيراً إلى زيارة الحرّ في ليلة الأربعاء ولمدة عدد من الليالي فيتوسل بهذا الشهيد لكي تنحل مشكلته المادية، فأخذ المرحوم الكني يذهب إلى ذلك المكان المقدس في كلّ ليلة أربعاء والتوسل بالحر لكي ينقذه من الحالة التي هو عليها.

وفي إحدىٰ الليالي رأى الحر في الرؤيا فقال له: إنّ مولاي جعلك سيد طهران، ولم ينقض طويلاً حتى جاءه رجل في اليوم الثاني وأهداه قناة مائية فأجرها شخص منه بمبلغ ٢٥ تومناً لمدة سنّة واحدة فاستطاع الكني بواسطة

هذا المال السفر إلى طهران، وقام في السنّة الثانية باستجار تلك القناة بمبلغ ٤٠٠ تومان حتى أصبح وضعه المالي جيّداً جدّاً إلى حدّ خاف منه الملك ناصر الدين شاه.

وقد قيل: إنّ الشاه قد أمر بإحداث شارع في مدينة طهران، وكان في طريقه أحد المساجد الصغيرة لذا أُريد تهديمه، وبما أنّه بأمر الشاه فلن يتمكن أحد من علماء طهران إبداء مخالفتهم لقراره، ولهذا فقد قرروا إحداث مسجد آخر في مكان آخر أكبر من المسجد السابق، فعلم المرحوم بأمر ذلك فكتب رسالة إلى الشاه صدرها بالقول:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ * اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِاَصْحابِ الْفيل﴾.[1]

فلمّا قرأها عدّل عن رأيه وقام بتغير مسير الشارع.[2]

وهناك قصة أُخرى تدل على خوف الشاه من هذا الرجل، ففي أحد الأيام خرج الشاه مع حاشيته من مدينة طهران بقصد الصيد والنزهة، وبعد خروجه وقع بصره على مدينة طهران فتأمّل في ذلك المنظر وفجأة قرر العودة، فسأله بعض المقرّبين منه عن السبب في ذلك؟

فقال لهم: لقد خطر ببالي وأنا أخرج من المدينة إذا رآني الحاج علي الكني وأنا خارج بهذه الحالة سوف يمنعني من الدخول إلى المدينة ثانية ويغلق عليّ أبوابها، فإذا فعل ذلك فما عساني أن أفعل؟ ولهذا انتابني الرعب والخوف وعدت إلى المدينة.

لقد كانت حياة المرحوم الكني من الرفاهية والسعادة بحدّ كان معه الملوك والرؤساء يغبطونه عليها!

وقد قيل إنّ بنت الشاه ناصر الدين ذهبت يوماً إلى زيارة النجف الأشرف

---

١. الفيل: ١.

٢. معجزاة وكرامات الأئمّة الأطهار عليهم السلام: ٢٠٠.

واللقاء بالمرحوم الشيخ الأنصاري، فلما دخلت حجرته وشاهدت الحياة البسيطة والزهيدة التي يعيشها المرحوم الشيخ! حيث لم يكن في تلك الحجرة سوى بساط مفروش إلى نصفها وسفرة من الحصير معلقة في الحائط وجرة ماء، وحينما رأت ذلك المنظرة والحجرة التي يسكنها الشيخ الأنصاري لم تستطع السيطرة على نفسها فقالت: إذا كان وضع الملا والمجتهد هذا، إذن ماذا يقول الحاج الملا على الكني؟

وأرادت الحديث فقاطعها المرحوم وبدت عليه علامات الغضب والاستيلاء إلى حدّ أخذت ابنة الشاه تجهش بالبكاء وقالت: التوبة إلى الله وإليك فإنّي ألم أدرك ماقلت فعفى عنها وقال: إنّ الملا علي له الحق في العيش بهذا الترف؛ لأنّه يجب أن يعيش معيشة موازية لمعيشة أبيك ولكني هنا بين الطلبة لهذا يجب أن أعيش مثلهم.[1]

فإذا كان المرحوم الكني لم يصبر ويستقيم أمام المحن والمشاكل، فهل كان بإمكانه أن ينال كلّ تلك المحبوبية والشهرة والقدرة والعظمة والمال الوفير؟

الصبر يمنح القدرة والقوّة

لقد عبّر البارئ عزّ وجلّ عن الصبر بأنّه وسيلة مساعدة واستعانة، فقال في محكم كتابه المجيد:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلوةِ﴾.[2]

لقد قرن الله سبحانه وتعالى الصبر بفريضة الصلاة، بل وجعله مقدّماً عليها، وهو إشارة واضحة إلى أنّه من الآثار التي تمنح القدرة والقوة على العبادة وعادة ماتحدث نتيجة صبر الإنسان واستقامته.

ويمكن للإنسان ونتيجة صبره الحصول على الإمدادات الغيبية، والتي

١. حياة وشخصيّة الشيخ الأنصاري: ٤٢٧.

٢. البقرة: ٤٥.

تمنح عادة عن طريق الملائكة، حيث يُؤمرون بإيصالها إلى الصابرين.

إنّ القرآن الكريم لايرى أنّ الصبر والإستقامة هي وظيفة جميع المؤمنين فقط، وإنّما يأمر بالإضافة إلى الإستعانة به، أن نحثّ الآخرين ونأمرهم به، فيقول الله تبارك وتعالى:

﴿يا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا اِصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا﴾[1]. [2]

ولا شكّ فإنّ الصبر والاستقامة تمنح الإنسان قوة وقدرة إضافية على تجاوز النكبات؛ باعتباره يعطي الروحية اللازمة ويؤطئ النفس لتكون مستعدة لتحمل المشاكل والمحن، وبالطبع فإنّ التؤطئة والاستعداد له كل الأثر في مقاومة القوى المضادة والتغلب في ظروف قد لاتصمد النفس عليها في الظروف العادية.

قال الله العزيز الحكيم:

﴿اِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِأَتَيْنِ﴾.[3]

ويأتي هذا الأمر نتيجة قدرة الصبر على زيادة القوى الجسمانية لدى الإنسان المؤمن، ويجعله مستقيماً وصابراً ومقاوماً أمام العدو، فعندما تقوى روحية الإنسان وتنمو في فكره وعقله، فإنّها تبدّل الضعف الجسدي إلى قدرة وقوة هائلة لايستهان بها.

أصبحتُ كالنسرِ خانتهُ قوادمهُ ... لا تستقلُّ جناحاهُ إذا نهضا
أروحُ من نائباتٍ لا تُغبُّ ومِن ... هُمومِ عيشٍ كما لا أشتهي غرضَا
لكنني قد حلبتُ الدهرَ أشطرُه ... فما يراني لخطب نابَ مُنقبِضا
ألقى الحوادثَ بالصبر الجميل ومَق ... دورَ القضاء بتسليمٍ له ورِضا
علمًا بتغيير أحوالِ الزمان فكم ... رأيتُ مُبرم أمرٍ عاد مُنتقضا

---

١. آل عمران: ٢٠٠.

٢. راجع: تفسير العيّاشي: ٢١٢/١.

٣. الأنفال: ٦٥.

نتيجة البحث

إنّ الصبر والاستقامة من الشروط المهمّة والضرورية لتحقيق الأهداف المتعالية، وعلى الإنسان العمل على تؤطئة نفسه على الصبر والرضا به، حتى تسهل عليه المشاكل والصعاب ويكون قادراً على تجاوزها بسهولة.

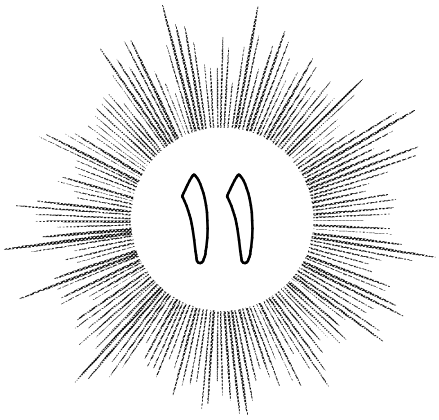
إنّ الصبر والاستقامة تقوي روحية الشخص وتبدل الضعف الروحي إلى قوة وقدرة، وتزيد من قدرة الإرادة وتضاعفها.

وإنّ الصبر والإستقامة مثل السد العالي يمنع على الحيلولة دون هدر الماء، فهو يجمع قوى الإنسان ويجعلها في قالب واحد، وهو بذلك يكون مانعاً لتشتتها.

إنّ الشخصيات العظيمة استطاعت ـ ومن خلال الصبر والاستقامة ـ رفع الكثير من الموانع والعقبات والمشاكل التي كانت تواجها، ونالوا بذلك الآمال العريضة التي كانوا يطمحون للوصول إليها، وحصلوا على كنوز الأسرار وفي هذه الحالة تتبدل جميع مرارة الحياة والنكبات لذائذ وطيبات روحية وذلك نتيجة ذلك الصبر.

ومن هنا ينبغي للإنسان الاستعانة بالصبر والاستقامة أمام الصعاب حتى يصل إلى جملة الأهداف والمقاصد الكبيرة والقيمة التي وصل إليها أعاظم الشخصيات.

رماني الدهر بالأرزاء حتى
فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام
تكسرت النصال على النصال



الإخلاص

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

عند تحقيق الإخلاص تستنير البصائر

أهمية الإخلاص

إنّ معنى الإخلاص هو طهارة سلوك وأفعال الإنسان من مظاهر الرياء وسائر أُمور الشرك الأُخرى، وهو من الصفات المتعالية والقيمة التي وصف بها البارئ عزّ وجلّ بعض من عباده وأوليائه، فيقول عن النبي موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتٰابِ موُسٰى اِنَّهُ كٰانَ مُخْلَصاً وَكٰانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾.[1]

وقال في خصوص النبي يوسف:

﴿اِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُخْلَصينَ﴾.[2]

وعادة ما يتجاوز الأنبياء والمرسلون والأوصياء درجة المخلِصين فيصلون درجة المخلَصين.

ويصرّح الإمام الجواد عليه السلام بأنّ الإخلاص هو أحد الصفات والخصال التي يتمتع بها أصحاب الإمام صاحب العصر والزمان أرواحنا لمقدمه الفداء الثلاثمائة

١. مريم: ٥١.

٢. يوسف: ٢٤.

وثلاثة عشر ومدح فيهم تلك الخصلة فقال عليه السلام:

فَاِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هٰذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ اَهْلِ الْاِخْلاصِ اَظْهَرَ اَمْرَهُ.[1]

وبما أنّ هؤلاء الأبرار الأخيار يتمتعون بقدرات خارقة للطبيعة وقوى غير عادية فإنّ الإخلاص يكون من الضروريات الملازمة لهم حتى يستفيدوا من قدراتهم الروحية والتي تكون تحت سيطرة الإمام بقية الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

أثر الإخلاص ونتيجته

في الحقيقة والواقع إذا أراد الإنسان أن يتبع هوى نفسه فإنّ النتيجة الحاصلة هي خسران عمره في متاهات وانفاق لاتنتهي، وبالتالي الخروج من هذه الدنيا من دون عزة وكرامة، وفي الآخرة لايكون نصيبه إلاّ الخسران والحسرة الكبرى، ولكن إذا جعل أعماله وحركاته وسكناته كلّها خالصة لوجه الله تعالى فسوف لن تذهب تلك الأعمال سدى وإنّما تكون دنياه مرتعاً خصباً وحركته تنطلق بين مجموعة من القيم والمثل الإنسانية التي تتأرجح بين المطلقة والمحدودة فيكون ملؤها العطاء فتبلغه خير الدنيا والآخرة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في حديث إلى كلّ من يبغي الحق والحقيقة والفلاح:

اَلاِخْلاصُ يَجْمَعُ حَوٰاصِلَ الْاَعْمٰالِ.[2]

فعندما تجتمع ثمرات عمل الإنسان فإنّها تشكل قوة كبيرة كما هو الحال حينما تتصل قطرات الماء بعضها مع البعض الآخر لتكون بحراً عظيماً.

وثمة شيء آخر تجب الإشارة له في هذا السياق، وهو أنّ الإخلاص يجمع ايضاً أعمال وسلوكيات الإنسان فيجعلها تنصب في وعاء واحد، وفي تلك

١. بحار الأنوار: ٢٨٣/٥٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٤٥/٧٠، مصباح الشريعة: ٥٢.

الحالة يوجد القوة والقدرة الهائلة في النفس.

إخلاص صاحب جواهر الكلام

حينما نتفحص التاريخ ونتقل بين صفحاته نرى فيه الكثير من الشواهد الدالة على هذه الحقيقة فعلى سبيل المثال يمكن ذكر صاحب كتاب «جواهر الكلام» كمصداق لما نحن فيه.

يكتب المرحوم المحدث القمي فيقول: لم يكتب في الإسلام كتاب حول مسائل الحلال الحرام مثل كتاب «جواهر الكلام» فقد قام الشيخ محمد حسن النجفي بتصنيف كتاب «جواهر الكلام» الذي يشرح فيه «شرائع الإسلام» وهو لم يتعد سنّ الخامسة والعشرين من عمره.

وكان هذا الفقيه لايستطيع شراء المصادر والكتب اللازمة نتيجة الفقر والعوز؛ ولهذا قام بتأليف هذا الكتاب لكي يأخذه معه في أسفارة والرجوع إليه عندما يسأله الناس عن أمور دينهم.

وعليه فقد كتبه لنفسه وليس للآخرين لذلك لاتعتريه شبهة ولا رياء، وقد كان في زمانه حوالي عشرين عالماً كلهم كانوا منشغلين في كتابة شرح الشرائع، ولكن لم ير أي واحد منها النور.

وكان له ولد اسمه «الشيخ حميد» يعتني بأُمور والده، فكان الشيخ مطمئن البال على كتابة مؤلفاته وتكملة مجلدات هذا الكتاب، ولكن فجأة توفي الشيخ حميد، فحزن عليه حزناً شديداً فيقول هو: انقطعت بي الأسباب، وضاق صدري وضاقت الدنيا في عيني، صرت لا أستقر ليلاً ولا نهاراً، دائم التفكر، مضطرب القلب حزيناً كئيباً، وبينما أنا كذلك وقد خرجت من مجلس كنت فيه أول الليل، وأنا متوجه إلى البيت، إذ نوديتُ من خلفي: «**لاتفكر، لك الله**» فالتفتُ من حولي لم أرَ أحداً، فحمدت الله تعالى وتوجهتُ إليه، ففُتِحتْ عليّ بعد تلك الليلة أبواب رحمة الله، وانتظمت أموري وترقّتْ أحوالي.[1]

---

١. راجع: فوائد الرضويّة المحدّث القمي رحمه الله: ٤٥٢.

إذن وبعد أن سمع الشيخ هذا النداء قام بكتابة وتكملة هذا الكتاب بنفس مطمئنة وعزيمة لاتلين.

وهذا العمل جاء نتيجة إخلاصه، والذي أعانه في أحلك وأصعب ظروفه فأكمل كتابه القيم جواهر الكلام بعد أن سمع النداء، فإذا لم يسعفه ذلك النداء الغيبي فلن ينتهي من كتابة أكثر الكتب الفقهية تفصيلاً في عالم التشيع.

إنّ المرحوم صاحب الجواهر هو من المصاديق الواضحة لحديث الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام حين قال:

طُوبٰى لِمَنْ اَخْلَصَ لِلّٰهِ اَلْعِبٰادَةَ وَالدُّعٰاءَ.[1]

وهو بعمله هذا لم يصل إلى درجات السعادة في هذه الدنيا بواسطة الإخلاص فحسب، وإنّما أفلح في عالم الآخرة وأصبح من الفائزين.

هل يمكن للجميع أن يكونوا من المخلصين؟

عند التأمّل والتفكّر في أحاديث وكلمات أهل البيت عليهم السلام حول الإخلاص والصفات والخصائص التي يتمتع بها المخلصون والآثار المترتبة على نفس عملية الإخلاص نرى فيها العجب العجاب.

لقد وصلت أهمية الإخلاص إلى حدّ يعتقد معه البعض أنّه ليس من واجبات الجميع وإنّما هو أمر مختصّ بأولياء الله تعالى والصالحين والذين يجب عليهم الإستفادة من نعم البارئ عز وجلّ! ولكن يصرّح القرآن الكريم في إحدىٰ دعواته العامة إلى الناس بالقول:

﴿فَادْعُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكٰافِرُونَ﴾.[2]

ويمكن الإستفادة من هذه الآية الشريفة أنّ كلّ إنسان مكلف بالإتيان بالدين الخالص من دون شوائب ورياء وسائر الأعمال والفرائض الدينية، بل ويجب

١. بحار الأنوار: ٢٢٩/٧٠ و ٢٦١/٨٤، اصول الكافي: ١٦/٢.
٢. الغافر: ١٤.

عليه أن يجتنب ويتحرز من جميع المظاهر والأعمال والأفعال التي تتسم بالريا والتفاخر، وهذا ما أكدته الروايات والأحاديث الواردة عن بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

اَخْلِصْ حَرَكاتكَ مِنَ الرِّيٰاءِ.[1]

لأنّه إذا كان عمل الإنسان خالصاً وقيماً فإنّه لا وجود إلى الريا والتظاهر فيه.

إذا السرّ والإعلان في المؤمن استوى
فقد عزّ في الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سراً فما له
على سعيه فضل سوى الكدّ والعنا.

ومن هذا المنطلق فإنّ الإخلاص هو وظيفة عامة تقع على الجميع مسؤولية تحصيله، ونقول للأسف فإنّ الكثير من الأشخاص يدعون الله مخلصين له في أوقات الشدة والبلاء فقط ويتركون الدعاء في بقية الأوقات وهذا ما صرّح به القرآن الكريم قائلاً:

﴿هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتّٰى اِذٰا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِريحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جٰائَتْهٰا ريحٌ عٰاصِفٌ وَجٰاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكٰانٍ وَظَنُّوا اَنَّهُمْ اُحيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ اَنْجَيْتَنٰا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰاكِرينَ﴾.[2]

وقال البارئ عزّ وجلّ في آية اخرى:

﴿فَاِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدّينَ فَلَمّٰا نَجّيٰهُمْ اِلَى الْبَرِّ اِذٰا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.[3]

---

١. بحار الأنوار: ٢١٦/٧١.
٢. يونس: ٢٢.
٣. العنكبوت: ٦٥.

إذن نستنتج من الآيات القرآنية الشريفة أنّ الإخلاص هو مسئولية وتكليف يدخل في دائرته الجميع من دون استثناء، ولابدّ أن يتضمن كلّ برنامج عبادي هذه الخصلة، ولعلنا لم نكشف سراً إذا قلنا: إنّ معظم الناس لايدعون البارئ سبحانه وتعالى إلاّ في الشدائد والمحن والأخطار فقط.

الإخلاص وصعوباته

يجب الأعتراف ومن باب عدم اطلاق الحكم سريعاً على كوننا من المخلصين أن خلوصية العمل والفعل بحد ذاته أمر مشكل وصعب، حيث ينقل عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام قوله في إحدى خطبه:

تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ اَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ وَتَخْليصُ النِّيَّةِ مِنْ الْفِسادِ اَشَدُّ عَلَى الْعامِلينَ مِنْ طُولِ الْجَهْادِ.[1]

وفي رواية اُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام نقرأ فيها:

اَلْاِبْقاءُ عَلَى الْعَمَلِ حَتّى يَخْلُصَ اَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ.[2]

بالنظر إلى هذه الروايات ندرك أنّ أولياء الله والشخصيّات البارزة والعلماء الأعلام وضعوا الإخلاص على رأس أعمالهم وأفعالهم، وأدّوها خالصة، وقد تحمّلوا في هذا المشوار محضاً وصعاباً لاتطاق، ولكنّهم صبروا وصابروا فتكوّنت لديهم ملكات ذاتيّة أوصلتهم إلى مرحلة الإخلاص.

قال مولانا ثامن الحجج الرضا عليه السلام:

يَخْلُصُونَ كَمَا يَخْلُصُ الذَّهَبُ.[3]

فمثل اُولئك الذين يريدون الوصول إلى مقام الإخلاص مثل الذهب الذي

---

١. بحار الأنوار: ٢٩٠/٧٧.
٢. بحار الأنوار: ٢٣٠/٧٠، اصول الكافي: ١٦/٢.
٣. بحار الأنوار: ١١٥/٥٢.

ينصهر ويصبح خالصاً في موقد الصائغ.

مـــا بـــال ديـــنك تـــرضى أن تـــدنسه
وثـــوبك الدهـــر مـــغسول مـــن الدنس
تـــرجـــو النـــجاة ولم تســـلك طـــريقتها
إن الســـفينة لا تـــجري عـــلى اليـــبس

لذلك ليس هناك مجالٌ للتعجب والدهشة من قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حينما قال:

مَنْ اَخْلَصَ لِلّٰهِ اَرْبَعينَ يَوْماً فَجَّرَ اللهُ يَنابيعَ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلٰى لِسٰانِهِ.[1]

لأنّ الإنسان الذي طهّر قلبه وجسده من وجود الشياطين ووضع هوى نفسه جانباً فإنّ الملائكة سوف تدخل ذلك القلب ويكون مسكناً لجنود الله تعالى، فتنزل عليه ينابيع الحكمة ويلهم بواسطة الملائكة التي أضحت بخدمته.

يقول الإمام الصادق عليه السلام عن تلك المراحل:

اَلْقَلْبُ حَرَمُ اللهِ فَلاتُسْكِنْ في حَرَمِ اللهِ غَيْرَ اللهِ.[2]

كمال الإخلاص

إنّ الإنسان الذي يجعل الإخلاص ملكته فإنّه يتجنب ارتكاب المعاصي والآثام؛ باعتبار أنّ الإخلاص في مراحله النهائية يطهر الإنسان بشكل كامل من الرذائل والمحرمات.

وقد صرّح مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام بهذه الحقيقة حين قال:

تَمامُ الْاِخْلاصِ تَجَنُّبُ الْمَعاصي.[3]

---

١. بحار الأنوار: ٢٤٩/٧٠.
٢. بحار الأنوار: ٢٥/٧٠.
٣. بحار الأنوار: ٢١٥/٧٧.

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنّ العلم نور ونور الله لايهدى لعاصي

إنّ شرط كمال الإخلاص ليس في تطهير النية وخلوها من الشوائب في القيام بالوجبات فحسب، وإنّما بالعمل على ترك المحرمات أيضاً.

وبالطبع فإنّ الإنسان الذي يبغي طلب حقائق الوصول إلى عالم المعنى فلابد له من خلوص فكره وضميره كما قال رسول الله ﷺ في رواية له:

فَاتَّقِ اللهَ تَعَالٰى وَاَخْلِصْ ضَميرَكَ.[1]

وهذا الأمر يأتي ويتحقق؛ لأنّ الإنسان إذا طهر أفكاره وسلوكه يصل إلى طريق النجاة، يقول الإمام مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الصدد:

بِالْاِخْلاصِ يَكُونُ الْخَلاصُ.[2]

وكما أنّ جسم الإنسان يتطهر من الأنجاس عندما يغسله فإنّ الروح تتخلص من قيودها بالإخلاص، وايضاً تتخلص من حبائل ومكائد الشيطان ومن هوى النفس، وحينئذ تجري ينابيع الحكمة والأسرار الخفية في القلب ومن ثمّ تجري على اللسان.

ولاتتحقق هذه الحالة إلاّ لمن أخلص عمله لله عزّ وجلّ وحده، وبعبارة أكثر دقّة نقول: إنّ معنى جملة «**مَنْ اَخْلَصَ لِلّٰهِ**» هو الإخلاص المطلق والخالص من أيّ نوع من أنواع الشرك وليس للحصول على بعض الحالات والمقامات! وأمّا إذا كان الهدف من الإخلاص الحصول على المقامات وكشف المجهولات وأمثال ذلك، فإنّ الإنسان يضع نفسه أمام جملة من الأخطار والمنزلقات الكبيرة.

---

١. بحار الأنوار: ٨٧/ ٢٨٠.

٢. اصول الكافي: ٢/ ٤٦٨.

نتيجة البحث

إنّ الإخلاص واحدة من الصفات والخصال الحميدة والعظيمة التي حملها أولياء الله تعالى .

وبالتأكيد نقول : إنّ الإنسان إذا جعل جميع أعماله وأفعاله خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى فإنّه سيتمتع بحياة كلّها إشعاع وتكامل ؛ باعتبار أنّ حالة الإخلاص تمنهج سلوكيات الفرد وتجعل أعماله وأفعاله تنصب في قالب ، ومن ثمّ يأخذ ذلك القالب بالتوسع ليشكل أعمالاً وأفعالاً أكبر فائدة وجدوى وأعظم من سابقاتها .

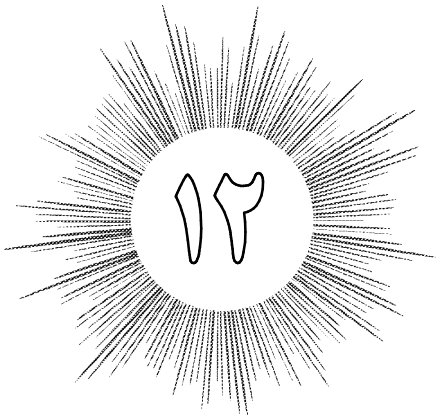
ومن المؤكّد فإنّ الإنسان إذا سعى بكل جدّ ومثابرة إلى نيل الإخلاص في سلوكه وتعامله وحتى في حركاته وأفكاره فسوف تنفتح له طرق للنجاة والفلاح في الدارين .

وإذا استطاع الوصول إلى مقام الإخلاص ومضى فيه ستُفتح له آفاق وسيعة من القدرات المعنوية الكبيرة ، وعليه توظيفها من أجل الحصول على جملة عظيمة من النتائج والثمار النافعة التي يمكن أن يجنيها في اتّباعه لعملية الإخلاص .

وأمّا في حالة استمرارية الإخلاص وديموميته فسوف تتفجر ينابيع الحكمة على الشخص في قلبه ويمتلئ بإلهامات رحمانية وفي تلك الحالة سينال الهداية الخاصة التي جعلها البارئ عزّ وجلّ لخصوص أوليائه ، وفي ظل تلك النعمة الإلهية لن يشخص الطريق القويم فقط وإنّما تسهل عليه الخلاص من الضلالة والتيه والضياع ويكون وسيلة هداية للآخرين .

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كـــيما يـــصح بـــه وأنت ســـقيم
ونـــراك تـــصلح بـــالرشاد عـــقولنا
أبـــداً وأنت مـــن الرشـــاد عـــديم
فـــابدأ بـــنفسك فـــإنّها عـــن غـــيها
فـــإذا انـــتهت عـــنه فـــأنت حكـــيم
فـــهناك يـــقبل مـــا تـــقول ويـــهتدى
بـــالقول مـــنك ويـــنفع التـــعليم
لا تـــنه عـــن خـــلق وتـــأتي مـــثله
عـــار عـــليك إذا فـــعلت عـــظيم



العلم والمعرفة

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

أعون الأشياء على تزكية العقل التعليم

العلم والمعرفة
وسيلة للارتقاء إلى الدرجات الرفيعة

من المؤكّد أنّ كسب العلم والمعرفة لن يقوي الإنسان من الجانب العلمي والمعرفي فحسب، وإنمّا يعمل على تقوية الجانب الروحي والمعنوي له، ويوصله إلى مراتب الكمال والرقي، وقد صرح القرآن الكريم في الكثير من آياته بأنّ العلم والمعرفة هي من وسائل الارتقاء بالإنسان إلى المنازل الرفيعة، وهي وسيلة إلى نيل الدرجات المعنوية المتعالية، وأنّ الأشخاص الذين أوتوا العلم هم من أصحاب الدرجات والمراتب العالية.

وفي هذا الخصوص يقول:

﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ اٰمَنُوا مِنْكُمْ والَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ﴾.[1]

باعتبار أنّ العلم يوجد تحولاً عظيماً في النفس، وله تأثيرات على الحالات النفسية حيث يرفدها بمزايا إيجابيّة تعلها قادرة بالمطلق على استيعاب كلّ

١. المجادلة: ١١.

متطلّبات الزمان والمكان وتلبية حاجاتهما.

لا شك فإنّ بلورة المواضيع العلمية في النفس والضمير اللاواعي يبعث على إيجاد التحول والتغير فيها، وهذا ناشئ من تحصيل العلم، وبالنتيجة يسوقها صوب درجات الكمال ونيل الدرجات العالية، وهذا هو الفارق بين أصحاب العلم والجهلة، وهي حقيقة أشار إليها القرآن الكريم حين قال:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذينَ لايَعْلَمُونَ﴾.[1]

العلم زينٌ فكن للعلم مكتسباً وكن له طالباً ما شئت مقتبسا

بالطبع فإنّ كلّ عمل يقوم به الإنسان يترك بصماته وآثاره في النفس، ويرتبط مقدار تأثيره بقيمة العمل وهذه قاعدة كلية، ولهذا نرى أنّ العلم والمعرفة له الوقع الأكبر على النفس ويجعلها تتغير ٣٨٠ درجة، وبالتالي فإنّ التغير الذي يحدثه يكون على مستوى رفيع وذا قيمة كبيرة.

وهذا نابع من وجود الأهمية والقيمة التي أوّلها الدين بالنسبة إلى العلم والمعرفة ـ بالطبع مع مراعاة الشروط والضوابط التي ذكرها أهل البيت عليهم السلام لكسب العلم ـ لأنّ تعليم العلم فبالإضافة إلى أنّه يزيد من المستوى المعرفي لدى الإنسان، فإنّه يعدّ قسماً من أقسام العبادة والتقرب إلى الله تعالى.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

تَذَكُّرُ الْعِلْمِ ساعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةٍ.[2]

بديهي أنّ الساعة التي يقضيها الشخص في العلم والتي تكون أفضل من قيام عبادة ليلة هي الساعة التي يكون ذلك التعلّم خالصاً لوجه الله تعالى، وأمّا إذا كان القصد منها هو الوصول إلى الرئاسة والسمعة والمكانة فإنّ مثل هؤلاء يكون كمثل الأنعام أو أضل منها:

---

١. الزمر: ٩.

٢. بحار الأنوار: ٢٠٤/١.

﴿أُولٰئِكَ كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.[1]

وقال رسول الرحمة محمد المصطفى ﷺ في فضيلة العلم والمعرفة:

قَليلٌ مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثيرِ الْعِبادَةِ.[2]

ضرورة وجود الرغبة والإرادة في كسب العلم

من الواجبات على كلّ من يريد ويطلب القوى الروحية والمعنوية الحاصلة من كسب العلم والعرفة أن تكون له رغبة وإرادة قوية، لتكون النفس على أتم الاستعداد لتقبل المسائل العلمية والاعتقادية.

وهذه حقيقة لايختلف عليها اثنان، فإنّ الطالب الجامعي الذي يأتي إلى مقاعد الدراسة وهو لايرغب فيها وليس له إرادة وهدف من دراسته تجده يحمل أفكاراً مستقبلية غامضة نتيجة حالة من الإجبارية، وهو بذلك لن يستفيد قطعاً من الوقت والفرصة، ونقول بعبارة أكثر وضوحاً: **إنّ الطالب الذي يعيش أجواء النظرة القاتمة والكسل والإحباط ولاتوجد لدية الإرادة والرغبة في تحقيق المقامات العلمية والمعنوية، فسوف ينتظره مستقبل متأزم وحياة ملؤها الحيرة والضبابية**؛ باعتبار أنّ الرغبة والإرادة من العوامل الضرورية لطلاب العلم والمعرفة.

ومن هنا ورد الحديث القدسي الذي يخاطب به داود قائلاً:

... اَلْمُتَعَلِّمُ يَحْتاجُ اِلى رَغْبَةٍ وَاِرادَةٍ...[3]

وعليه فإنّ العلم والتعليم والمعرفة تحتاج بالإضافة إلى الحب والرغبة والعلاقة، فإنّها تحتاج إلى وجود الإرادة في الدراسة؛ لأنّه إذا لم تتقارن الرغبة والمحبة والإرادة معاً فلن تكون عملية التعليم والتعلم مجدية ونافعة ومؤثرة،

---

١. الأعراف: ١٧٩.

٢. بحار الأنوار: ١٨٥/١.

٣. بحار الأنوار: ٣٢/٢.

ولن تكون لها مردودات ايجابية.

إذن فـإنّ الإنسـان الذي يـتطلع إلى كسب العـلوم والمـعارف المـختلفة والوصول إلى أعلى الدرجات والمراتب فعليه أن يزرع في نفسه الإرادة القوية، وأن يزيد من الجانب التفاعلي ما بين الإثنين.

ترك المعصية من المسائل الضرورية في طلب العلم والمعرفة

إنّ ترك ارتكاب المعصية والإثم هو واحدة من المسائل الضرورية والمهمّة التي يجب أن تُاخذ بنظر الاعتبار في طريق اكتساب العلم والمعرفة؛ لأنّه فـي نفس الوقت الذي تسلب فيه عملية ارتكاب الذنب الكثير من التـوفيقات فـي العبادات فإنّها كذلك تسلب وتمنع تحصيل العلم وتكـون مـانعاً حـقيقياً فـي ذلك.

إنّ الكثير من الناس قد حرموا من كسب العلوم والمعارف التي جاء بها أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وليس لهم أدنى معرفة بما نزل في بيوتهم من شتى العلوم الربانيّة والسبب في ذلك هو الذنوب والمـعاصي التـي ارتكـبوها؛ لأنّ البارئ عزّ وجلّ يحرم أحياناً عباده من نعمة العلم والمعرفة نتيجة المعصية.

وفي هذا المضمار يقول مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

اِذٰا اَرْذَلَ اللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ.[1]

ويترتّب على هذا الحديث إنّ هناك الكثير من الموارد التي تكون عقبة كأداء تقف حائلاً دون كسب علوم ومعارف أهل الوحي والرسالة عليهم السلام تـنشأ بسـبب المعصية والذنب الذي يرتكبه الإنسان نفسه، ولهذا ينبغي على طلبة العلوم أن يتجنّبوا ارتكاب أيّ نوع من أنواع المعاصي والآثام ليضمنوا سـلامة طـريقهم

١. نهج البلاغة: الكلمات القصار ٢٨٠.

ويصلوا إلى أقصى درجات العلم، والعمل على تطهير وتزكية أنفسهم وأرواحهم من كلّ الأدران، وذلك بواسطة العبادة والطاعة المحضة للبارئ عزّ وجلّ.

أيّ العلوم يصل بالإنسان إلى التكامل الروحي؟

إتّضح من خلال المواضيع التي ذكرناها حول آثار وشروط كسب العلم أنّ الرؤية التي تتضمنها الروايات الشريفة والتي ذكرت الآثار والنتائج والثمرات القيمة والطيبة الناتجة من طلب العلم لاتشمل جميع فروعه وأقسامه.

مع أنّ البعض يعتقد أنّ معنى العلم يشمل جميع أقسامه وفروعه المعروفة في عالمنا اليوم، ولكن نرى أنّ وجهة نظر الروايات الشريفة ليست في هذا المنحى، إذ ترى إنّ الكثير من الأشخاص الذين لهم اليد الطولى في المسائل العلمية هم أصحاب الفضل وليسوا من أهل العلم؛ لأنّ من منظار مذهب أهل البيت عليهم السلام ليس من الواجب تعلم كلّ مطلب يقع ضمن دائرة العلم، وإنمّا هناك علم خاص.

وقد نقل في الروايات المشهورة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ**»، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الرواية:

اَي عِلْمُ التَّقْوٰى وَالْيَقينِ.[1]

ومن هذا المنطلق فإنّ المقصود من الروايات الشريفة التي وردت في مدح طلب العلم والمعرفة تلك العلوم التي تصل بالإنسان إلى عملية التكامل، وليس جميع العلوم المتعارفة وخاصة إذا كانت تلك العلوم التي يطلق عليها علم، ولكنّها في الواقع ليست إلاّ مسائل خيالية وهمية.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

١. بحار الأنوار: ٣٢/٢.

اِنَّ مِنَ الْبَيٰانِ سِحْراً وَمِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً وَمِنَ الْقَوْلِ عَيّاً.[1]

إنّ هناك الكثيرين تراهم يعجزون عن الكلام في مقام البيان بينما هناك عدّة لهم بيان قوي باستطاعتهم قلب الحقائق والأُمور وجعلها رأساً على عقب، مع كونها تنم عن أفعال وأعمال باطلة تؤثر في السامعين وكأنّها سحر، وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو إذا قام مثل هؤلاء بتسمية الخرافات والأضاليل باسم النظريات العلمية وإنشائها في الأوساط والمحافل العلمية فهل ياترى من الواجب تعلمها وتطبيقها على أرض الواقع ؟!

فعلى سبيل المثال فقد قام «بطلميوس» ذلك العالم اليوناني المعروف بطرح عقيدة خاطئه ظلت تتداول لمدة ثلاثة آلاف سنة، وأوقعت الكثير من العلماء في مطبات وأخطاء جسيمة، وكان من ضمنهم العالم الإسلامي الشهير أبو علي سينا، فكانوا كلهم يبدون تأييدهم المطلق لتلك النظرية والرأي حتى تطور العلم وجاء بنظرية تبطل رأي «بطلميوس».

وأمّا «داروين» الذي كان عاش في عصر قريب من عصرنا فقد طرح نظرية أسماها نظرية «تنازع البقاء» وقام بتلميع تلك النظرية الخرافية واحاطها بهالة من العظمة، ممّا جعل البعض من العلماء يقبل بها، وبمرور الزمن ونتيجة الخدع والأضاليل صدق بها جمع آخر، إلى أن بان خيانة هؤلاء العلماء وكشف القناع عن مكائدهم ونحن هنا نذكر تقريراً عن ذلك:

في السنوات الأولى من هذا القرن اكتشف مجموعة من العلماء المحترفين والهواة من جملتهم العالم «جالز داوسون» المحامي وبائع التحف في بريطانيا عدداً من الجماجم العظيمة وفكّاً سفليّاً لأحد الأشخاص تتعلق وكما يبدو «بالحلقة المفقودة» بين القرد والإنسان، وقد قام «منجستر كاردين» بإعلان هذا الخبر إلى الملأ، وذلك في شهر نوفبر من سنة ١٩١٢ ميلادي.

---

١. بحار الأنوار: ١٦٢/٧٧.

وقد كان محل الإكتشاف في حفرة رملية تقع بالقرب من «بيلت داون كمن» والتي تقع في مدينة «ساسكن» وقد أطلقوا عليها اسم إنسان «بيلت داون» نسبة إليه.

وقد شكّك البعض من العلماء بأنّ الجمجمة والفك هما واحد وحينما تم الإعلان في سنّة ١٩١٧ بأنّ هناك إنساناً «بيلت داون» آخر قد تم اكتشافه قبل سنتين خمدت تلك الشكوك والظنون.

وبعد عدة عقود فقد انسان «بيلت داون» أهميته بالنسبة إلى ارتباطه بالحلقة المفقودة والّذي جعله العلماء الذين عملوا على الترويج له بمثابة قطعة من شجرة وحلقة التكامل التي مرّ بها الإنسان.

وفي نهاية المطاف جاء أحد علماء التشريح من جامعة اكسفورد في سنة ١٩٥٣ ويدعى «ج. س. واينز» وقام بتحقيق واسع أثبت من خلاله بطلان تلك القضية.

وقد أثارت حفيظة «واينز» حينما سمع بمجهولية المكان الذي تم فيه اكتشاف الإنسان الثاني «بيلت داون» وقد طلب المساعدة في ذلك من كلّ من «سرويلفو دلكراس كلار» الأستاذ في جامعة اكسفورد و «كنت ب آكلي» الذي يعمل في المتحف البريطاني، وقد قام المتحف البريطاني بنشر التقرير الذي أعدّه هؤلاء والنتائج التي خرجوا بها، وقد أثبت تلك النتائج بشكل لايقبل معه الشك بأنّه تم إصلاح أسنان ذلك الفك وجعله بشكل يشبه إلى حدّ ما الإنسان!

وقد أثبتت التجارب التي أُجريت أنّ عظام الفك والجمجمة تختلفان وكلّ واحد منهما يعود إلى حقبة زمنية معينة.

وأثبتوا في الوقت ذاته أنّ أُولئك العلماء المنحرفين قد زوروا الحقائق وقاموا بتلفيق إنسان «بيلت داون» الثاني والحال أنّه ليس له أيّ وجود، وإنّ العظام التي وجدت في المحل لحيوانات قد جمعها من قارات مختلفة، ولم

يعلم لحد الآن أنّ هذا العمل الماكر والخدعة الكبيرة والتي انطلت على الكثيرين من صنع من؟ وأي شخص مسؤول عنها؟

ويمكن أن يحصل التزوير والتدليس في العلم حاله حال سائر المجالات الأُخرى ولكن في الوقت نفسه لايمكن معرفة مقدار التزوير الحاصل فيه.[1]

ولعل هؤلاء العلماء وأمثالهم وما قاموا به من أعمال مختلقة بعيدة كلّ البعد عن العلم هي التي جعلت أئمة أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على تجنب علماء السوء والضلالة وعدم الإصغاء إليهم.

وفي هذا الخصوص ينقل أميرالمؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

وَلٰكِنّي اَخٰافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنٰافِقِ الْجَنٰانِ عٰالِمِ اللِّسٰانِ يَقُولُ مٰا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مٰا تُنْكِرُونَ.[2]

ويرى بعض العلماء في قرارة أنفسهم بأنّهم يقدمون الخدمات الجلية للمجتمع لكنهم لايشعرون بأنّ كلّ ما يقمون به ينصب في مصلحة الاستعمار والأعداء، وأنّ القوى الإستعمارية تستفيد من علومهم وتوظفها لمصلحة أهدافهم المشؤومة، وواحد من هؤلاء هو «انشتاين».

ولعلّ العذاب الروحي والكآبة التي عاشها مساعده «رابرت آبنهايمر» وندمه على أفعاله خير دليل على تلك الحقيقة، حيث بدأ عذابهما الروحي وحالة الكآبة عندما شعرا بأنّ اكتشافهما الذي كان الهدف منه التقليل من مشاكل الإنسانية أصبح يستخدم من قبل الدول العظمى في إرعاب الشعوب وقتلهم والسيطرة على ثرواتهم ونهبها.

وقد قال العالم «آبنهايمر» وهو الصديق الحميم لـ«انشتاين» في المؤتمر الذي عقده بمناسبة الذكرى العاشرة لرحيل «انشتاين»: لقد قال لي «انشتاين»

١. العلم والجهالة: ٧٦.

٢. نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٧.

في الأيام الأخيرة من عمره وهو بائس وحزين جراء عملية التنافس التسليحي والحروب: **إذاكان عليّ أن أعيش مرة أُخرى في هذه الحياة لرجحت أن أكون عاملاً بسيطاً!**[1]

ومن الواضح أنّ «انشتاين» وعلى الرغم من كلّ تلك الشهرة العلمية التي حظي بها فهو نادم في أيّامه الأخيرة على ما فعله وأنّه يتأسّف كثيراً، لأنّه قام بوضع تجاربه وعلومه تحت اختيار القوى الإستعمارية وليس في خدمة البشرية.

ونحن هنا بدورنا نتساءل هل أنّ العلم والمعرفة التي تكون في خدمة أغراض الإستعمار وأهدافه ومصالحه الضيقة تكون سبباً في ارتقاء الروح وعروجها إلى مراتب ودرجات معنوية متعالية ؟

وهل إنّ العالم الذي يقدم خدماته العلمية على طبق من الإخلاص إلى الدول والقوى العظمى شعر أم لم يشعر ويترك خدمة بني جنسه يكون ممدوحاً في أحاديث وكلمات المعصومين عليهم السلام؟

وقد ورد في الروايات الشريفة أنّ المدح للعالم لايقتصر على من صدق كلامه فقط، بل لابدّ أن يكون في مقام العمل خادماً للدين أيضاً.

وفي هذا الصدد يقول الإمام الصادق عليه السلام:

يَعْني بِالْعُلَمٰاءِ مَنْ صَدَّقَ قَوْلَهُ فِعْلُهُ وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ قَوْلَهُ فِعْلُهُ فَلَيْسَ بِعٰالِمٍ.[2]

---

١. علم النفس والضمير اللاواعي: ٧٨.

٢. بحار الأنوار: ٣٤٤/٧٠.

تحقّق الكمالات المعنوية عن طريق نشر العلم

إنّ فضيلة العلم تمنح بالاضافة إلى الحياة الطيبة للقلب حافز ودافع قوي للعالم على نقل تلك العلوم التي تعلمها إلى غيره، وبالنتيجة إيجاد نوع من التغير في داخل المجتمع، وهذا العمل هو في ذاته يحمل الفضيلة والثواب.

لأنّ من ضروريات العلم ولوازمه نشره وتعليمه إلى الآخرين إذ انّ الوظيفة تحتم على كلّ من تعلمه نقله إلى الآخرين، وبهذه الصورة يمكن ترويجه بين آلاف الناس، وإن كان ذلك العلم قليلاً والقصة التي ننقلها لكم هي دليل على فضيلة العلم وضرورة نشره وتعليمه إلى الآخرين:

كان المرحوم المجلسي الأول من كبار علماء الشيعة، وكان يعمل في حياته دوماً على ترويض نفسه وتهذيب أخلاقه والعمل على خدمة الناس، ويذكر في إحدى كتاباته قائلاً: ذهبت يوماً لزيارة العتبات المقدسة في العراق، فلمّا وصلت إلى مدينة النجف الأشرف كان الجو بارداً فقررت أن أبقى في هذه المدينة، فرأيت في المنام رؤيا، وهي أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام شملني بألطافه ورعايته، فقال لي: عليك بالعودة بعد الزيارة إلى مدينتك إصفهان؛ لأنّ وجودك فيها أنفع للناس.

وبما أنّه كان لي رغبة شديدة في البقاء في هذه المدينة، فقد أصررت على سيّدي ومولاي من أجل البقاء ولكنّه عليه السلام رفض ذلك وقال: سوف يتوفى في هذه السنّة الشاه عباس ويجلس مكانه الشاه صفي، وسوف تقع فتنة كبيرة في إيران وإنّ الله تبارك وتعالى يريد منك هداية الأُمّة في هذه الفتنة.

والنقطة المهمّة التي ذكرها أميرالمؤمنين عليه السلام هي قوله: إنّك تريد أن تأتي إلى باب الله وحدك، ولكنّ الله عزّ وجلّ يريد ومن خلال هدايتك أن يأتي إلى بابه سبعون ألف شخص إذن ارجع إليهم، فإنّه لا مناص لك من ذلك.

ونتيجة تلك الرؤيا عدت إلى إصفهان فنقلتها إلى أحد أصدقائي المقرّبين

وهو بدوره قام بنقلها إلى الشاه صفي والذي كان في ذلك الوقت في المدرسة الصفوية، ولم تمض سوى أيّام وإذا بالشاه عباس يتوفىٰ في سفره إلى مدينة مازندران ويجلس محله الشاه صفي.[1]

وبالفعل فقد عاد المرحوم المجلسي إلى مدينة إصفهان بعد تلك الرؤية العجيبة، وقام بارشاد الناس وهدايتهم صوب العلوم والمعارف المحمدية الأصيلة، وهم الأنوار البهيّه لله تعالى وخلاص الناس من محنة شديدة.

نعم؛ إنّ الوظيفة الدينية والشرعية تحتم على جميع العلماء الأعلام الذين لهم معرفة وإلمام بالمواضيع العقائدية وعلوم أهل البيت عليهم السلام السعي في زمن الغيبة إلى هداية وإرشاد الناس والتعامل معهم كتعامل الأب الحنون مع ولده.

والدليل على صحة وحقيقة هذا الأمر هو الرواية الواردة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام والتي نقلها عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي يقول فيها:

اَشَدُّ مِنْ يُتْمِ الْيَتيمِ الَّذي اِنْقَطَعَ عَنْ اَبيهِ، يُتْمُ يَتيمٍ اِنْقَطَعَ عَنْ اِمامِهِ وَلايَقْدِرُ الْوُصُولَ اِلَيْهِ، وَلايَدْري كَيْفَ حُكْمُهُ فيما يَبْتَلي بِهِ مِنْ شَرايِعِ دينِهِ.

اَلا فَمَنْ كانَ مِنْ شيعَتِنا عالِماً بِعُلُومِنا وَهٰذا الْجاهِلُ بِشَريعَتِنا، اَلْمُنْقَطِعُ عَنْ مُشاهِدَتِنا، يَتيمٌ في حِجْرِهِ؛ اَلا فَمَنْ هَداهُ وَاَرْشَدَهُ وَعَلَّمَهُ شَريعَتَنا كانَ مَعَنا فِي الرَّفيقِ الاَعْلٰى.[2]

ففي هذه الرواية يبيّن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّ طريق نشر العلم ونقله إلى الناس يتيح الوصول إلى عملية التكامل المعنوي ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ من يهدي الناس ويعلمهم شريعتنا فهو معنا في أعلى درجات الجنة ولهذا نرى أنّ الكثير من العلماء يعملون ليلاً ونهاراً في طريق تحصيل العلوم والمعارف الإلهية، وأحياناً نرى أنّ البعض منهم ينشغل بالبحث في المسائل العلمية فينسى حتى

١. فوائد الرضوية المرحوم المحدّث القمي: ۴۴۰.

٢. بحار الأنوار: ٢/٢.

أكله وشربه.

كان المرحوم الحاج كريم الفراش أحد خدام الروضة الحسينية الشريفة ينقل قصة طريفة فيقول:

كنت مشغولاً في الخدمة في حرم سيدالشهداء عليه السلام فأعلن الخدم للزوّار عن غلقهم الأبواب الخاصة بالحضرة الحسينية، فشاهدت المرحوم البهبهاني والشيخ يوسف البحراني قد خرجا سويّة من الحضرة وشرعا في البحث في بعض المسائل العلمية في الرواق، فأعلن الخدم عن غلقهم أبواب الرواق فخرج هذان العالمان من الرواق وبدءا بالبحث في الصحن الشريف فأعلن الخدمه عن نيّتهم في إغلاق أبواب الصحن فخرجا من الصحن واستمرّ بحثهما خلف أبواب الصحن، وأمّا أنا فكنت في داخل الصحن ولم أبارحه حتى فجر اليوم الثاني، فعندما قمت بفتح أبواب الصحن وكان من المراسيم تقتضي فتح باب القبلة أوّلاً قبل بقية الأبواب الأُخرى، وبمجرّد أن فتحتها وجدت هذين العالمين مشغولين في البحث والنقاش!

وحينما شاهدت ذلك المنظر تعجبت كثيراً فوقفت استمع لما يقولانه وهما لاينقطعان عن التباحث إلى أن أذّن المؤذّن، فرجع الشيخ يوسف الذي كان إمام جماعة الصحن الشريف إلى الصحن فانتهىٰ بحثهما.[1]

إنّ الواجب الأخلاقي والديني يحتم علينا جميعاً تكريم وتجليل العلماء الأعلام الذين عملوا طوال تاريخ التشيع بكل إخلاص وتفانٍ وتحملوا مختلف الصعاب والمحن، وأن نتجنب الإساءة والتعرّض لهم.

فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

مَنِ اِسْتَخَفَّ بِالْعُلَمٰاءِ اَفْسَدَ دينَهُ.[2]

وقد تحدث الإمام عليه السلام في حديثه هذا عن أُولئك العلماء الذين هم دعامة الدين

١. فوائد الرضوية المرحوم المحدّث القمي: ٤٠٦.

٢. بحار الأنوار: ٢٣٣/٧٨.

والذابين عنه، حيث اعتبر عليه السلام إهانتهم وإن كانت بسيطة فهي بمثابة إهانة للدين والشريعة الإلهيّة؛ باعتبارهم سلكوا طريق العلوم والمعارف الربانية وجاهدوا وثابروا حتى وصلوا إلى هذه الدرجة وعملوا بكل تفانٍ وإخلاص على نشره وتعليمه بين أوساط الناس، وبذلك حظوا بالقرب الإلهي ولطف وكرامة من أهل البيت عليهم السلام.

ولهذا السبب فإنّ إهانتهم في الواقع هي إهانة للدين، وإن الشخص الذي لايعبأ ولايكترث بالأوامر الإلهية فهو قد ضيّع دينه وجعله في مهب الريح.

نتيجة البحث:

تلعب الرغبة والإرادة دوراً مؤثراً ومهماً للغاية في طريق تحصيل العلم والمعرفة، ولهذا فمن الضروري بمكان أن يوجدهما الإنسان في نفسه والعمل بشتى الطرق والأساليب على تقويتهما.

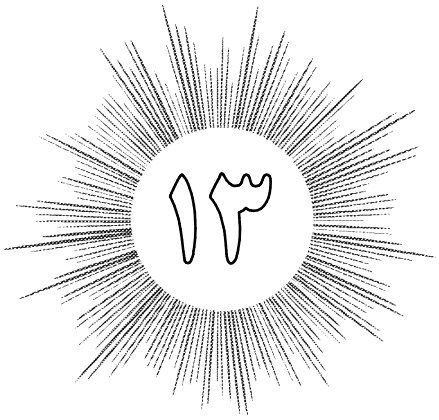
ويجب على الفرد الذي يبغي كسب العلوم والمعارف ان يكتسبهما من معينهما الرقراق والصافي، وهم أهل بيت الوحي والرسالة عليهم السلام وأن يضيء وجوده من أنوارهم المشعة.

ومع خلال تعلم تلك العلوم سوف يجد الإنسان أنّ هناك تحوّلاً عجيباً قد طرأ على نفسه؛ لأنّ العلم يوضع الشعور الواعي واللاواعي تحت تأثيره، وبالتالي يصل بالأفكار إلى أعلى المستويات.

ويكون نتيجة ذلك التحول والتغير الروحي الحياة السرمدية والولوج إلى الأسرار التي منعت عنها الأغيار، وفي ذلك الوقت تتهيأ الأرضية المناسبة للرقي ونيل الدرجات العالية في الحياة المعنوية.

ويمكن من خلال الوصول إلى المقامات العلمية الرفيعة القيام بارشاد وهداية الامة ونجاتها من الضلالة والفساد وتعريفهم بالمبادئ والتعاليم السامية لأهل البيت عليهم السلام.

يـــا طـــالب العـــلم لا تـــبغي بـــه بـــدلا
فـــقد ظـــفرت ورب اللـــوح والقـــلم
وقـــدس العـــلم واعـــرف قـــدر حـــرمته
فـــي القـــول والفـــعل والآداب فـــالتزم
وانـــهض بـــعزم قـــوي لا انـــثناء له
لو يـــعلم المـــرء قـــدر العـــلم لم يـــنم



التوفيق

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

لا ينفع اجتهاد بغير توفيق

آثار التوفيق في تطور الإنسانية

إنّ الفرد منّا يحتاج بكل تأكيد إلى العناية الربانية لكي يقوم بأعمال وأفعال الخير ومن غيرها فسوف تفشل تلك الأعمال وتصطدم بعقبات وتفقدها سبل النجاح والإستمرار، ومن منطلق هذه القاعدة يجب على الفرد الذي يريد فعلها التوسل والتضرع لله جلّ شأنه لكي تتدخل العناية الربانية في توفير أسباب ذلك.

قال الإمام الجواد عليه السلام:

اَلْمُؤْمِنُ يَحْتاجُ اِلى تَوْفيقٍ مِنَ اللهِ وَواعِظٍ مِنْ نَفْسِهِ وَقَبُولٍ مِمَّنْ يَنْصَحُهُ.[1]

وحسب مقولة الإمام عليه السلام فإنّ التوفيقات الإلهية هي واحدة من الحاجات الأساسيّة لكل فرد مؤمن حتى يستطيع من خلالها والعزيمة التي يمتلكها الوصول إلى مبتغاه.

فنقول في الدعاء الذي يستحب قراءته في أثناء التشرف في زيارة العتبات الطاهرة والمشاهد المشرفة لأئمّتنا الأطهار عليهم السلام:

١. تحف العقول للمرحوم الحرّاني: ٤٥٧.

اللّٰهُمَّ صِلْ... نِيَّتي بِالتَّوْفيقِ.[1]

لأنّ التصميم والنية في القيام بالعمل الصالح الذي يرضاه الله تعالى مع عدم وجود التوفيق الإلهي ليس له بالغ الأثر ولايفتأ إلاّ أن يكون ظاهرياً، ومن هنا لابدّ أن تكون النية التي يبيتها الإنسان في قرارة نفسه والتصميم على فعل الخير مصحوباً بطلب التوفيق الرباني حتى يعطي نتائجه ويكون له معطياته الإيجابية، وإلاّ لن يترتب عليه أي أثر في ميزان الأعمال، ولكن يستفيد من الأجر والثواب المترتب على النيّة والتّي وعد الله عزّ وجلّ بها.

وحسب ذلك فإنّ التوفيق الإلهي واحد من الإحتياجات التي ينشدها كلّ فرد مؤمن؛ باعتبار أنّ الإرادة والقدرة على فعل الخير وحدهما غير كافيين على إيجاد العلة التامة لتحقيق الفعل، وإنمّا هناك عامل هو الأقوى ـ مضافاً إلى الإرادة والقدرة ـ وهو التوفيق الإلهي، ففي حالة عدم إسعاف الفرد وغاب عنه التوفيق الإلهي فلن يكون هناك أي إمكانية للقيام بالأفعال الصالحة التي يرتضيها الخالق المعبود.

يقول الله جلّ وعلا في إحدىٰ آياته لنبيّه شعيب: أن خاطب قومك بالقول:

﴿اِنْ اُريدُ اِلَّا الْاِصْلاٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ ما تَوْفيقي اِلاّ بِاللهِ﴾.[2]

وهذه الآية دليل على أنّ الإستطاعة والقدرة لايكفيان في القيام بالأعمال، وإنمّا التوفيق الإلهي هو الأساس والضرورة، وأنّه العامل الذي من شأنه إكمال القدرة والقوّة لدى الإنسان، وإلاّ فإنّ قدراته تقف عند حدّ محدود ولن تكون وحدها العصا السحرية للأمور والقيام بالصالحات والباقيات.

وعلى أساس هذا البيان فإنّ الأشخاص العاديين هم ليس وحدهم من تشملهم هذه القاعدة، وإنمّا حتى الأنبياء والأولياء والمقرّبون فإنّهم لن يوفقوا

---

١. بحار الأنوار: ١٠٢/١٦٢.

٢. هود: ٨٨.

في القيام بأي عمل صالح مالم يكون هناك توفيق إلهي يشمل حالهم.

إنّ الإعتقاد والإلتفات إلى هذه المسألة، وهي أنّ الجميع يجب أن يتمتعوا بالتوفيق الإلهي في القيام بأعمال الخير والصلاح، لا أنّه يؤدي في النتيجة إلى غرس هذا الموضوع في النفوس ويجعله من الضرورات التي لابدّ الإيمان والاعتقاد بها فحسب، بل إنّ له أثراً مهمّاً وهو إبعاد النفس عن الغرور والطغيان والمنّة.

إنّ أولياء الله قد أدركوا هذه الحقيقة وعلموا أنّ كلّ فعل خير يقومون به نابع من التوفيقات الإلهية، فلهذا تراهم في قمة التواضع والتذلل والشكر له.

وعادة ما يزداد إخلاص وتوفيقات هؤلاء الذين يمتكلون هذه الروحية والخصلة والإعتقاد، فتخلق لديهم روحاً متواضعة خالية من التكبر والاعتلاء والنظرة الدونية إلى الآخرين.

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت
أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنها
وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبينها
وكم من مدائن في الآفاق قد بنيت
أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
أين الملوك التي كانت مسلطنة
حتى سقاها بكاس الموت ساقيها

لا تـــــــــركنن إلى الدنـــــيا وزخـــــرفها
والمـــــــــوت لا شك يـــــفنينا ويـــــفنيها
واعـــــمل لدار غـــــدا رضـــــوان خـــازنها
والجـــــار أحـــــمد والرحـــــمن نـــــاشيها
قـــــــــصورها ذهب والمسك طـــــــــيبها
والزعـــــفران حشـــــيش نـــــابت فـــــيها
أنـــــهارها لبـــــن مـــصفى ومـــن عســـل
والخـــــمر يـــجري رحـــيقا فـــي مـــجاريها
والطـــير تـــجري عـــلى الأغـــصان عـــاكـفة
تســـــــبّح الله جـــــهرا فـــــي مـــــغانيها
فـــمن يشـــتري الدار فـي الفـردوس يـعمرها
بـــــركعة فـــــي ظـــــلام اللـــيل يـــحييها

التصميم والقدرة والتوفيق والإصابة أو أركان السعادة

إنّ الإنسان السعيد هو ذلك الشـخص الذي يـعمل وفـق مـقياس التـوفيق ولايخرج عن إطاره، أي أنّه يسعىٰ جاهداً إلى الحظوة بالتوفيق الإلهي، مضافاً إلى عوامل القدرة والمنعة والتصميم التي يمتلكها ومن هنا عليه الحرص كـلّ الحرص على عدم التفريط بها، وذلك من خـلال أتـباع الأسـاليب الشـيطانية ومطاوعة مكائد الشيطان، إنّنا نرى أنّ الكثير من الناس قد توفرت لديهم جميع مقومات التوفيق، ولكنّهم يمتنعون من القيام بالأعمال الصالحة، وذلك نتيجة تسلط الأفكار السلبية والشيطانية، فيسلب منهم ذلك التـوفيق والقـدرة عـلى فعل الخير.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

مٰا كُلُّ مَنْ نَوٰى شَيْئاً قَدَرَ عَلَيْهِ، وَلٰاكُلُّ مَنْ قَدَرَ عَلٰى شَيءٍ وُفِّقَ لَهُ وَلٰاكُلُّ مَنْ وُفِّقَ لِشَيءٍ اَصٰابَ لَهُ، فَاِذَا اجْتَمَعَتِ النِّيَّةُ وَالْقُدْرَةُ وَالتَوْفيقُ وَالْاِصٰابَةُ فَهُنٰالِكَ تَمَّتِ السَّعادَةُ.[1]

التوفيق هو القدرة على القيادة والهداية صوب الخيرات

إنّ النقطة التي يمكن الإستفادة منها من هذه الرواية هي: أنّه لايوجد في مسألة التوفيق قدرة على التنفيذ الإجباري؛ باعتبار أنّ السعادة تحتاج بالاضافة إلى التوفيق إلى عامل الإصابة.

إنّ التوفيق هو قوّة في داخل الإنسان تهديه إلى الخيرات والأمور المحببة، وفي الواقع هو مرشد للقيام بها، ومن دونه يصبح القيام بالعمل نوعاً من الجبر والإنتزاع؛ باعتبار أنّ الشخص الموفق لايرى إجباراً بفعله، حيث يعتقد أنّ الوظيفة المناطة به هي الإستفادة من القوى التوفيقة وعدم تضييعها.

ولهذا فإنّ التوفيق يشكل عنوان المرشد والداعم لأعمال الخير فقط، ومن دونه تطغى حالة الجبر والإكراه على أفعال الفرد.

وفي هذا السياق نقرأ عن مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام قوله:

لٰا قٰائِدَ خَيْرٌ مِنَ التَّوْفيقِ.[2]

وكما يرى القارئ المتمعن فإنّ الإمام أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام يعرف التوفيق على أنّه أفضل مرشد وهادٍ وقائد؛ لأنّه كما قلنا سابقاً لايوجد في فعل التوفيق قدرة إجبارية على تنفيذه وإجرائه، بلحاظ أنّ البارئ عزّ وجلّ يمنحنا التوفيق، ولكنّنا نحن من لايعمل به والنتيجة ضياعه.

---

١. كنز الفوائد الكراجكي نقلاً عن بحار الأنوار: ٥/٢١٠.

٢. بحار الأنوار: ١/٩٤.

إنّ هذا التعبير الرائع الوارد عن أميرالمؤمنين عليه السلام هو إجابة واضحة على أُولئك الذين يمتنعون عن القيام بالأعمال الصالحة والخيرات، وإذا سُئلوا يقولون: إنّ الله حجب عنّا التوفيق إلى ذلك.

ويتّضح من سياق هذا الحديث أنّ أيدينا مفتوحة في الكثير من الأُمور والقضايا، ويمكننا القيام بها، وإنّ التوفيق الإلهي حاضر، ولكننا نحن أنفسنا من يضيّع فرصة القيام بها، وبالتالي سلب التوفيق لإجرائها.

ومن هنا فإنّ من شروط النجاح والوصول إلى الهدف المطلوب هو العمل وفق التوفيق الإلهي.

الشخصيات الموفقة

إنّ المرحوم السيد محمد القزويني واحد من تلك الشخصيات العظيمة والذين استفادوا من التوفيقات الإلهية العظيمة التي شملتهم.

وكان هذا المرحوم من العلماء الأعلام ومن الذين قدموا الكثير من الخدمات الإجتماعية للناس، وهو ابن أخت السيد بحر العلوم.

وينقل ابن أخيه المرحوم السيد مهدي القزويني والذي هو أيضاً من العلماء الكبار والأجلاء هذه القصة عنه: إنّ هذا العالم الجليل قد أخبرنا عن مرض الطاعون في العراق، وذلك قبل انتشاره ومجيئه بسنتين، وقد كتب إلى كلّ واحد من أقاربه وأهله دعاءً بهذا الخصوص، وكان يقول: إنّي رأيت أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام في الرؤيا فقال لي: «وبك يختم يا ولدي».

وقد قام في تلك السنّة بتقديم خدمات إلى المسلمين والإسلام يظل العقل متحيراً منها فكان يصلي على جميع الأموات الذين يتوفون في داخل المدينة وخارجها ويقيمها على كلّ عشرين أو ثلاثين منهم.

وقد وصل عدد الذين يتوفون يومياً نتيجة ذلك المرض بحدّ كان معه يصلي

صلاة الميت على أكثر من ألف شخص، وفي نهاية المطاف فقد التحق هذا العالم بالرفيق الأعلى في ليلة عرفة في سنّة ١٢٤٦ بعد صلاتي المغرب والعشاء، وكما قال هو فقد كان آخر شخص قد مات جراء هذا المرض.[١]

وتمكن في أحد المرات من أن ينجي الكثير من العلماء والصلحاء، وذلك بعد أن تعرضت سفينتهم إلى الطوفان والغرق، فاستطاع هذا العالم ونتيجة القوى المعنوية التي تمتع والقدرات الخارقة للعادة من تجاوز خطر ذلك الأعصار والطوفان، فيقول ابن أخيه: لقد سافرت مع المرحوم ومجموعة من العلماء والصلحاء في أحد القوارب، وبينما كنا خارجين من مدينة كربلاء المقدسة، وإذا بطوفان شديد قد هب فجعل القارب في معرض الخطر فتغيرت أوضاع الركاب، وكان من بينهم أحد الأشخاص الذين انقلب وضعهم تماماً وأصابه نوع من الخوف العجيب، فكان يبكي مرّة ومرّة يتوسل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام لتخليصه من تلك الشدة، بينما كان السيد صلباً مثل الجبل جالساً في أحد زوايا القارب.

وعندما ازداد خوف ذلك الرجل وتعالت صرخاته وبكاؤه فجاء إليه السيد وقال له ممّ خوفك؟ إنّ الهواء والبرق والرعد وجميع الأُمور هي مسخرة من قبل الله تعالى، ثمّ جمع عباءته وأشار إلى الريح مثل شخص يريد أن يطرد ذبابه فجأة هدأت الرياح وتوقف الطوفانّ واستقر القارب.[٢]

لقد كان هذا الرجل موفقاً في كسب العلوم العظيمة والتي لايمكن لشخص منّا الحصول عليها في الظروف الطبيعية، وهذا الأمر يعود لاسباب لانعرفها، ويرى المرحوم المحدث النوري أنّ هذا الموضوع يبيّن شخصيته وعظمته فيقول في هذا الخصوص: **إنّ الإمام صاحب العصر والزمان** عجّل الله تعالى فرجه الشريف

١. فوائد الرضويّة المحدّث القمي رحمه الله: ٤٠١.

٢. فوائد الرضويّة المحدّث القمي رحمه الله: ٤٠٢.

قد بشرّه قائلاً: ستكون يوماًعالماً كبيراً في علوم التوحيد.

فيقول هذا العالم الجليل: بعد تلك البشارة رأيت في إحدى الليالي رؤيا هي أنّ ملكين من السماء قد نزلا عليّ، وفي يد واحد منهم عدد من الألواح مكتوب عليها أشياء، وفي يد الملك الآخر ميزان، فكانا يضعان لوحة في كلّ كفة، ومن ثم يجريان عليها مقايسة، وبعد ذلك يقولان لي ماذا جرى وأنا بدوري أقرأ ما كتبوا حتى أتموا عليّ جميع ما هو موجود في تلك الألواح وقرأتها جميعها وكان مكتوباً على بعض تلك الالواح عقائد وعلوم أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب الأئمة الأطهار عليهم السلام من سلمان وأبي ذر وحتّى آخر النوّاب الأربعة، وقد كتب في بعضها الآخر عقائد وعلوم ومعارف علماء الشيعة من الشيخ الكليني والصدوق وحتى العلامة السيد بحر العلوم والعلماء الذين تلوه، فكان هذان الملكان يجريان مقارنة بين عقائد وعلوم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار عليهم السلام وبين عقائد وعلوم العلماء الأعلام.

ونتيجة تلك الرؤية اطلعت على الكثير من أسرار العلوم والتي لم أكن أحصل على معشار منها حتى وإن طال عمري عمر نوح.[1]

طرق الحصول على التوفيق

١ ـ الدعاء والتضرع:

يجب على الإنسان دوماً أن يدعو البارئ عزّ وجلّ ويطلب من حضرته القدسية التوفيق حتى يمكنه من نيل التوفيقات الإلهية التي كانت من نصيب أولياء الله، وهناك الكثير من الأدعية الواردة في هذا الخصوص منها:

١ ـ نقرأ في الدعاء الوارد بعد صلاة جعفر الطيار عليه السلام:

١. الفوائد الرضويّة المحدّث القمي رحمه الله: ٤٠١.

اَللّٰهُمَّ اِنّي اَسْأَلُكَ تَوْفيقَ اَهْلِ الْهُدٰى وَاَعْمٰالَ اَهْلِ التَّقْوٰى...[1]

إنّ هذا الدعاء يؤكّد على نقطة، وهي أنّ التوفيق وحده ليس دليلاً على القيام بعمل الخير، ولذا فإنّ هذا الدعاء يطلب من البارئ عزّ وجلّ بالإضافة إلى توفيق أهل الهدىٰ، فإنّه يطلب إتّباع أعمالهم وسلوكهم أيضاً.

٢ ـ نقل عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله في تفسير الآية الشريفة: ﴿**صِراطَ الَّذينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾:

قُولُوا اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الَّذينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالتَّوْفيقِ لِدينِكَ وَطٰاعَتِكَ.[2]

وعلى ضوء ذلك يمكن القول بأنّ توفيق إقامة الفرائض والأحكام الإلهية وطاعة أوامره وتجنب نواهيه هو أمر يجب أن يتلطف به البارئ عزّ وجلّ على عباده، وينبغي للجميع طلبه والسعي لأجله حتى يكون ذلك التوفيق رفيق طريقهم في الحياة، والأمان من مخاطرها ومزالقها، وأن يكون في اللحظات الأخيرة من عمره من أصحاب اليمين.

٣ ـ جاء في دعاء اليوم الثالث عشر من شهر رمضان المبارك:

اَللّٰهُمَّ وَفِّقْني فيهِ عَلَى التُّقىٰ وَصُحْبَةِ الْاَبْرٰارِ.[3]

٤ ـ وقد ورد في دعاء الليلة الثانية والعشرين من شهر رمضان:

وَارْزُقْني فيهٰا التَوْفيقَ لِمٰا وَفَّقْتَ لَهُ شيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ.[4]

---

١. بحار الأنوار: ٩١/١٩٨.

٢. بحار الأنوار: ٢٤/١٠، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٧، معاني الأخبار: ١٥.

٣. بحار الأنوار: ٩٨/٣٧.

٤. بحار الأنوار: ٩٨/٥٣.

التذكير بنقطة

لعلّ السائل قد يرى نفسه لايملك المواصفات التي تؤهله لكسب التوفيقات الإلهية، ويعتقد بأنّ التوفيقات التي نالها المقرّبون من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والشيعة الخلص هي حاجة عظيمة بعيدة المنال، ولكن مع هذا يجب عليه الدعاء بأعظم الحوائج وأثمرها، إذ لابدّ له من الأخذ بنظر الإعتبار أنّه في محضر مليك مقتدر مالك السموات والأرضين وعنده خزائن كلّ شيء، وليس النظر إلى حاله وذلته وضعفه هو.

ويعتقد البعض أنّ الإنسان عليه أن لايطلب من الله سبحانه وتعالى أكثر من ما يستحقه، ففي البداية لابدّ له من معرفة مؤهلاته وصلاحياته ومن ثم الدعاء إلى الطلب وتحقيق هدفه.

إنّ هذه العقيدة وعلى فرض صحتها فإنّها ليست قاعدة كلية؛ لأنّ هناك بعض الأوقات والأماكن تتمتع بعظمة ومنزلة كبيرة عند البارئ جلّ وعلا، حيث يمكن للإنسان أن يدعوه بأيّ حاجة كانت ـ حتى وإن كانت عظيمة وكبيرة ـ فنقرأ في زيارة وداع أميرالمؤمنين عليه السلام:

اَللّٰهُمَّ وَفِّقْنا لِكُلِّ مَقامٍ مَحْمُودٍ وَأَقْلِبْني مِنْ هٰذَا الْحَرَمِ بِكُلِّ خَيْرٍ مَوْجُودٍ.[1]

إنّ العظمة والمكانة والوجاهة التي يحملها الحرم الطاهر لسيد الموحدين مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام تسمح للزائر وتعطيه الإجازة والجرأة لطلب التوفيق لكل مقام محمود وخير موجود.

لذلك ومع أنّ السائل كونه لايملك الاستحاق والجدارة لطلب بعض المقامات، ولكن عظمة بعض الأماكن والأزمنة لدى البارئ المتعال تعطي الإجازة والشجاعة الكافية لطلبها وتحقيقها.

---

١. بحار الأنوار: ٣٨٢/١٠٠.

٢ ـ دعاء الوالدين

يلعب دعاء الأب والأم دوراً مهماً في إيجاد حالات التوفيق والنجاح في شتّى مجالات الحياة، ويرى الكثير من علمائنا وشخصياتنا الجليلة أنّ سبب توفيقاتهم تعود إلى دعاء الوالدين لهم بالتوفيق والسداد.

لقد كان المرحوم العلامة المجلسي استثنائياً بين أقرانه من علماء الشيعة من ناحية كثرة المؤلفات وخدمة أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فيعتقد هذا العالم الجليل بأنّ جميع التوفيقات التي حصل عليها مرهونة بدعاء والده المكرم.

يقول المرحوم المجلسي الأول، وهو من كبار العلماء الشيعة وأجلائهم وصاحب الكثير من حالات الكشف والشهود: شعرت في إحدى الليالي وبعد الانتهاء من العبادة والتهجد بحالة معنوية خاصة، وحصل يقين في نفسي بأنّ كلّ دعاء أدعو به مستجاب، وفي تلك اللحظات كنت أفكر بأيّ الأشياء أطلبها من الله؟ فجأة سمعت بكاء ولدي محمد باقر في مهده فقلت: إلهي بحقّ محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين اجعل هذا الطفل أحد العلماء الذين يروجون لدينك ونشر أحكام نبيّك صلى الله عليه وآله وسلم، وامنحه خالص توفيقاتك.

يقول صاحب «مرآة الأحوال»: لقد ظهرت للعلامة المجلسي أمور خارقة للنواميس، وكانت يقيناً من آثار ذلك الدعاء.[1]

٣ ـ ضرورة السعي والعمل لجلب التوفيق

وكما ذكرنا آنفاً فإنّ واحداً من الأسباب والطرق المهمّة لكسب التوفيق هو الدعاء والطلب في محضر البارئ عزّ وجلّ.

لذا يجب الدعاء من أعماق القلب وبانكسار والطلب من الله تبارك وتعالى الوصول إلى أعلى مراتب النجاح والتوفيق، ويجب الالتفات إلى نقطة، وهي

١. فوائد الرضويّة المحدّث القمي رحمه الله: ٤١١.

علينا أن نعمل بكل إخلاص ومثابرة لأجل تحقيق تلك المراتب وإلاّ فسوف يكون دعاؤنا نوع من الإستهزاء والإستخفاف بالنفس.

يقول الإمام الرضا عليه السلام:

مَنْ سَأَلَهُ التَّوْفيقَ وَلَمْ يَجْتَهِدْ فَقَدِ اسْتَهْزَءَ بِنَفْسِهِ.[1]

لأنّ التوفيق علاوة على تحصيله بالدعاء فإنّه مبنيٌ على أساس وقاعدة أُخرى، وهي عبارة عن السعي والمثابرة، لهذا فإنّ وظيفة كلّ من أراد نيل التوفيق للوصول إلى المقامات الرفيعة والأهداف السامية التي يرضاها الله تبارك وتعالى فما عليه إلاّ السعي والعمل بالطبع بعد الدعاء والتضرع إلى البارئ الواحد القهار، ومن المؤكد فإنّ التوفيقات الإلهية ستكون من نصيب كلّ من سلك ذلك الطريق والمنهج.

٤ ـ التفكّر في نعم الله أو عامل التوفيق المهمّ

إنّ التفكير والتأمّل في النعم التي أنعمها البارئ عزّ وجلّ على الإنسان والتي لايمكن بحال من الأحوال إحصاؤها عامل مؤثر في جلب التوفيق. ويمكن من خلال التفكير في مخلوقات الله تبارك وتعالى فتح نافذة وإطلالة وسيعة ودرّ التوفيقات صوبه.

عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال:

مَنْ تَفَكَّرَ فِي آلاءِاللهِ وُفِّقَ.[2]

لأنّ الإنسان يمكنه عن هذا الطريق من تنمية محبة الله علا شأنه في قلبه وزيادة وهجها وبالتالي ستكون العامل الأقوى والمؤثر للإتجاه نحو طاعة وعبادة الله تعالى، ولهذا الدليل يقول أميرالمؤمنين علي عليه السلام في حديث آخر:

---

١. بحار الأنوار: ٣٥٦/٧٨.

٢. شرح غرر الحكم: ٣٠٨/٥.

اَلتَّوفيقُ مِنْ جَذَباتِ الرَّبِ.[1]

ويمكن من خلال هذا الحديث استخلاص نتيجة مفادها: إنّ الإنسان بإمكانه الحصول على التوفيقات الإلهية وذلك عبر التفكير بآلائه ونعمه التي لاتعد ولاتحصى والتمتع بالقرب الإلهي الذي خص بها عباده المخلصين.

ويجب على الإنسان الالتفات إلى نقطة وهي: إنّ وجود أهل البيت عليهم السلام هي ليست من أهم النعم الإلهية التي أنعم بها الله عزّ وجلّ على البشر، بل وإنمّا أي نعمة نزلت على الإنسانية وأينما تكون هي بسب وجودهم المبارك ولأجلهم، وهي تحت اختيارهم.

وعلى هذا الأساس فإنّ التفكير والتأمل في الفضائل والمناقب التي حواها بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وخاصة آخر سلسلة الإمامة الإمام بقية الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء **والذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً سوف يزيد توفيقات الفرد.**

وفي هذه الحالة فإنّ الرحمة الإلهية سوف تشمل حاله وسيكون على الطريق المستقيم لأولياء الله وينال مقاماً محموداً.

١. شرح غرر الحكم: ١٤٤/١.

نتيجة البحث

يحتاج الإنسان إلى الوصول إلى الأهداف العالية إضافة إلى التصميم والإرادة الإستفادة من قوى التوفيق وعادة مايحمل التوفيق عنوان الهادي والمرشد، والسبب في ذلك كونه يلعب دوراً مهماً في تحقيق علة التوفيق مع أنّه ليس العلة التامة فيه.

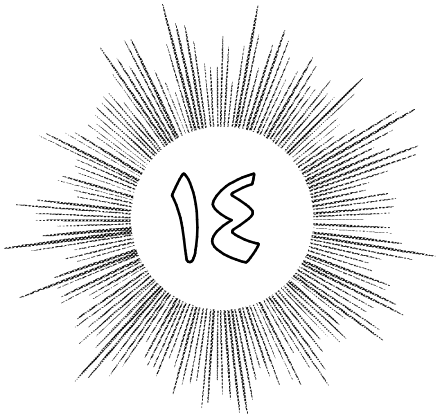
وينبغي للإنسان الدعاء والتضرع إلى الله تعالى لنيل التوفيق، وأيضاً السعي والعمل بجدية له، وعلى الإنسان أن لايهيّئ الأرضية المناسبة لإيجاده فقط، وإنمّا يسعىٰ بهمة عالية وإرادة فولاذية لنيله ومن ثم عدم التفريط به وفقدانه.

ومن العوامل الاخرى للتوفيق هي التفكير بنعم وآلاء البارئ عزّ وجلّ وخاصة النعمة العظيمة التي وهبها لنا وهي نعمة وجود أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم ومناقبهم والذين هم خلفاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الوجود.

ومن الأُمور المؤثرة في عملية زيادة التوفيقات هو تنمية التفكير في الذهن بعظمة الإمام بقية الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء، والكرامات والإمدادات الغيبة لهذا الإمام الهمام وما سوف تجري من أمور في دولته الكريمة والسعادة والكرامة التي ستكون من نصيب الإنسانية جمعاء.

وكذلك لابدّ للفرد أن يسعى بكل عزيمة وإصرار على عدم ارتكاب المعاصي والآثام باعتبارها تسلب التوفيقات التي تهيّأت له من جانب البارئ عزّ وجلّ.

يارب صفحك يرجو كلّ مقترف ... فأنت أكرم من يعفو ومن صفحا
كم يكدح المرء لايدري منيته ... أليس كلّ امرئ يُجزى بما كدحا
ياويح نفسٍ توانت عن مراشدها ... وطرفها في عنان الغي قد جمحا
إنّا إلى الله ما أولى المتاب بنا ... لو أنّ قلباً إلى التوفيق قد جنحا



اليقين

الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

باليقين تدرك الغاية القصوى

أهميّة اليقين

إنّ اليقين هو الجادّة المستقيمة التي ترشد وتهدي الإنسان إلى العالم الغيبي، وهو الصراط المستقيم للوصول إلى عالم الملكوت والإرتباط بالعالم اللامرئي.

ويعتبر اليقين من الصفات والخصال التي يتمتع بها العظماء والأتقياء والصالحون وأصحاب النفوس الأبية، وهو من خصال أولياء الله ومن خصوصيات الأصحاب المقرّبين لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، ويعتبر من أكثر العوامل قوّة في إيجاد القوى الروحيّة والطاقة المحركة للإنسان على الطريق القويم.

إنّ اليقين بكل تأكيد هو طريق الوصال والإرتباط الروحي والمعنوي بين الإنسان وأهل البيت عليهم السلام، ووجوده في القلب يزيل الموانع والعقبات لذلك الإرتباط ويعبد الطريق للوصول إلى ذلك البيت الطاهر الذي طهره البارئ عزّ وجلّ وجعله النور الذي يقتدي به المسلمون.

ويمكن من خلال زيادة اليقين في القلب جعله مكاناً للملائكة وبالتالي النجاة والخلاص من شرّ وساوس الشياطين، وفي ذلك يكون قد وطّأه لنيل

الفيوضات المعنوية المهمّة، وفي تلك الحالة سيكون مملوءاً بالحيوية والنشاط والنورانيّة والهداية.

ومن هنا سيكون اليقين هو الحاضر الأول في قلوب وأرواح العالمين في يوم الظهور المبارك لمنتقم آل محمد الإمام المهدي الموعود عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنّه في ذلك الزمان سيصدع الإمام بالنداء والصرخة التي تحيي القلوب والضمائر من أقدم معاند عرفه التاريخ وسيهتزّ عرش إبليس وأعوانه من تحت اقدامهم.

وفي تلك اللحظات ستهدأ قلوب العالمين وتطمئن من حالات الوسوسة والتشكيك ويعم اليقين فيها، ويكشف عن تفاعل حقيقي مع الإمام وأهدافه العظمى، فيأخذ بيدها إلى الخير الأعلى ويحز أيدي العابثين بمقدراتها، ويدك صروح المتحكمين في شؤونها والمستهزئين بقيمها ومثلها، وفي ذلك الزمن تشعر البشرية بأنّة ليس في حكمه ميل ولا جور ولا تعسّف وهو الأمل الذي تسمو البشريّة به عن موارد الهوان والذلة.

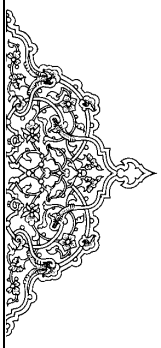
وفي ذلك الزمان سوف تتهيّأ كلّ الأُمور والعوامل التي من شأنها إيجاد عملية اليقين، ومن خلاله سوف تصلح سريرة وباطن الجميع.

ونذكر هنا عدداً من الموارد كمقدّمة لإثبات أنّ الإنسانية سيكون لها ذلك اليقين في عصر الظهور.

يقول البارئ عزّ وجلّ في محكم كتابه العزيز حول نبيّه إبراهيم عليه السلام:

﴿وَكَذٰلِكَ نُرِي اِبْرٰاهيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنينَ﴾.[1]

يقول صفوان: سئل الإمام الرضا عليه السلام عن قول الله لإبراهيم **﴿اَوَلَمْ تُؤْمِنْ قٰالَ بَلٰى وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي﴾**[2]، أكان في قلبه شكّ؟ قال عليه السلام:



١. الأنعام: ٧٥.

٢. البقره: ٢٦٠.

لا، كانَ عَلى يَقينٍ وَلٰكِنَّهُ اَرادَ مِنَ اللهِ الزِّيادَةَ في يَقينِهِ.[1]

ونرى من خلال هذه الآية الشريفة أنّ يقين النبيّ إبراهيم ازداد وتضاعف حينما شاهد ملكوت السماوات والأرض فأصبح من «الموقنين» وهذا يعني حدوث قدرة في داخله على إيجاد اليقين عند الآخرين.

وعلى هذا الأساس يطرح هنا السؤال التالي هل يا ترى **إنّ الإنسانيّة في عصر الظهور وحكومة الإمام الحجة بن الحسن العسكري** عجل الله تعالى فرجه الشريف **والذي يشاهد فيه ملكوت السماوات والأرض ويرى الناس مظاهره الملكوتية وولايته على رؤوسهم** لاتملئ قلوبهم باليقين ؟

وعليه يمكن القول إنّ كلّ من سعى في ذلك الزمان إلى كسب اليقين سوف يتغلب على الشيطان وحاكميته ويضع قدميه على الصراط المستقيم للمعنويات ويكون من أولياء الإمام المخلصين وأتباعه الحقيقين.

آثار اليقين

١ ـ يشدّ القلب

يستطيع كلّ واحد منّا أن يمنح قلبه حياة جديدة، وذلك من خلال النصيحة والموعظة الحسنة، فتعيد له الروح والثبات واليقين، وتزداد فيه مقومات الحيوية والفاعلية والقوة ليقف مثل الجبل الأشم في مقاومة المشاكل التي تعصف به.

إذ أنّ اليقين إذا وجد في القلب بشكل كامل فإنّه يمنع من دخول الوساوس والشكوك التي هي في غير محلها، ويقلع عوامل الضعف والفساد من جذورها، وعلى ضوء ذلك لابدّ لكل شخص من العمل على تقوية اليقين في قلبه وإحيائه.

وفي هذا السياق يقول مولانا اميرالمؤمنين علي عليه السلام:

---

١. بحار الأنوار: ١٧٦/٧٠.

اَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ... وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ.[1]

وكـــم لله مـــن لطـــف خـــفي ... يـــدّق خـــفاه عـــن فـــهم ذكـــي
وكم يسر أتـىٰ مـن بـعد عسـر ... فـــفرّج كـــربة القـلب الشـجي
وكـــم أمـــر تســاء بـــه صـباحاً ... وتأتـــيك المســـرّة بـــالعشي
إذا ضـــاقت بك الأحـوال يـوماً ... فـــثق بـــالواحـد الفـرد العـلي

ففي حالة دخول اليقين في القلب وملئه أركانه، فإنّ القلب حينئذ تتغير صورته ويضحى محكماً لاتهزه العواصف والأفكار الشيطانية ولايدخله الخوف ويستقيم ويكون كالسدّ المحكم يصمد، فلاتزحزحه المحن ولاتنال منه المشاكل.

قال الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

مَنْ قَوِيَ يَقِينُهُ لَمْ يَرْتَبْ.[2]

دَعِ الأَيَّـــامَ تَـــفْعَلُ مَـا تَشَـاءُ ... وَطِبْ نَـــفْساً إِذَا حَكَـــمَ القَـضَاءُ
وَلا تَـــجْزَعْ لِـــحَادِثَةِ اللَّـــيَالِي ... فَـــمَا لِـــحَوَادِثِ الدُّنْـيَا بَـقَاءُ
وَكُـــنْ رَجُـلاً عَـلَى الأَهْـوَالِ جَـلْداً ... وَشِـــيمَتُكَ السَّـــمَاحَةُ وَالوَفَـاءُ
وَإِنْ كَـثُرَتْ عُـيُوبُكَ فِـي البَـرَايَـا ... وَسَـــرّكَ أَنْ يَكُـونَ لَـهَا غِـطَاءُ
تَسَـــتَّرْ بِـالسَّخَاءِ فَكُـلُّ عَـيْبٍ ... يُـــغَطِّيهِ كَـــمَا قِـيلَ السَّـخَاءُ
وَلا تُـــرِ لِـــلأَعَادِي قَـــطُّ ذُلاً ... فَـــإِنَّ شَـــمَاتَةَ الأَعْـدَاءِ بَـلاءُ
وَلا تَـــرْجُ السَّـــمَاحَةَ مِـنْ بَـخِيلٍ ... فَـــمَا فِـي النَّـارِ لِـلظَّمْآنِ مَـاءُ
وَرِزْقُكَ لَـــيْسَ يُـــنْقِصُهُ التَـأَنِّي ... وَلَـيْسَ يَـزِيدُ فِـي الرِّزْقِ العَـنَاءُ
وَلا حُـــزْنٌ يَـــدُومُ وَلا سُـرُورٌ ... وَلا بُـــؤْسٌ عَـــلَيْكَ وَلا رَخَـاءُ
إِذَا مَـــا كُـــنْتَ ذَا قَـلْبٍ قَـنُوعٍ ... فَـــأَنْتَ وَمَـــالِكُ الدُّنْـيَا سَـوَاءُ
وَمَـــنْ نَـزَلَتْ بِسَـاحَتِهِ المَـنَايَا ... فَـــلا أَرْضٌ تَـــقِيهِ وَلا سَـــمَاءُ
وَأَرْضُ اللهِ وَاسِـــعَةٌ وَلَكِـــنْ ... إِذَا نَـــزَلَ القَـضَا ضَـاقَ الفَـضَاءُ

١. بحار الأنوار: ٢١٩/٧٧.
٢. شرح غرر الحكم: ٢٣٠/٥.

دَعِ الأَيَّـــامَ تَـــغْدِرُ كُـــلَّ حِـــينٍ فَـــمَا يُـــغْنِي عَـــنِ المَـــوْتِ الدَّوَاءُ

وفي مقابل ذلك فإنّ الشك سواء في المسائل والقضايا العقدية وغيرها يصيب الأفراد الذين لايتمتعون بنوع من حصانة القوة واليقين والكمال، فلا غرو فإنّهم معرّضون إلى هجمات الشيطان وحبائله، فما يلبث أن يتحول إلى عامل فتاك يضع آثاره المخربة عليهم، ولكن الصورة تنقلب تماماً لمن يحمل اليقين في قلبه، فتلك الثلة تكون بعيدة كلّ البعد عن الهجمات الشيطانية وقلوبهم تكون كزبر الحديد.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

... فَيَمُرُّ الْيَقينُ بِالْقَلْبِ فَيَصيرُ كَأَنَّهُ زُبُرُ الْحَديدِ.[1]

وعليه فلن يكون اليقين هو من يرفع الشك والظن عن الإنسان في المسائل والقضايا العقائدية ويجعله كالقلعة المحصنة للحفاظ عليه، فحسب وإنّما يزيد من قدرته على التأثير في إيمان ويقين الآخرين والعمل على زيادتها.

وإليك عزيزي القارئ إحدى القصص المعبرة عن إيمان ويقين أحد أعمدة التشيع الذي استطاع من زيادة وترسيخ إيمان الآخرين بالنسبة إلى المسائل الدينية:

الحضور في مجالس المباهلة

استطاع العلماء الشيعة من الحفاظ على الدين وصيانته من أيّ أنواع التحريف، وذلك عبر ماتحملوه من مختلف المحن والصعوبات، فهؤلاء الأعلام لم يألوا جهداً عن الدفاع عن حريم الولاية وإثبات المذهب الحقّ، حتّى أنّهم كانوا على أتم الإستعداد لإقامة المباهلة مع الأعداء والمخالفين، وذلك على أساس اليقين بالمقام الشامخ لأئمّة أهل البيت عليهم السلام ومن خلال عملهم هذا استطاعوا من رفع الأشواك عن طريق الولاية والقضاء على الأعداء وفضح محاولاتهم اليائسة.

---

١. بحار الأنوار: ١٨٥/٧٨.

ولعلّ المباهلة التي قام بها العالم الجليل «محمد بن أحمد» هي واحد من النماذج التي تدّل على الإيثار والتضحية، حيث اوضح العقائد الحقه وأثبتها حتى إلى أعداء هذه الطائفة، فكان هذا الرجل من العلماء الشيعة الكبار الذين ذاع صيتهم في الخافقين، ممّا جعل بعض العلماء الأجلاء من أمثال الشيخ المفيد ينقل عنه الرواية.

وقد قام هذا العالم الرباني بتأليف كتب عديدة حول عقائد التشيع، حيث استفاد في هذا الجانب من قاسم بن علاء ـ أحد وكلاء الناحية المقدّسة ـ وبما أنّه كان قد فقد بصره فقد عانى من مشكلة القراءة والكتابة، فقد جعل صدره خزانة لعلمه، وهو بهذه الوسيلة استطاع تأليف الكثير من المصنفات، وقد حظي بمنزلة ومكانة مرموقه لدى سيف الدولة الهمداني، وقام في محضره بإجراء المباهلة مع قاضي الموصل الذي عرف بتعصبه الجاهلي المقيت.

وبعد أن أقيم مجلس المباهلة تعرض القاضي الموصلي إلى حمى شديدة **وقد أسودت اليد التي كان يرفعها في المباهلة وتوفّي بعد يوم واحد منها.**[1]

وقد تمكن هذا العالم الشيعي الكبير المرحوم احمد بن محمد من هزيمة خصمه والغلبة على ذلك الجاهل المتعصب بواسطة اليقين والإعتقاد الكامل، وقلبه المطمئن المشع بالأنوار المحمدية، وأظهر بعمله هذا للجميع أحقية المذهب الشيعي وعقائده ومبادئه الحقة وزرع بذرة اليقين في قلوبهم.

وإذا قلّبنا أوراق التاريخ الشيعي نجده يحمل الكثير من تلك النماذج، وكيف أنّ هؤلاء العظماء استطاعوا بذلك القلب القوي النابض بالإيمان واليقين القاطع الإنتصار على الأعداء وأوجدوا حالات من اليقين والثبات على الحق لدى قلوب أعداد غفيرة من الناس.

«مير فندرسكي» نموذج آخر من أُولئك الذين استطاعوا أن يكون شعاع حق وعدالة وتنوير ويقين للآخرين، فهو من خلال اليقين القلبي دحر الأعداء في

١. فوائد الرضويّة المحدّث القمي رحمه الله: ٣٨٨.

قصة جميلة نقلها صاحب كتاب «الخزائن» فكتب عنها مايلي:

وصل «مير فندرسكي» في أحد أسفاره إلى إحدىٰ مدن الكفار وكان يجري معهم المناظرات والمحاورات وفي يوم من الأيام قال له مجموعة منهم: إنّ واحدة من الأدلة التي تثبت أحقية عقيدتنا وبطلان عقيدتك هي أنّ معابدنا قد شيدت منذ حوالي الألفين سنّة، ولم نر عليها آثار الخراب، بينما أكثر مساجدتكم لاتعمر أكثر من مائة سنة، ثمّ بعدها تتهدم، وبما أنّ أحقيّة كلّ شيء بقائه إذن فإنّ ديننا هو الحق.

فعلى أساس اليقين والإعتقاد الراسخ الذي كان يحمله «مير فندرسكي» أجاب قائلاً: إنّ سبب بقاء معابدتكم وخراب مساجدنا هو ليس هذا الأمر بل إنّ السرّ من وراء ذلك هو أنّنا نقيم العبادة بشكل صحيح في مساجدنا، ويذكر فيها الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى، لذا فليس لها الطاقة والقدرة على تحمل ذلك، ولهذا فهي تتعرض إلى الخراب بسرعة.

وأمّا معابدكم فهي خالية من العبادة الصحيحة، بل تقام فيها أحياناً أعمال الفساد، ومن هذا الباب تبقى سالمة، ولا شك فإذا ذكرت عبادتنا واسم البارئ عزّ وجلّ في معابدكم فإنّها لاتتحمل ذلك وسوف تتهدم.

فقال هؤلاء: هذا عمل بسيط يمكن من خلاله معرفة الحقيقة، ادخل أنت في داخل معابدنا وأعبد ربك واذكره كثيراً وهنا سوف يتضح صدقنا وكذبك.

فقبل السيد ذلك الشرط، فتوكل على الله تعالى وتوضّأ وتوسّل بأهل البيت عليهم السلام ودخل المعبد الكبير والذي بني بشكل مستحكم وله من العمر ما يقارب ألفي سنة.

وكان الكثر من الناس ينتظرون ما سوف يحدث، وبعد أن دخل السيد إلى المعبد رفع الأذان والإقامة، ثم نوى الصلاة فقال «الله أكبر» بصوت عالٍ بعدها خرج مسرعاً! فجأة سقط سقف المعبد وسقطت بعدها جدرانه.[1]

١. جامع الدرر: ٢/ ٣٧٠.

ونتيجة حدوث هذه الكرامة فقد اعتنق الكثير من الناس الدين الإسلامي الحنيف.[١]

إنّ اليقين والاعتقاد الذي حمله «مير فندرسكي» جعل قلبه يشع نوراً ويقيناً، فكان كجبل شامخ يقهر الشموخ نفسه.

٢ ـ اليقين يزيد قيمة الأعمال

إنّنا إذا عملنا على تبديل الإكسير إلى فلز لاقيمة له فإنّه ومن خلال ذلك الإكسير سوف تتضاعف قيمته ويصبح من الفلزات الثمينة، ومثل اليقين كذلك؛ باعتباره المانح للأعمال قيمتها، حيث يصبح العمل البسيط عند الله إذا تزامن مع اليقين افضل مراتب من ذلك العمل الكثير الذي امتزج بالشك والريبه.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

اِنَّ الْعَمَلَ الدّائِمَ الْقَليلَ عَلَى الْيَقينِ اَفْضَلُ عِنْدَاللهِ مِنَ الْعَمَلِ الْكَثيرِ عَلَى غَيْرِ الْيَقينِ.[٢]

ويدلّ هذا الحديث بشكل لايقبل الشك والتأويل على أنّ اليقين هو الّذي يمنح الأعمال وسلوك الإنسان الصبغة القيمية، ويمنحها المراتب العالية بشكل يكون فيه فضيلة العمل القليل والبسيط المتقارن باليقين افضل من العمل الخالي منه.

وعليه فإنّ مثل اليقين كمثل مادة الإكسير التي تبدل الفلز العادي إلى فلز بقيمة الفضة والذهب؛ باعتبار أنّ اليقين نفسه له القدرة على إعطاء قيمة كبيرة إلى كلّ عمل حتى وإن كان عملاً لايستحقّ الذكر.

ويجب هنا الالتفات إلى نقطة في غاية الأهمية وهي: هناك بعض الأعمال

---

١. تذكرة القبور: ٦٠.

٢. اصول الكافي: ٥٧/٢.

البسيطة تراها لها قيمة عظيمة عند الله عزّ وجلّ، وفي المقابل هناك من الأعمال توحي في الظاهر أنّها من الأعمال المهمّة، ولكنّها لا قيمة لها عند الله، وهذه القصة التي نسردها إليكم هنا دليل على صحة هذه الحقيقة:

ينقل المرحوم آية الله العظمى السيد الخوئي قصة جميلة حول آثار قول «بسم الله الرحمن الرحيم» في حالة اليقين، وذلك عن الشيخ أحمد خادم أستاذ الفقهاء المرحوم الميرزا الشيرازي الكبير والتي يقول فيها:

كان للمرحوم الميرزا خادم اسمه الشيخ محمد حيث اختار العزلة والابتعاد عن الناس بعد وفاة الميرزا.

وفي أحد الأيام ذهب شخص إلى ذلك الشيخ عند غروب الشمس فشاهده يملأ مصباحه النفطي بالماء، ومن ثم يشعله فيضيء ما حوله، فلمّا شاهد الرجل ذلك المنظر تعجب كثيراً فسأله عن سبب الذي جرى.

فقال له الشيخ محمد: بعد وفاة المرحوم الميرزا انتابني الحزن والغم لفراقه، فقطعت علاقتي بالناس، وكنت أقضي كلّ أوقاتي في البيت، وكان قلبي مهموماً ولم يفارقني الحزن بتاتاً.

وفي أحد الأيام دخل عليّ شاب بهيئة أحد الطلبة العرب فتجاذبنا الحديث وحصل بيننا ألفة، فبقي عندي، فكان هذا الشاب يتحدث بكلام جميل أنساني معه الحزن والغم وظل على هذه الحالة لعدّة أيام، فشعرت وكأني لا أستطيع من مفارقته.

وفي أحد تلك الأيام وبينما كان يتحدث معي تذكرت أنّه لايوجد لدي نفط لكي اشعل المصباح، وكان الوقت قريباً من العصر، وان العادة السارية في مدينة النجف الأشرف أنّ المحلات تغلق أبوابها قبيل الغروب.

ولهذا كنت أفكر في نفسي وأقول إذا خرجت الآن من البيت لشراء النفط سوف أحرم من حديثه، وإذا لم أشترهِ فسوف أقضي الليل بالظلمة.

ونتيجة هذا الأمر أصابتني حالة من الحيرة، فلمّا شاهد علامات ذلك قال: لماذا لم تستمع إليّ وتلتفت لما أقول؟ فقلت: إنّ قلبي يصغي اليك. فقال: كلاّ

إنّ قلبك في مكان آخر. قلت: في الحقيقة لايوجد لدي نفط لكي أشعل المصباح.

فقال: إنّي أتعجب منك فمع كلّ تلك الأحاديث التي سمعتها مني وفضيلة «بسم الله الرحمن الرحيم» حيث لم تستفيد منها لتستغني عن شراء النفط! فقلت: لا أتذكر حديثاً قلته في هذا الشأن! فقال: هل نسيت أنّني قلت إنّ من خواص وفوائد «بسم الله الرحمن الرحيم» هو عندما تقصد شيئاً يتحقق لك ذلك الشيء؟

أنت املأ مصباحك من الماء بقصد النفط وقل «بسم الله الرحمن الرحيم» فترى ما ترى.

فقبلت كلامه فقمت وملأت المصباح بالماء وأنا كلي يقين وقلت: «بسم الرحمن الرحيم» ففي تلك اللحظة اشتعل المصباح وبقيت مستمراً على هذه الحالة، فكلما فرغ المصباح ملأته من الماء واقول تلك العبارة فيشتعل.

ويقول المرحوم آية الله العظمى السيد الخوئي بعد نقله تلك القصة: إنّ الشيء العجيب أنّ أثر هذه الجملة قد ذهب عن المرحوم الشيخ محمد عندما ذاع خبر القصة وانتشر بين الناس.[1]

وكما يلاحظ القارئ العزيز فإنّ قول «بسم الله» بما أنّه تقارن باليقين والإعتقاد الراسخ فإنّه حوى على مخزون عملي فيه آثار خارقة للطبيعة وخارجة عن المقاييس الإنسانية.

من الواضح أنّ أُولئك الثلة التي تمتلك الاسم الأعظم تستفيد أيضاً من الأسماء المتداولة لله تعالى بين الناس، ولكن ما يميز عملهم عن الآخرين هو اليقين الذي هم عليه؛ باعتبار أنّ اليقين يلعب دوراً أساسيّاً في التأثير على الاسم الذي يلفظونه.

١. أصحاب الأسرار: ٥٤.

٣ ـ اليقين يصلح السريرة

يخيل للإنسان أحياناً أنّه وبوسيلة المحاسبة والدراسة لسجله من الأعمال أنّه عامل في الظاهر بوظيفته التي أنيطت إليه، ولكن لا يعلم بالواقع والحقيقة من وراء ذلك، ولهذا يعيش حالة من التشويش والاضطراب والقلق، فهل إنّ سلوكه وعمله مطابق لما يرتضيه البارئ عزّ وجلّ أم لا؟ وهل إنّ باطنه كان خالياً من الشوائب أم أنّه كان أسيراً بيد الشيطان والنفس الأمّارة وهو لا يعلم؟ وعلى فرض كان باطنه ملوثاً فكيف يمكنه النجاة والخلاص من ذلك الخطر الحادق؟ وما هو طريق النجاة من ذلك العذاب الروحي؟

ونقول في مقام الإجابة على هذا السؤال: أنّ الملاك والقياس في معرفة طهارة السريرة والباطن هو وجود اليقين بالعقائد التي يؤمن بها مذهب أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ اليقين هو الذي يصلح الباطن ويطهره، وهذا ما اكد عليه الدعاء الذي يُقرأ في ليلة الأحد فقد جاء فيه:

اَللّٰهُمَّ اَصْلِحْ بِالْيَقِينِ سَرائِرَنا.[1]

ومن هنا يمكن القول بأنّ أصحاب اليقين يتمتعون بذات طاهرة ونفس مجبولة على فعل الصلاح والخير، بعيدين عن حالات الفساد والخيانة، وأمّا أُولئك الذين يحملون في باطنهم وسرائرهم الظلام والسوء فيمكنهم إصلاح أنفسهم وذلك عن طريق إيجاد اليقين والعمل على تقويته.

فإنّ اليقين لا يحفظ الشعور والضمير اللاواعي من التأثيرات التي تتركها الوساوس الشيطانية فحسب، وإنمّا يطهر السريرة والباطن من كلّ فساد مستشري فيه، ويعمل على إصلاحه ويقلح جذور الرذائل والخبائث. ولهذا يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في إحدىٰ خطبه:

خَيْرُ ما أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ اَلْيَقينُ.[2]

---

١. بحار الأنوار: ٢٨٦/٩٠.

٢. بحار الأنوار: ٢١١/٢١.

لأنّه وكما قلنا **فإنّ اليقين لن يكون وحده المطهر للشعور واعٍ فقط، وإنمّا يعمل كذلك على تطهير الباطن من الأخطاء العقائدية والأخلاقية.**

الأُمور التي تزلزل اليقين:

١ ـ الشك والترد

إنّ الإنسان الذي تحاط به الشكوك والظنون من كلّ حدب وصوب لا تتزلزل قيمه المعنوية فقط، وإنمّا تجعله أسيراً للشكوك والوساوس، وتراه يتعثر في خطواته الحياتية ولن يحقق أي تقدم معنوي، ولذا يجب عليه أن يمحو حالات الشك والتردد من قلبه لكي يضمن طريق النجاة والعاقبة الحسنة.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

... أُنْفُوا عَنْ نُفُوسِكُمُ الشُّكُوكَ.[1]

وعلى ضوء هذا يجب القول إنّ الشخص الذي يمحو الشك والتردد من صفحة قلبه سوف يتمكن من الحفاظ على قيمه الروحية والمعنوية، ويقوي من خلال الإيمان واليقين الكامل عقائده ومبادئه، وإلاّ تترك آثاراً سلبية على عقائده وتجعله شريكاً في فتن آخر الزمان؛ باعتبار أنّ الشك والظن من جهة يمهد الأرضية لإيجاد الفتن والبلابل ويزعزع الحالات اليقينية والإختبارات الإلهية، ومن جهة أُخرى فإنّه يعمل على فشل الإنسان من تجاوز تلك الإختبارات والامتحانات بنجاح.

وقد ورد عن لسان أهل البيت عليهم السلام الكثير من الأحاديث التي تحث الناس على إزالة الشكوك والظنون من القلوب؛ لأنّها بطبيعتها تعبث بمقدرات الإنسان وتجعل حياته تنطوي على أخطاء جمة في التعامل مع الامتحانات الإلهية والفشل في تجاوزها، هذا بالإضافة إلى أنّها تحرك النفس للوقوع في الفتن والهرج والمرج، وقد جاء في مناجات المطعين:

---

١. بحار الأنوار: ١٤٧/٥١.

وَاَثْبِتِ الْحَقَّ في سَرائِرِنا فَاِنَّ الشُكُوكَ وَالظُّنُونَ لَواقِحُ الْفِتَنِ.[1]

إنّ الذي يتصفح التاريخ يجد هذه الحقيقة بوضوح، إذ إنّ الكثير ممن وقعوا في الفتن منذ صدر الإسلام وإلى زماننا الحاضر كان السبب من وراء ذلك هم أصحاب الضلالة وطلاب الدنيا وملذاتها الذين جروا الأمة الإسلامية إلى طريق منحرف بعيداً عن ماجاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبون الطاهرون حيث استطاعوا التأثير على أهل القلوب الشكاكة والتي فيها مرض، والذين فقدوا اليقين في السير على الطريق المستقيم.

وفي الواقع فإنّ الشك والتردد هو وسيلة للانزلاق في مطبات الفتن الضالة ولن ينتهي دوره إلى هنا، وإنمّا نفس وجود الشكاكين والمتزلزلة عقائدهم وأفكارهم هو طريق لزرع بذور تلك الفتن والهرج والمرج.

٢ ـ المعصية

إنّ ارتكاب المعصية والإثم ومخالفة أوامر وتعاليم أهل البيت عليهم السلام هو بحد ذاته أمر مخزٍ لن ينم إلاّ عن ضحالة الفرد ومدى استخفافه في شرائع البارئ عزّ وجلّ، وأمر يشده إلى الإنحراف مما يؤدي بالنتيجة إلى فقدان أفضل الحالات والخصال التي لابدّ أن يتمع بها أولياء الله تعالى وعباده، وعلى هذا الأساس فإنّ ارتكاب المعصية لن يكون مانعاً وعقبة في إيجاد الحالات المعنوية لدى الشخص فقط، وإنمّا لها القدرة القوية على إزالة أي حالة تحدث في النفس وتصدها وتمنعها من الرقي.

ينقل داود الرقّي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول تلك الرواية:

قٰالَ سَمِعْتُ اَبٰاعَبْدِاللهِ عليه السلام: يَقُولُ اِتَّقُواالله، وَلاٰيَحْسُدْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، اِنَّ عيسَى بْنَ مَرْيَمَ كٰانَ مِنْ شَرايِعِهِ السَّيْحُ فِي الْبِلادِ، فَخَرَجَ في بَعْضِ سَيْحِهِ وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ الصَّحابَةِ قَصيرٌ، وَكٰانَ كَثيرَ اللُّزُومِ

١. بحار الأنوار: ١٤٧/٩٤.

لِعيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَلَمّا اِنْتَهى عيسى اِلَى الْبَحْرِ قالَ: بِسْمِ الله، بِصِحَّةِ يَقينٍ مِنْهُ، فَمَشى عَلى ظَهْرِ الْماءِ، فَقالَ الرَّجُلُ الْقَصيرُ حينَ نَظَرَ اِلى عيسى جازَهُ: بِسْمِ الله، بِصِحَّةِ يَقينٍ مِنْهُ فَمَشى عَلَى الْماءِ وَلَحِقَ بِعيسى، فَدَخَلَهُ الْعُجْبُ بِنَفْسِهِ.

فَقالَ: هٰذا عيسى رُوحُ اللهِ يَمْشي عَلَى الْماءِ وَاَنَا اَمْشي عَلَى الْماءِ، فَما فَضْلُهُ عَلَيَّ؟ قالَ: فَرُمِسَ فِي الْماءِ فَاسْتَغاثَ بِعيسى فَتَناوَلَهُ مِنَ الْماءِ فَاَخْرَجَهُ، ثُمَّ قالَ لَهُ: ما قُلْتَ يا قَصيرُ؟ قالَ: قُلْتُ: هٰذا رُوحُ الله يَمْشي عَلَى الْماءِ وَاَنَا اَمْشي، فَدَخَلَني مِنْ ذٰلِكَ عُجْبٌ.

فَقالَ لَهُ عيسى: لَقَدْ وَضَعْتَ نَفْسَكَ في غَيْرِ الْمَوْضِعِ الَّذي وَضَعَكَ الله فيهِ، فَمَقْتَكَ اللهُ على ما قُلْتَ، فَتُبْ اِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِمّا قُلْتَ.

قالَ: فَتابَ الرَّجُلُ وَ عادَ اِلَى الْمَرْتَبَةِ الَّتي وَضَعَهُ اللهُ فيها، فَاتَّقُوا اللهَ وَلا يَحْسُدَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضا.[1]

ويتضح من خلال سياق الرواية أنّ المعصية تزيل أفضل الحالات المعنوية التي عليها أولياء الله وتسقطهم من أعلى المراتب المعنوية، وهذه حقيقة نجدها متماشية مع مبادئ وتعاليم أهل البيت عليهم السلام.

ذهاب اليقين

عند الرجوع إلى التاريخ والإمعان في قراءة صفحاته سوف نرى الكثير من الأشخاص الذين كان لديهم أعلى مراتب اليقين والاعتقاد، ولكنهم عانوا من مشكلة الثبات والاستقامة على الطريق، وبالنتيجة فقدوا ذلك اليقين والاعتقاد والإيمان لا لشيء سوى أنّهم ارتكبوا المعصية والإثم.

وأحد أُولئك الأشخاص هو «الزبير» فقد كان هذا الرجل من المدافعين عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام من بعد استشهاد الرسول

١. بحار الأنوار: ٢٤٤/٧٣، اصول الكافي: ٣٠٦/٢.

الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكان من خلص أصحاب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وأشجعهم موقفاً، ولكنه تغير وانتابته وساوس الشيطان عندما ترعرع ابنه عبدالله، فتبدل يقينه إلى شك وتردد وفي النهاية عاقبته أن يشهر السيف بوجه سيد الوصيين وإمام زمانه الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام.

فقال عنه الإمام علي عليه السلام:

مٰا زٰالَ الزُّبَيْرُ مِنّٰا اَهْلَ الْبَيْتِ حَتّٰى نَشَأَ بَنُوهُ فَصَرَفُوهُ عَنّٰا.[1]

ولهذا السبب علينا دوماً التضرع والتوسل بالله عزّ وجلّ في أدعيتنا وزياراتنا أن يزيد من يقيننا وأن يثبتنا على الحق والولاية وان لايملأ قلوبنا الشك والتردد.

فنقرأ في دعاء يوم الجمعة الوارد عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

اَللّٰهُمَّ اِنّي اَسْأَلُكَ ايمٰاناً صادِقاً وَيَقيناً لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ.[2]

ومن هنا فإنّ إيجاد مثل هذه التغيرات في نفس الإنسان دليل واضح على وجود إمكانية تبديل اليقين بالشك أو النفي والإنكار، وذلك نتيجة ارتكاب المعصية والإثم.

وأمّا الذين وصلوا إلى مرحلة اليقين فعليهم الالتفات إلى نقطة مهمة، وهي أنّ النفس الأمارة بالسوء تمتلك قوة وتأثيراً كبيرين، وحال غفلتهم تفعل فعلتها حيث إنّها قادرة على سلب اليقين منهم وبالتالي الابتلاء بالكفر والإنكار، وعلى ذلك يجب الدعاء من البارئ عزّ وجلّ أن يزيد من يقينهم وإيمانهم حتّى لاتزلّ أقدامهم.

وعلى أي حال فإنّ القلب الذي يشعّ نوراً نتيجة اليقين قد يتعرض إلى فقدان ذلك النور ويتجه صوب حالة اخرى وكل ذلك عاد إلى عملية ارتكاب المعصية.

وعليه يجب ان لايغتر أصحاب الصفات والخصال المعنوية ويعتريهم العُجب والغرور؛ لأنّ البارئ سبحانه وتعالى الذي منحهم ذلك لقادر على سلبه.

---

١. بحار الأنوار: ٣٤٧/٢٨.

٢. بحار الأنوار: ٤٢/٩٠.

طرق تحصيل اليقين:

١ ـ كسب العلوم والمعارف

إنّ هناك قيمة كبيرة قد أولاها الأئمة الأطهار عليهم السلام إلى مسألة مقام اليقين واعتبره من المراتب الرفيعة، وفي هذا السياق يقفز إلى الذهن سؤال مفاده كيف يمكن الوصول إليه؟ والإجابة على هذا السؤال يمكن إيجادها في نفس أحاديثهم وكلماتهم النورانية.

ومن الطرق التي ذكروها عليهم السلام طريق المعرفة وتحصيل العلوم، إذ إنّ الإنسان الذي يستفيد من العلوم الإلهية فإنّه يتمتع باعتقاد راسخ ومقام يقين عالٍ.

وهذه حقيقة أشارت إليها الروايات، وأيضاً نراها تتجلى في الموعظة التي ذكرها البارئ جلّ ذكره إلى نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج، فقد جاء فيها:

وَالْمَعْرِفَةُ تُورِثُ الْيَقِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَنَ الْعَبْدُ لَا يُبَالِي كَيْفَ أَصْبَحَ، بِعُسْرٍ أَمْ بِيُسْرٍ...[1]

وعلى هذا الأساس فإنّ التشكيكات والاضطرابات والظنون في غير محلها توجد نوعاً من النقصان في اليقين، ولأجل إزالة تلك الحالات لابدّ من إيجاد اليقين في النفس، واليقين لا يتأتّى إلاّ عن طريق كسب المعرفة؛ **باعتبار ان تعلم علوم أهل البيت عليهم السلام هو الطريق الأمثل والأسرع والأقصر في نيل المقام الأسمى لليقين.**

٢ ـ الدعاء والتضرع

من الوظائف المهمّة لتحكيم أواصر اليقين في القلب كثرة الدعاء والتضرع والتوسل إلى الساحة القدسية للبارئ عزّ وجلّ، يقول الإمام مولى الموحدين علي عليه السلام في إحدىٰ خطبه والتي تعرف بخطبة «المعروفة»:

---

١. بحار الأنوار: ٢٧/٧٧.

عِبادَ اللهِ سَلُوا اللهَ الْيَقينَ.[1]

إذن فإنّ المقصود من هذا الحديث وبقية الأحاديث الواردة عن بيت العصمة والطهارة عليهم السلام هو توجيه الإنسان إلى الطلب من الله تعالى لزيادة يقينه والتعريف بالطرق والكيفية في تحصيله.

إنّ الإنسان معرض في كلّ لحظة للانزلاق في هاوية الشك والإنجراف وراء شهواته، فيذهب يقينه وبالتالي تكون النتيجة ضعف الإيمان والعقيدة، وتصبح غائبة عن حياته؛ لذا فإنّ المعصومين عليهم السلام قد أوصوا بالدعاء الصادق الذي يخرج من اعماق القلب وبحرقة لتحصيل حالة اليقين، ومما لاشك فيه فإنّ حالة اليقين القاطع الذي وصل إليه الصالحون والأولياء جاء نتيجة الدعاء والتوسل بصدق وإخلاص لله جلّ وعلا.

وبالطبع فإنّ الإنسان الذي تخلص من الوساوس والشكوك ونال درجات اليقين العالية مثله مثل ذلك الإنسان الذي نجا من الكفر، فكتبت له حياة جديدة وخرج من ظلمات الجاهلية والكفر ودخل عالم النور والهداية.

قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه العزيز:

﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشي بِهِ فِي النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها﴾.[2]

فنرى أنّ هذه الآية الشريفة قد وصفت أصحاب الشك والتردد بأنّ لهم قلوباً ميتة بينما وصفت الذين دخلوا إلى عالم اليقين بان لهم قلوباً حية، فهل من المعقول أن يتساوى الفريقان الفريق الذي أصاب قلبه الشك وفريق أصحاب اليقين.

وأيضاً يمكن التأكيد على حقيقة من خلال هذه الآية والآيات الأُخرى الواردة في هذا الموضوع، وكذلك الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل

---

١. بحار الأنوار: ٢٩٣/٧٧.

٢. الأنعام: ١٢٢.

البيت عليهم السلام، بأنّ الشك والتردد يجعل قلب الإنسان أسود، بينما اليقين يجعل قلب صاحبه نورانياً، وبعبارة أكثر دقة فإنّ من أكثر القلوب نورانيةً يعود لمن وصل إلى اليقين المطلق.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

لا نُورَ كَنُورِ الْيَقينِ.[1]

فهل ياترى إنّ الأشخاص الذين اصابتهم صاعقة التردد والوسواس مثل تلك الفئة التي تنور قلبها بنور اليقين؟! وهل إنّ الشخص الذي فقد قيمه ووجوده نتيجة الشك والتردد مثل الشخص الذي تلألأ قلبه بإشعاع اليقين ويتمتع بحياة وقوى روحية ومعنوية جديدة؟!

إذن فإذا أردنا أن يكون قلبنا محلاً للأنوار اليقين ويسطع به فلابد أن ندعو الله عزّ وجلّ دوماً أن يمنحنا اليقين الصادق؛ لأنّ اليقين إذا كان صادقاً فإنّه لن يتأثر بالامتحانات الإلهية الكبيرة فحسب، بل يزيده قوة واستحكاماً.

وعليه فإنّ صاحب اليقين الصادق تراه قوي الشكيمة والعزيمة في الامتحانات ويقف كالطود ولن يضعف أو تبدو عليه علامات الفشل.

فهاهم أئمّتنا الأطهار عليهم السلام علمونا كيف ندعو في حضرة البارئ عزّ وجلّ وآداب الوقوف بين يديه، وماهي الموارد التي يجب أن نطلبها من البارئ عزّ وجلّ، فنقرأ في الدعاء الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام في تعقيب صلاة الظهر قوله:

اَسْأَلُكَ حَقٰايِقَ الْاِيمٰانِ وَصِدْقَ الْيَقينِ فِي الْمَوٰاطِنِ كُلِّهٰا.[2]

إنّ التعبير الذي ذكره مولانا صادق أهل البيت عليهم السلام في تعقيب صلاة الظهر وضح بشكل صريح أنه لابدّ للإنسان أن يتمتع باليقين القوي والصادق حتى في أصعب الظروف وأحرجها إلى حدّ أن لاتزلّ قدماه فيشكل لديه روحاً لاتهزها تلك الامتحانات ولاتغيرها قيد أنملة، وتمتاز بلذة الوصال مع المحبوب

١. بحار الأنوار: ١٦٥/٧٨.

٢. بحار الأنوار: ٧١/٨٦.

الحقيقي ونكون راضية برضاه مهما كانت الظروف التي يمر بها.

إنّ الحصول على هذا اليقين ليس بالأمر السهل، وإنمّا يتأتى عن طريق كثرة الدعاء الخالص والرياضات الروحية؛ لأنّ اليقين كما قلنا هو من صفات وخصال أولياء الله ولن يحظى به إلى شخص.

٣ ـ تهذيب النفس

يمكن من خلال إصلاح النفس وتهذيبها وصونها من المخاطر النفسية والشيطانية والعروج بها إلى عالم اليقين، والإرتواء من معين وعين الحياة والإضفاء على القلب والروح من نقاوة صفائها.

بطبيعة الحال فإنّ اليقين أمر يمكنه إرشاد وهداية الإنسان إلى الهدف النهائي وأمّا إذا ازداد وتوغل في النفس بنسبة أعلى، فإنّه يوصله بكل تأكيد إلى المقصود الأصلي.

وعلى ذلك فإنّ المرء لايكون بعيداً عن الصواب إذا وصل إلى نتيجة تقول: إنّ التهذيب والإصلاح النفسي والروحي يزيد حالة اليقين، وهذه حقيقة واضحة صرح بها مولانا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حين قال:

... بِإِصْلاحِكُمْ اَنْفُسَكُمْ تَزْدادُوا يَقيناً وَتَرْبَحُوا نَفيساً ثَميناً، رَحِمَ اللهُ امْرَأً هَمَّ بِخَيْرٍ فَعَمِلَهُ اَوْ هَمَّ بِشَرٍّ فَارْتَدَعَ عَنْهُ، ثُمَّ قالَ: نَحْنُ نُؤَيِّدُ الرُّوحَ بِالطّاعَةِ لِلّهِ وَالْعَمَلِ لَهُ.[1]

إذن فإنّ عملية اصلاح النفس وتهذيبها من الشوائب العالقة بها يعد أرضية مناسبة وصالحة لزيادة اليقين ومضاعفته أضعافاً؛ لأنّ الشك الذي هو متقاطع ومخالف لليقين إمّا أن يحدث عن طريق وساوس الشيطان أو من خلال حديث النفس، في الوقت الذي نجد فيه أنّ الصورة تنعكس تماماً في عملية التهذيب وإصلاح النفس، إذ إنّ هذه المرحلة يتلاطم فيها حديث النفس ويضرب بعضها

١. اصول الكافي: ٢٦٨/٢، بحار الأنوار: ١٩٤/٦٩.

البعض فتتلاشى، وكذلك لن يبقى لحبائل ووساوس الشيطان أي مكان فيها، وهذا ما نراه جلياً في الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ويمكن الإستنباط من تلك الأحاديث ما يلي:

إنّ هناك حالة من التلازم والتوأمية بين اليقين وإصلاح النفس، ومعنى هذا أنّ من لوازم إصلاح النفس زيادة حالة اليقين، ومن لوازم اليقين القاطع إصلاح النفس.

وعلى ضوء ذلك يمكن القول: بأنّ تهذيب النفس يرفع كلّ الموانع التي تعصف باليقين ويضاعف من نسبته في النفس، وأيضاً يمكن تقوية اليقين وذلك من خلال تطهير الباطن والنفس، وبالنتيجة الإستفادة من القدرات الروحية العظيمة المودعة في الإنسان.

إنّ وجود اليقين في الأفراد يجعلهم من أصحاب الكرامات والأُمور الخارقة للنواميس، وهذه حقيقة واضحة للعيان والقصة التي نسردها خير دليل على حقيقة هذا الأمر.

ينقل عن المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الإصفهاني أنّه قال: عندما دخلنا إلى الحجاز في سفرنا إلى مكة للحج كان فيها حاكم يدعى «شريف مكة» يعمل على أخذ مبلغ من المال من كلّ شخص يأتي إليها بعنوان «خاوه»، وبما أنّنا كنّا لانملك المال اللازم فقد قررنا أن ندخلها عن طريق أحد الطرق الفرعية من مدينة جدة، وبينما نحن نسير وإذا بنا نواجه جنود ذلك الحاكم على ذلك الطريق فمنعونا من المسير وقالوا انتظروا في هذا المكان إلى أن تأتي الشرطة لأخذ المال منكم، ومن ثم تكملون مسيرتكم، وإلاّ لايحق لكم دخول مكة، فجلس الجميع تحت ظل أشجار كانت هناك في انتظار قدوم مأمورين أخذ «الخاوه».

فأخرج جميع المسافرين الذين كانوا معي المال المطلوب إلاّ أنا فقالوا لي: لماذا لاتخرج المال؟ فقلت: لا أملك مالاً لكي أعطيه لهؤلاء، فقالوا: إذا كنت تطمع بأنّنا نعطيك من أموالنا فإنّنا لانفعل ذلك، وإذا لم تدفع إليهم فإنّهم لن

يدخلوك مكة وسوف تحرم من زيارة بيت الله الحرام، فقلت لهم: إنّني لا أطمع ولا أريد من أموالكم شيئاً، بل آمل أن يساعدعني الله عزّ وجلّ، فقالوا لي: لننظر كيف يساعدك الله في صحراء السعودية؟

فقلت لهم: حديث مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه ما مضمونه: من قضىٰ حوائج الناس وطلب فيها وجه الله تعالى ورضاه، فإنّ الله يقضي حاجته في الشدائد وإن كان في صحراء خالية، فإنّه تعالى يزيلها عنه كما يزيل السيل الهادر الجاري من الجبال كلّ شيء أمامه.

وبعد ساعات طرحوا عليّ نفس السؤال وقلت لهم الأجابة ذاتها، فقالوا بنوع من السخرية: لابدّ أنّ الشيخ قد تناول شيئاً قد أذهب عقله وإلاّ لايوجد أحد غيرنا ليساعده وإنّنا لن نقدم إليه المساعدة بأيّ شكل من الأشكال.

وما أن مضت عدة ساعات وإذا بنا نشاهد غباراً من بعيد قد تصاعد فقلت لجماعتي: إنّه الخير، فاستهزوا بي! وبعد لحظات خرج من بين الغبار رجلان يمتطيان حصانين، فقربوا منّا فقال أحدهما: من هو الشيخ حسنعلي الإصفهاني؟

فاشار جماعتي إليّ فقال لي: أجب دعوة الشريف فركبت الحصان وذهبت معهما لمقابلة الشريف، وعندما دخلت على خيمة الشريف في مكة المكرمة شاهدت كلاً من المرحوم الشيخ فضل الله النوري والمرحوم الشيخ محمد جواد بيد الآبادي ـ وكانت تجمعنا صداقة ـ حاضرين هناك وكان للشريف حاجة أراد منّي أن أدعو الله عزّ وجلّ لقضائها.

بعد ذلك علمت بأنّ الشريف كان قد طلب من الشيخ فضل الله النوري أن يدعو له فقال له الشيخ: إنّ قضاء حاجتك بيد شخص بهذا الإسم فأمر شرطتك بالبحث عنه والإتيان به إلى هنا، وهو الآن من الذين يسيرون على أقدامهم في أحد الطرق المؤدية إلى مكة، وعلى هذا الأساس فقد أصدر الشريف أوامره للبحث عني في جميع الطرق الفرعية والإتيان بي.

نعم؛ فإنّ اليقين له الأثر البالغ في ظهور الكرامات والمعاجز من أولياء الله والمقرّبين.

نتيجة البحث

إنّ أفكار الإنسان وعقائده لن تكون مؤثرة ونافعة مادامت غير متحلية بصفة اليقين، فمن أراد الوصول إلى المقامات المعنوية الشامخة والعلوم والمعارف الإلهية فلابد له من تهيئة الأرضية لإيجاد اليقين القاطع في نفسه.

ومن الواضح فإنّ أُولئك الذين يرتبطون بالعالم الغيبي فإنّهم قد وصلوا إلى مراتب عالية من اليقين والعمل على تقويته وديمومته؛ باعتباره شرطاً أساسياً لأجل الوصول إلى عالم المعنى ونيل المقامات المعنوية.

ويمكن من خلال إيجاد اليقين تطهير القلوب عن حالات الصدأ التي أحاطت بها وإعطاء حياة جديدة لها، وبالتالي إزلة كلّ الأمراض الروحية والتلوثات الفكريّة، وفي هذه الحالة سوف تصلح الحالة الباطنية للإنسان، وكذلك تزداد قيمة الأعمال التي يفعلها عند البارئ عزّ وجلّ.

ومن أهم الطرق لكسب العلوم والمعارف هي تهذيب النفس ومجالسة علماء الدين وأولياء الله المقرّبين والصالحين.

إنّ ترك المعصية هو من الأُمور المهمّة والأساسيّة في الحفاظ على اليقين؛ لأنّ المعصية بدورها تذهب الإيمان واليقين الذي عمل الإنسان على تحصيلهما لسنين طوال.

وكم لله من لطفٍ خفيٍّ ... يَدِقّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ
وَكَمْ يُسْرٍ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ ... فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجِيِّ
وكم أمرٍ تساءُ به صباحاً ... وَتَأْتِيكَ المَسَرَّةُ بالعَشِيِّ
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً ... فَثِقْ بالواحِدِ الفَرْدِ العَلِيِّ